الجامعة الإسلامية – غزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
ماجستير/ التفسير وعلوم القرآن

The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Oussoul Eddine
Master of Interpretation & Sciences of Quran

الحصـــارُ وسُبـل مواجهتـــه في ضوء القرآن الكريم

" دراســـة` موضوعيـــة "

The Siege and The Ways of Facing it in the Light of Holy Quran

" Subjective Study"

إِعدَادُ البَاحِثِ

سامـي جبـر اشتيـوي

إِشرَافُ

الدُكتُور

وليـد محمـد العامـودي

قُدمَت هَذه الرسالة اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ

فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُلِيةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

محرم/ 1438هـ– أكتوبر/ 2016م

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الحصـــارُ وسُبـل مواجهتــه في ضوء القرآن الكريم

" دراســة موضوعيــة "

The Siege and The Ways of Facing it in the Light of Holy Quran

" Subjective Study"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**سامي جبر اشتيوي**	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	2016/11/07	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم Ref ج س غ/35/
التاريخ Date 2016/10/15 م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **سامي جبر عبد اشتيوي** لنيل درجة الماجستير في **كلية** *أصول الدين*/ **قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الحصار وسُبل مواجهته في ضوء القرآن الكريم
"دراسة موضوعية"

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأحد 15 محرم 1438هـ، الموافق 2016/10/16 م الساعة الحادية عشر صباحاً بمبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. وليد محمد العامودي	مشرفاً و رئيساً	.....
أ.د. رياض محمود قاسم	مناقشاً داخلياً	.....
أ.د. عصام العبد زهد	مناقشاً خارجياً	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية** *أصول الدين*/ **قسم التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 هاتف ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

مُلخّص الرّسالة باللغة العربية

الحمد لله على مزيد إنعامه وكثير إكرامه وفيض عطاياه، والصلاة والسلام التامّان الأكملان على من كان قرآنا يمشي على الأرض، نبيّنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

تتناول هذه الدراسة موضوعًا قرآنيًا، وهو موضوع قديم مُتجدّد، بعنوان: **(الحصار وسبل مواجهته في ضوء القرآن الكريم ـ دراسة موضوعية)**، وتتكون الدراسة من مقدّمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة.

فالمقدّمة تناولت أهمية الموضوع، ودوافع اختياره، وأهدافه، والجهود السابقة فيه، ومنهجية البحث، ثم خطة البحث، **وجاء الفصل التمهيدي**: فتناول قيمة الإنسان وتكريمه في القرآن، ومهمّته في الأرض والحكمة من ابتلائه، **وأما الفصل الأول**: فتناول معنى الحصار وحكمه، وأخطار الحصار وأسبابه وأنواعه، ومواجهة الحصار وحكم مواجهته، **ثم جاء الفصل الثاني**: فبيّن الجوانب الإدارية لمواجهة الحصار في القرآن الكريم، وأهمية القصص القرآني في مواجهة الحصار، وكيف نتعامل مع العدو في الحصار، **وأما الفصل الثالث**: فتحدّث عن منهج القرآن الكريم في مواجهة الحصار وبشارة الصابرين، وذَكر الحلول العملية والوسائل القرآنية لمواجهة الحصار، ثم حدّد مسئولية الأمة في مواجهة الحصار، **وأما الخاتمة**: فاشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

Abstract in English

Praise be to Allaah for his blessings, graces and grants, and Peace be upon Prophet Mohammed, his family, his companions and followers,

This study deals with Quranic subject, it is an old and renewed one, entitled (**The Siege and the Ways of Facing it in the Light of Holy Quran-A subjective study**), the study consists of an introduction, introductory chapter, three chapters, and Conclusion.

The introduction deals with the importance of the subject, reasons of its choice, its objectives, previous efforts, research methodology, and the study plan. The introductory chapter deals with the value and honor of human beings in the Holy Quran, its mission on earth, and the wisdom of ordeal.

The first chapter deals with the meaning of siege, its judgment, its dangers, its causes, its types, facing it and the judgment on facing it. The second chapter deals with the administrational aspects of facing siege, the importance of Quranic stories in facing siege, and the ways to deal with enemies. The third chapter deals with the Quranic methodology for facing the siege, promising the patients, the practical solution and the Quranic means for facing the siege, and the responsibility of the nation in facing it.

The conclusion contains the most important results and recommendations.

ٱلإِهدَاْءُ

- إلى روح صاحبِ الجبينِ الأزهرِ والوجهِ الأنور، والمِنهاجِ الأطهر، إلى قائد الدعاة وإمام المتقين، البشيرِ النذير، والسراج المنير، الذي عانى ألَمَ الحصارَ وأوذي بكيد الأعداء فما زاد إلا صبرًا حتّى أتاه نصر الله المؤزّر، فصلوات ربي وتسليماته عليه.
- إلى فرسان الجيل الأول، النُّجوم النيرات، والكواكب الزاهرات، الثابتين على العهد، الأوفياء بالوعد، الآل الأطهار الصحابة الأبرار، صدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدّلوا تبديلا، حطّموا القيود وأناروا المعمورة بضياء الدين ومشاعل التوحيد، رضوان الله عليهم جميعاً..
- إلى سرِّ نجاحي ومدادِ فكري " والدتي الحبيبة" أمدَّ الله في عمرها، كم صبرت لتقطفَ بعضَ ثمارها وترى حُسن غرسها، وتعبت وسَهِرت ونصحَت، فهذا من عطائك يا أماه، أعانَ الله على البرَّ والوفاء.
- وإلى صاحب الأفضال، الذي ما ضنّ يومًا قط، حبيبِ قلبي " والدي الغالي " بارك الله في عمره وأحسَن عملَه.
- وإلى زوجتي الوفيَّة التي رفعت الهمّة، وصبرت على كثرة انشغالي وغيابي.
- وإلى أهلي جميعا وإخوتي وأخواتي الأحباء الذين عانوا من الحصار والتشريد.
- إلى من امتزجت هموم دعوتهم مع إيمانهم بالله ويقينه بنصره، فتولّد في قلوبهم الإصرار على مواصلة طريق الأنبياء، وانبثقت في نفوسهم همّة لا ترضى إلا بالقمة، إلى القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، إلى العلماء والدعاة إلى الله ﷻ.
- وإلى أرواح الشهداء الأطهار ممن سبقونا إلى الجنان الحسان، وإلى المجاهدين في سبيل الله، المرابطين في ثغور الأمة، نصرهم الله وبارك في جهادهم.
- ولا أنسى أسود الأمة خلف قضبان الحصار، أسرانا الأبطال عجّلَ المولى بفكاك قيودهم.

إليكم جميعاً كلٌ في ثغر رباطه أهدي ثمرة هذا الجهد

راجيًا من ربي التوفيق والإخلاصَ والقَبول

شكرٌ وتقديرٌ

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصّالحات، القائل: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: 7]، ربِّ ما أنعمت عليَّ بهِ من نعمةٍ أو أحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، سبحانك لك الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على جودك وكرمك وعطائك، والصلاة والسلام على مُعلّم البشرية، وصاحبِ النفس الزكيّة الذي علّمنا الدعاء لأهل العلم فقال: « إنّ الله وملائِكَتَهُ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِها وحَتَّى الحُوتُ فِي البَحْر لَيُصَلُّونَ على مُعَلِّم الناس الخير»[1] ،

وعرفانًا بجهد أهل الفضل والعلم فإني أتوجّه بأسمى معاني الشكر والعرفان، إلى أستاذي ومشرفي **فضيلة الدكتور/ وليد محمد العامودي** ـ حفظه الله تعالى ـ على تفضّله بالإشراف على هذه الرسالة، وإسداءِ النُّصح والتوجيه، فجزاه الله خير الجزاء.

والشكر ممتدٌ إلى الأستاذين القديرين الذَينِ شرُفتُ بقبولهما مناقشة هذه الرسالة:

فضيلة الأستاذ الدكتور/ رياض محمود قاسم، "مناقشًا داخليًّا".

فضيلة الأستاذ الدكتور/ عصام العبد زهد، "مناقشًا خارجيًّا".

فجزاهما الله عنّي خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أحتفي بجامعتي الإسلامية العريقة، وكليتي الحبيبة كليّة أصول الدين، وإلى كل أساتذتي الميامين في قسم التفسير وعلوم القرآن، على كرم عطائهم وجميل نصحهم أثناء الدراسة في مرحلة الدراسات العليا.

ولا أنسى أن أشكر رفيق دربي في الحياة، **أخي الحبيب/ رباح محمود المدهون**، الذي وقف بجانبي وكان له دور رائع في هذا الجهد المبارك.

وواصبُ دعواتي لكل من قدّم لي نصحًا أو مساعـــدة من زملائي في مرحلة الدراســة، ومن دعا لي بظهر الغيب، والشكر لكم جميعًا على وفائكم، أعانني المولى على الوفاء والبر لكل أحبتي.

---

(1)- الألباني: الجامع الصغير وزيادته، (ح 2719)، (2719/1)، وصحيح الجامع (ح1838).

فهرس المحتويات

إقـــرار.....ب
مُلخّص الرّسالة باللغة العربية.....ت
ألإهدَاْءُ.....ح
شكرٌ وتقديرٌ.....خ
فهرس المحتويات.....د
مقدّمـــة.....ز
الفصل التمهيدي قيمة الإنسان في الوصف القرآني.....1
المبحث الأول التكريم الربّاني للإنسان.....2
المطلب الأول: استخلافه في الأرض.....2
المطلب الثاني: تفضيل الإنسان على كثيرٍ من المخلوقات.....5
المطلب الثالث: توجيهه لحفظ النفس وعدم تعريضها للخطر.....9
المطلب الرابع: حرمة قتل النفس بغير حق.....11
المبحث الثاني مهمة الإنسان الأساسية في الأرض.....14
المطلب الأول: تمام العبودية والإذعان لله تعالى.....14
المطلب الثاني: تنفيذ أوامر الخالق ﷻ.....16
المطلب الثالث: تبليغ دين الله ودعوة الخلق إليه ﷻ.....17
المبحث الثالث سنة الابتلاء والحكمة منها وفوائدها.....26
المطلب الأول: الابتلاء سنة إلهية للتمحيص والاختبار:.....26
المطلب الثاني: التربية على الصبر والاحتساب.....29
الفصل الأول الحصار أنواعـه وأحكامـه.....32
المبحث الأول معنى الحصار وحُكمه.....33
المطلب الأول: معنى الحصار لغة واصطلاحًا.....33
المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة بمفهوم الحصار.....36
المطلب الثالث: حكم الحصار ونظائره.....38
المبحث الثاني: مواجهة الحصار وحكمه.....43
المطلب الأول: أهمية مواجهة الحصار وآثاره.....43

المطلب الثاني: أنواع الحصار.....45
المطلب الثالث: حُكم مواجهة الحصار ووجوب نصرة المسلمين المحاصَرين.....62
المبحث الثالث: أخطار الحصار وأنواعه.....70
المطلب الأول: أخطار الحصار وأضراره.....70
المطلب الثاني: أسباب حصار الأعداء للمسلمين.....74
المطلب الثالث: وسائل العدو في الحصار.....77
المطلب الرابع: فكر العدو القائم على الحصار.....91
الفصل الثاني الجوانب الإدارية لمواجهة الحصار في القرآن الكريم.....95
المبحث الأول أهمية القصص القرآني في مواجهة الحصار.....96
المطلب الأول: أثر الخطاب القرآني في فهم طبيعة الحصار.....96
المطلب الثاني: الجوانب الإدارية في القرآن الكريم وعلاقتها بإدارة الحصار.....105
المطلب الثالث: التوجيه القرآني الإداري للتعامل مع الحصار ونظائره.....109
المبحث الثاني كيفية التعامل مع العدو في الحصار.....116
المطلب الأول: أسلوب الحوار مع العدو.....116
المطلب الثاني: أسلوب الرسائل والسفراء.....119
المطلب الثالث: أسلوب القوة والحسم مع الأعداء.....124
الفصل الثالث منهج القرآن في مواجهة الحصار.....128
المبحث الأول منهج القرآن في بشارة الصابرين.....129
المطلب الأول: معنى منهج القرآن لغةً واصطلاحًا، وأهميته في فهم الواقع.....129
المطلب الثاني: منهجية القرآن في تهدئة النفوس وبعث الأمل.....132
المبحث الثاني الحلول العملية والوسائل القرآنية لمواجهة الحصار.....135
المطلب الأول: معنى الحلول العملية لغة واصطلاحًا وأهميتها.....135
المطلب الثاني: معنى الوسائل القرآنية لغةً واصطلاحًا وأهميتها.....137
المطلب الثالث: الحلول العملية لمواجهة الحصار.....139
المطلب الرابع: الوسائل القرآنية لمواجهة الحصار على المسلمين.....161
المبحث الثالث: مسئولية الأمة في مواجهة الحصار.....170
المطلب الأول: التكليف الربّاني لنصرة المسلمين لإخوانهم.....170
المطلب الثاني: مسؤولية الحاكم في مواجهة الحصار.....178

المطلب الثالث: دور المحاصرين في كسر الحصار. 184
الخاتمـــة 195
أولًا: أهم النتائج:..... 195
ثانيًا: أبرز التوصيات:..... 196
المصادر والمراجع..... 198
الفهارس العامَّـة..... 219

مقدّمـــــــة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للنّاس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الذي أرسله ربه هادياً ومُبشّراً ونذيرا، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم البعث والنشور، وبعد:

فإنَّ من أجلّ نعم الله علينا أن أنزل إلينا كتابه العظيم فأنار به العقول، وأحيا به الضمائر والقلوب، وأزال الوساوس والأوهام من الصدور، وبيّن لنا طريق الهداية والسعادة، قال اللـه ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:9]، وذكر جلَّ ثناؤه أن الغاية من إنزاله أن يتدبّره أولوا العلم ليَقِفُوا على عجائِبه ويستخرجوا دُرَره ويكتشفوا حقائقه، ولن يصلوا لبُغيتهم إلا إذا أبحروا في أعماقه ، وفتحوا أصدافه ليتذوّقوا لذة تدبّره، وبذلك تزكو نفوسهم وتسمو أرواحهم ببركة هذا القرآن الكريم، قـال الله ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:29].

ولذلك أُمرنا أن ننشغل به تعلماً وتدبّراً وتعليما ليضيء دروب السائرين وينقذ التائهين بهذا النور الوهّاج، قال الله ﷻ:﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر:22].

ولمّا علِمْنا أن هذا الكتاب العزيز جاء ليضبط حياة الناس وينقلهم إلى سعادة الدارين، ـ فيريحهم من التعب والكدّ ويُذهب عنهم الهم والحزن، ويضع حلولاً لمشاكلهم التي لا تكاد تنتهي ـ كان لزاماً علينا أن نستنطق القرآن ونحاوره ونسأله، بحثاً عن ترياقٍ لأمراضنا وبلسمٍ لجراحات أمتنا الغائرة، فكانت هذه المحاولة لأقف مع القرآن وقفة أبحث فيها عن علاج لمشكلةٍ عانى منها المسلمون منذ القدم وما زالوا، ألا وهي مشكلة الحصار والتضييق، التي يصنعها أعداء العقيدة والإنسانية على مر العصور، فأسميت هذا البحث: " الحصار وسبل مواجهته في ضوء القرآن الكريم ـ دراسة موضوعية ـ"، لنرى كيف تعامل القرآن مع هذا الأمر وكيف خاطب المؤمنين الذين عاشوا هذه الأوضاع الصعبة.

ونرى اليوم على أرض الواقع بعض بلاد المسلمين تتعرّضُ إلى حصارٍ خانقٍ، ومكرٍ وتضييقٍ قاتل، بعضه بسبب احتلال الأرض بالقوة والاستيلاء على خيراتها ومقدّساتها وحبس أهلها كما يحدث في فلسطين ـ وهذا هو محط البحث الأساس ـ والعراق وسوريا، وغيرها،

والبعض الآخر بسبب ظلم الحكام والمنافقين ممن والَى غير الله ورسوله والمؤمنين، فعُوقبت الشعوب بالحرمان من الحقوق وفُرض الحصارُ عليها.

فلا ينفع بحال أن تستمر البلاد في حصار قاتل!، بل لابد من حلول لانتشال البلاد من الأزمات التي تُهلك الحرث والنسل، وتحطم معنويات العباد، ولا تتحمّلها الشعوب المضطهدة والمستضعفة، والبحث عن حلولٍ عمليةٍ باستمرار وعلى مدار الساعة واستغلال العقول والطاقات.

فعلينا أن نعمل بكل طاقتنا لرفع الظلم وكسر الحصار عن المستضعفين، وأن يتعاون الحاكم والرعية في ذلك، قال الله ﷻ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ [المائدة:2].

فكانت هذه المحاولة لكسر القيود التي تُكبّل الشعوب، ولوضع الجميع أمام مسئولياتهم؛ لتمضي السفينة إلى بر الأمان ويعيش المستضعفون في أرضهم سالمين، وتوجيه المسلمين إلى القرآن من جديد ليبثّ الحياة فيها ويُصلح ما أفسده العابثون، سائلًا مولاي ﷻ التوفيق والسداد والقَبول.

أولاً: أهمية الموضوع:

هذا الموضوع له أهمية كبرى، حيث إنَّ دراسته تفيد البحث في:

1- إبراز قيم القرآن، والحث على زيادة التدبّر والتأمّل في كتاب الله، وإظهار قيمته العظمى في أنه كتاب هداية وبيان، وأنه يشتمل على كل ما يحتاجه الناس في حياتهم.
2- يساهم طرح هذا الموضوع في الوقوف على أسباب الحصار لطرحها في مؤتمرات الأمة الإسلامية للعمل على دراستها وحل المشكلة من جذورها وصد هجمات الأعداء المتتالية.
3- إنَّ هذا البحث هو تطبيقٌ عملي لسنة الأخذ بالأسباب، والبحث عن الحلول الواقعية من خلال السنن الكونية وقصص القرآن، والتي أسهمت كثيراً في صلاح الأرض وإنقاذ أهلها من الأخطار والكوارث.
4- إنَّ هذا الموضوع على أهميته الملحّة وضرورته المعاصرة لم يُكتب فيه رسالة علمية كدراسة قرآنية مستقلّة . في حدود علمي . فأحببت أن يثري المكتبة القرآنية إضافة جديدة تنفع الأمة والإنسانية.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختيار الموضوع إلى أمور منها :-

1- أهمية الموضوع، والمساهمة في بيان قيمة الإنسان وحرمة الاعتداء عليه بغير حق.

2- كونه يحمل همّاً من هموم المسلمين القديمة والمعاصرة ويمسّ واقعهم، وقناعتي بوجوب العمل على رفع الظلم والحصار عن المستضعفين.

3- اشتداد المحنة والكرب على المسلمين في البلاد والمناطق المحاصرة، وتقطيع أواصر الوطن وحرمان المسلم من زيارة أهله وأرضه، وتعطيل مصالحه الحياتية، وحاجة الناس إلى الأمن والرخاء.

4- تعريض الأسرة المسلمة لخطر المشاكل الأسرية بسبب الفقر والحصار.

ثالثاً: أهداف الموضوع وغايته:

يهدف طرح هذا الموضوع إلى تحقيق عدد من الفوائد ومنها:

1- بيان كيفية التعامل مع الحصار وإدارته من كافة النواحي.

2- تجلية الصورة القرآنية لمشكلة الحصار من خلال تتبع وفهم الآيات وأقوال العلماء والمفسّرين للوصول إلى حلول عملية ونتائج واقعية.

3- لفت أنظار غير المسلمين إلى أهمية التعامل مع الإنسان، وتوجيه عناية العالم إلى البلاد المحاصرة وخاصة فلسطين التي تشمل الأراضي المقدّسة.

4- الخروج بخطة مستقبلية عملية وواقعية تساهم في قوة الأمة ورسم مستقبلها نحو النصر والتمكين.

رابعاً: الجهود والدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع لم أجد . حسب إطلاعي . إلا القليل من المصنّفات والرسائل العلمية التي تناولت موضوع الحصار بشكل جزئي، لكن لم يفرده أحد في التصنيف نظراً لحداثة هذا الموضوع من جهة زخمه واتّساعه. ولكن بعض الأبحاث والمقالات ومواقع الإنترنت تناولت الموضوع بعمومه أو تلميحات سريعة، وهذه بعض المراجع التي تناولت الموضوع لكنها إمّا دراسة فقهية، أو من خلال السنة النبوية:

1- جريمة الحصار في ميزان الشريعة، د. سلمان الداية، بحث منشور، موقع سبل السلام.

2- الصبر والثبات في مواجهة الحصار، دراسة تطبيقية على حصار قريش للنبي ﷺ ومن معه، د نعيم الصفدي، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية **أبريل/ 2007.**

3- الأساليب النبوية والعصرية في فك الحصار عن الدعوة الإسلامية . د. رمضان الزيان، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية **أبريل/ 2007.**

4- كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار؟ أنور الجندي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى،1985.

5- جريمة حصار غزة "دراسة شرعية"، للباحثة ضياء أحمد.

خامساً: المنهجية المتبعة في البحث:

اجتهدتُ في هذا البحث في اتّباع المنهج الاستقرائي الموضوعي، وكانت طريقتي في البحث كما يأتي:

1- جمع الآيات التي تتحدث عن الموضوع سواء كانت بألفاظ مباشرة، أو بألفاظ قريبة منها، أو بألفاظ لها اتصال بها.

2- الاطلاع على تفسير الآيات التي أوردت الموضوع ودراستها بعمق وربطها بالواقع.

3- توزيع الآيات على المواضيع، كلٌ بحسب موضوعها الخاص وأهميتها ودلالتها.

4- الخروج بأهم الدروس العملية والنتائج الواقعية وتقديمها لأُلي الأمر والرعية، وذلك بعد تحليل الآيات وربطها بقصص القرآن والمواقف المهمة في القرآن.

5- الاستئناس بمواقف السُنّة أحياناً لما لها من أثر في إبراز المعنى القرآني، وكذلك أقوال السلف وبعض المعاصرين.

6- تناول المسائل الفقهية التي يَرِد ذكرها في البحث بإيجاز وتأييدها بالأدلة وذكر القول الراجح.

7- وعند ختام البحث دوَّنتُ منهجيات العمل التي رأيتُ أنها عُصارةُ فكريةٌ مخزونةٌ بالفوائد، محشوةٌ بالعمل، ويمكن أن تَتَحوَّل إلى طاقةٍ فعّالة حتى لا تبقى أفكارنا حبراً على ورق يتلاشى مع مرور الزمن، أو يبقى حبيسَ الكتب، وهذه الطاقة ستكونُ مُنتِجةً إذا وَجدت الكَادِر الذي يُحرِّكها ويُساهم من خلالها في إعادة ترميم وبناء مجد الأمة حسب إمكانياته وطاقته، إذ إن البحثَ وصلَ إلى نتيجةٍ مهمة وهي أن غير المسلمين ما

أبدعوا في الاختراع والإنتاج وما سبقوا المسلمين في التطوّر والتكنولوّجيا الحديثة إلا من كثرة المحاولات والتجريب فحوّلوا طاقة العقل البشري إلى قوة وعمل.

8- توثيق المادّة العلمية في البحث كما يأتي:

أ- عزو الآيات إلى موطنها في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك في المتن وليس في الحاشية.

ب- تخريج الأحاديث والاكتفاء بما جاء في الصحيح منها وتقديم ما جاء في صحيحي الإمامين البخاري ومسلم، وذلك بذكر المصدر واسم الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث.

ت- التعريف بالأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في البحث تعريفاً مختصراً.

ث- التعريف بالطوائف والمنظمات المذكورة في البحث تعريفاً مختصراً.

ج- التعريف بالأماكن والمواضع التي تمر في البحث بصورة موجزة.

ح- توثيق أقوال العلماء والنقول بإحالتها إلى مواضعها من كتبهم بذكر الجزء إن وُجد ورقم الصفحة.

سادساً: خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن تأتي في مقدّمة وفصلٍ تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس علمية:

المقدمة وتشتمل على:

1- أهمية الموضوع.

2- أسباب اختيار الموضوع.

3- أهداف الموضوع وغايته.

4- الجهود والدراسات السابقة.

5- المنهجية المتبعة في البحث.

6- سادساً: خطة البحث.

الفصل التمهيدي

قيمة الإنسان في الوصف القرآني

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التكريم الربّاني للإنسان

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: استخلافه في الأرض.

المطلب الثاني: تفضيله على كثيرٍ من المخلوقات.

المطلب الثالث: توجيهه لحفظ النفس وعدم تعريضها للخطر.

المطلب الرابع: حرمة قتل النفس بغير حق.

المبحث الثاني: مهمة الإنسان الأساسية في الأرض

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تمام العبودية والإذعان لله تعالى.

المطلب الثاني: تنفيذ أوامر الخالق سبحانه.

المطلب الثالث: تبليغ دين الله ودعوة الخلق إليه سبحانه.

المبحث الثالث: سنة الابتلاء والحكمة منها وفوائدها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الابتلاء سنة إلهية للتمحيص والاختبار.

المطلب الثاني: التربية على الصبر والاحتساب.

الفصل الأول

الحصـــار أنواعـــه وأحكامـــه

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الحصار وحُكمه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الحصار لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة بمفهوم الحصار.

المطلب الثالث: حكم الحصار ونظائره.

المبحث الثاني: مواجهة الحصار وحكمه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية مواجهة الحصار وآثاره.

المطلب الثاني: أنواع مواجهة الحصار.

المطلب الثالث: حُكم مواجهة الحصار ووجوب نصرة المسلمين المحاصَرين.

المبحث الثالث: أخطار الحصار وأسبابه وأنواعه

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أخطار الحصار وأضراره.

المطلب الثاني: أسباب حصار الأعداء للمسلمين.

المطلب الثالث: وسائل العدو في الحصار.

المطلب الرابع: فكر العدو القائم على الحصار.

الفصل الثاني

الجوانب الإدارية لمواجهة الحصار في القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أهمية القصص القرآني في مواجهة الحصار

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر الخطاب القرآني في فهم طبيعة الحصار.

المطلب الثاني: الجوانب الإدارية في القرآن الكريم وعلاقتها بإدارة الحصار الاقتصادي.

المطلب الثالث: التوجيه القرآني الإداري للتعامل مع الحصار ونظائره.

المبحث الثاني: كيفية التعامل مع العدو في الحصار

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب الحوار مع العدو.

المطلب الثاني: أسلوب الرسائل والسفراء.

المطلب الثالث: أسلوب القوة والحسم مع الأعداء.

الفصل الثالث

منهــج القــرآن في مواجهــة الحصــار

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج القرآن في بشارة الصابرين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى منهج القرآن لغةً واصطلاحاً، وأهميته في فهم الواقع.

المطلب الثاني: منهجية القرآن في تهدئة النفوس وبعث الأمل.

المبحث الثاني: الحلول العملية والوسائل القرآنية لمواجهة الحصار

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الحلول العملية لغة واصطلاحاً وأهميتها.

المطلب الثاني: معنى الوسائل القرآنية لغةً واصطلاحاً وأهميتها.

المطلب الثالث: الحلول العملية لمواجهة الحصار.

المطلب الرابع: الوسائل القرآنية لمواجهة الحصار على المسلمين.

المبحث الثالث: مسئولية الأمة في مواجهة الحصار.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التكليف الربّاني لنصرة المسلمين لإخوانهم.

المطلب الثاني: مسئولية الحاكم في مواجهة الحصار.

المطلب الثالث: دور المحاصرين في كسر الحصار.

سابعاً: الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

ثامناً: الفهارس: وتشتمل على:

1. فهرس الآيات القرآنية.
2. فهرس أطراف الأحاديث النبوية.
3. فهرس الأعلام المترجم لهم.
4. فهرس المصادر والمراجع.
5. فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيدي

قيمة الإنسان في الوصف القرآني

المبحث الأول

التكريم الربّاني للإنسان

خلق الله ﷻ الإنسان على وجه الأرض، وجعله عزيزًا مُكرّما، وإنَّ مجرد وجوده تكريم وهبة من المولى ﷻ، وتتجلّى ذروة هذا التكريم في المطالب التالية:

المطلب الأول: استخلافه في الأرض.

ويتكوّن هذا المطلب من عدة أمور كالتالي:

أولًا: تعريف الخليفة لغة.

مصدرٌ من: خَلَفَ يَخْلُفُ خِلافَة، أي كانَ خليفَته وبقي بعده [1].

ثانيًا: تعريف الخليفة اصطلاحاً.

عرَّفه الكفوي[2] بقوله: هو"من يخلف غَيره وَيقوم مقَامه، إِمَّا لغيبة المنوب عَنهُ، وَإِمَّا لمَوْته، وَإِمَّا لعَجزه، وَإِمَّا لتشريف الْمُسْتَخْلف، وعَلى هَذَا اسْتخْلف الله عباده فِي الأَرْض"[3].

ثالثًا: المراد من الخلافة والاستخلاف.

قال الله ﷻ: ﴿ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [النمل: 62] معناه: أن الذي يجعلكم خلفاء هو الله، أي: يستخلفكم في الأرض، بأن يجعل بعضكم وراء الآخر خليفة له، بحيث يذهب إنسان ويخلف الله غيره، ويذهب هؤلاء ويأتي بخلفاء غيرهم، ومعنى الخليفة كما قال الله ﷻ للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: 30]، أي: مُستخلف في الأرض خليفةً، ومُصَيِّر فيها خَلَفًا، أو: خلفاء يخلف بعضهم بعضاً[4]، وتعجّبت الملائكة من استخلاف الله للإنسان في الأرض لعلمها أنه قد يُفسد فيها بالمعاصي كما أفسدت الجن وسفكت

---

(1) انظر: أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب (210/2-212)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: ابن منظور، لسان العرب.

(2) الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، وهو صاحب (الكليّات)، كان من قضاة الأحناف، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى إستانبول فتوفي بها سنة(1094هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (38/2).

(3) أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية(427/1)، بتصرف يسير، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الكفوي: الكليات.

(4) انظر: محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن (488/1)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الطبري، جامع البيان.

الدماء[1]، وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [ص: 26]، أي: استخلفناك على الملك في الأرض، كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها[2]، فسمَّاه خليفة، وقال الراغب الأصفهاني[3]: "الخلافة: النيابة عن الغير، إما بغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف"[4].

والإنسان كله خليفة الله على الأرض، والخليفة من يخلف غيره في أمر، أَيْ يَقُومُ مَقَامَهُ فِيهِ، بمعنى أن الله رزق الإنسان عقلاً؛ ليفهم ويتدبر فيقبل أو يرفض، ليطيع أو يعصي، وهكذا الإنسان منذ خروجه إلى العالم ومنذ زرع الله فيه العقل والرشد فهو إما سيستجيب فتكون له الجنة والرضا، وإما أنه سيجحد ويشرك فتحل عليه اللعنة والغضب والخلود في النار[5].

وهذا الاستخلاف هو تشريف ربّاني للإنسان، فقد كرَّمه الله ﷻ بكل بأنواع التكريم، ويقتضي أن الإنسان خُلق لأمرين: أحدهما هو هذا الاستخلاف الذي يخصُّ الإنسان وحده، لا يُشرِكه فيها شيء من الخلائق، والثاني مشترك بين الإنس والجن وهو تحقيق العبادة لله.

رابعًا: المفهوم القرآني للخلافة.

"هو أن تقوم في الأرض أمةٌ، وحكومةٌ تأخذ على عاتقها هداية النوع البشري وسعادته، وتنشر لواءَ القسط الإلهي، وتمحق الظلم، والجور، والضلال، والطغيان، حتى لا تذر له أثرًا على وجه البسيطة، وتمد رواق الأمن والسكينة، والراحة، والطمأنينة على العالم بأسره، وتقيم ناموس العدل الإلهي الذي يسميه القرآن "بالصراط المستقيم" ... فتقيم ذلك الناموس في مشارق

---

(1) انظر: عبد العزيز بن عبد الله الراجحي: شرح تفسير بن كثير (28/2)، وأبو عبد الله محمد بن عمر الرازي: مفاتيح الغيب (392/2)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الرازي: مفاتيح الغيب.

(2) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (89/4)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الزمخشري: الكشاف.

(3) الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان)، سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من مؤلفاته: المفردات في غريب القرآن، وحلّ متشابهات القرآن، وكتاب تحقيق البيان، توفي سنة (502هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (255/2).

(4) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن (656/9)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الراغب: المفردات في غريب القرآن.

(5) محمد الطاهر بن عاشور: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (242/23).

ومحمد المنتصر بالله الكتاني: تفسير القرآن الكريم (85/2) بتصرف يسير، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الكتاني: تفسير القرآن العظيم.

الأرض، ومغاربها، وتنفذه في جميع بقاعها ونواحيها؛ حتى تصبح الكرة الأرضية جَنَّةً، ودارَ قرارٍ، وتكون السعادة ضاربةً فيها بأطنابها، والأمنية باسطةً جناحيها من فوقها!"[1].

والإنسان إنما أُهبط إلى الأرض"أي آدم عليه السلام " ليُحقق وذرّيته هذه المهمة وهي إصلاح الأرض بتوحيد الله ﷻ، ولتمضي سنة الله في خلقه، ومعلومٌ أنَّ الأرض لا تصلُح إلا بخليفةٍ صالحٍ يَسُوسُ أهلهَا ويدُلّهم على طريق صلاحهم ونجاتهم ، ويأخذُ على أيدي المنحرفين والعابثين حتى تستقر حياةُ النّاس.

خامسًا: واجبات الاستخلاف في الأرض وآثارها.

1- إقامة العدل.

بتحكيم كتاب الله ﷻ وسنة نبيّه ﷺ، لقوله ﷻ:﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾[ص: 26]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: 48]، وقال الله ﷻ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد: 25].

2- الدعوة لعبادة الله وحده.

قال الله ﷻ:﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: 36]، وقال الله ﷻ: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الأنعام: 162 – 163].

3- العمل على الإصلاح.

قال الله ﷻ: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: 88]، ونهى الله ﷻ عن الفساد في الأرض فقال:﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: 56].

---

(1) محمد رشيد بن علي رضا، ومجموعة من المؤلفين: مجلة المنار (45/23)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: محمد رشيد رضا: مجلة المنار.

4- **محاربة الشرك والنهي عنه.**

قال الله ﷻ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: 36]، وقال الله ﷻ: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام: 19].

5- **توحيد الأمة ولمّ شملها.**

العمل الجاد لإعادة اللحمة بين المسلمين وجمع كلمتهم على أمرٍ واحد، والتقريب بينهم قدر الإمكان، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: 52]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: 153]، "قال ابن عباس: أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَمَاعَةِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الِاخْتِلَافِ وَالْفُرْقَةِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَحْوِ هَذَا"[1]، وهذا من أساسيات الاستخلاف في الأرض الذي أراد المولى ﷻ من الإنسان المُستَخلف تحقيقه قبل الرحيل إلى الآخرة، وأيضًا الحفاظ على ممتلكات الدولة والأمة، ومصالح الشعوب والعناية بها، كل ذلك من مهام الاستخلاف المطلوبة.

فإذا أدَّى الإنسان هذه المهام على الوجه المطلوب، يكون قد قام بحق الاستخلاف الذي اِئتمنه عليه المولى ﷻ، وحقّق الثمار والآثار المرجوة من الاستخلاف، فينال رضوان الله ﷻ، وإلاَّ كان مخالفًا مشاكسًا، فيستوجب العقاب الإلهي.

المطلب الثاني: تفضيل الإنسان على كثيرٍ من المخلوقات.

قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 21 – 22].

وإنَّ المُتأمِلَ في حياة الإنسان يجدُ أن المولى ﷻ قد أسبغ عليه نعمه ظاهرة وبَاطِنَة، وآتاه من كلِ ما سأل ممّا تصلح به حياته، وعلّمَه أسماء الأشياء كلها، وخصّه بمزايا شتّى، قال

(1) أبو الفداء إسماعيل ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (365/3)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم.

الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: 70]، "قَالَ الْحَسَنُ: فُضِّلَ بَنُو آدَمَ عَلَى الْبَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ وَالْهَوَامِّ"[1]، "وعَنْ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: جعلناهم يأكلون بأيديهم وسائر الخلق يأكلون بأفواههم"[2]، وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ[3]﵁ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ﴾، "قَالَ: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيُنَعَّمُونَ، فَلَمْ تُعْطِنَا ذَلِكَ فَأَعْطِنَا فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ "[4]، وتتجلّى بعض مظاهر تكريم الله للإنسان والإحتفاء به فيما يلي:

1- تَمييزُ الإنسانِ بنعمةِ العَقلِ والفَهم.

كرَّمَ اللهُ ﷻ الإنسانَ وميَّزَه بالعقل عن بقيةِ المخلوقات في أمورٍ كثيرة، وبيَّنَ له سبيل الخير وسبيلَ الشر، ومنحه القدرة على إدراك الهُدى والضلال، والحق والباطل، ليختار أيهما شاء[5]، قال الله ﷻ: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: 10]، وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: 3]، ومن أشهر وأفضلِ ما يُزيّنُ قيمة الإنسانِ نِعمَة العَقلِ الذي يُميِّزُ به بين النافع من الضارِّ، ومن أوتي نعمة العقل فقد أوتي خيرًا عظيمًا وفضلًا كبيرًا، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: 269]، ولذلك جعل اللهُ ﷻ العقلَ مَنَاطَ التكليف، ومحل التشريف، يقول ﷺ: « رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ »؛ لأن

---

(1) يحيى بن سلام: تفسير يحيى بن سلام (150/1).

(2) جلال الدين السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور(402/9)، بتصرّفٍ يسير.

(3) زيد بن أسلم: أَبُو عَبْدِ اللهِ العَدَوِيُّ العُمَرِيُّ، الإِمَامُ، الحُجَّةُ، القُدْوَةُ، المَدَنِيُّ، الفَقِيْهُ، حَدَّثَ عَنْ: وَالِدِهِ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ، وَكَانَ لَهُ حَلْقَةٌ لِلْعِلْمِ فِي مَسْجِدِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، ظَهَرَ لزَيْدٍ مِنَ المُسْنَدِ أَكْثَرُ مِنْ مائَتَيْ حَدِيْثٍ، وله تفسير، توفي فِي ذِي الحِجَّةِ، سَنَةَ سِتٍّ وَثَلاَثِيْنَ وَمائَةٍ. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (316/5).

(4) أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني: تفسير عبد الرزاق (304/2).

(5) انظر: أبو الحجاج مجاهد بن جبر: تفسير مجاهد (730/1)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: مجاهد: تفسير مجاهد.

وانظر: الطبري: جامع البيان (438/24).

وانظر: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي: في ظلال القرآن (3910/6)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: سيد قطب: في ظلال القرآن.

النوم سلطانٌ على العقل، والمؤمنُ مثلاً: قد يكونُ شديدَ المرض، « وعن الصبي حتى يشبّ »؛ لأن عقله لم يتم، « وعن المعتوه حتى يعقل»[1]؛ لأن جنونه يمنعه من استخدام عقله.

2- **تركيب الإنسان في أحسن صورة لينتفع بحواسّه.**

قال الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: 4]، وقال الله ﷻ:﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: 7- 8] "يعني خلقك معتدل القامة"[2]، وتأمل روعة هذا البنيان الذي يتجلّى جماله في الخواص التالية:

أ- آتاه نعمة العقل الفارقة بين الإنسان وبين الحيوان، فهذا من خلق الإنسان في أحسن تقويم.

ب- آتاه قوة النطق فهو كائن فريد من نوعه، مُكرّم على سائر المخلوقات.

ت- آتاه قوة التصرف في المخلوقات بحيث سخرها الله ﷻ له.

ث- القدرة على أنواع الصناعات، فالإنسان عنده من الطاقات والقدرات ما جعله الله ﷻ بها قادرًا على تسخير ما في الأرض لصالحه، وهذا هو المعنى الأقرب[3].

3- **أنَّ الله ﷻ جعل الإنسان معتدل القامة على أحسن هيئة.**

قال الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: 4]، وهذه بلا شك من معاني خلق الإنسان في أحسن تقويم، فإذا قارنت الإنسان بغيره من الدواب والمخلوقات لَمستَ هذا التكريم العظيم، أولاً في الهيئة والصورة، فلا يوجد مخلوق هو أحسن هيئة من الإنسان؛ لأن من المخلوقات من يزحف على بطنه، ومن يمشي على أربع، أما الإنسان فهو المختص بأنه يمشي على رجلين معتدل القامة بقدرة الله تبارك وتعالى[4]، وهو القادر على أن يُرَكِبه في أي صورة وفق مشيئته، فاختياره هذه الصورة له منبثق من كرمه وحده، ومن فضله وحده، ومن فيضه المغدق على هذا الإنسان الذي لا يشكر ولا يقدر، بل يغتر ويسدر![5]، ولا يشكر إلا القليل، قال الله ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13].

---

(1) أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته (659/1)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الألباني: صحيح الجامع.

(2) أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي: بحر العلوم (555/3)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: السمرقندي: بحر العلوم.

(3) انظر: محمد أحمد إسماعيل المقدم: تفسير القرآن الكريم (173/4).

(4) المرجع السابق، نفس الصفحة، بتصرف يسير.

(5) انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن (3847/6).

4- **جعل الله ﷻ في الإنسان الإرادة ليتزوّد من الخير.**

النفسُ البشريَّة بطبعها أمّارة بالسوء كما في الآية الكريمة:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [يوسف: 53]، فإن انتصر على نفسه وهزم شهوته وتزوّد من التقوى وعمل الخير ليومِ معاده نجا بإذن الله ﷻ[1]، قال الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [فاطر: 32].

بينما جعل الخالقُ ﷻ الملائكة مُسيَّرين غير مُخيّرين، وجعلهم منقادين طائعين ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: 6]، وجُبلوا على العبادة، ولكلِ ملكٍ مقامٌ معلوم، وأمَّا الإنسان فقد جعلَ فيه الإرادة وجعله في محطّ اختبارٍ وابتلاء، وصار يُنازع الخير والشر، "والملائكة لهم عقولٌ وليس لهم شهوات، والأنبياء لهم عقولٌ وشهوات، فلمَّا نَهَوا أنفسهم عن الهوى، ومنعوها عمَّا تميلُ إليه الطباع، كانوا بذلك أفضل"[2]،

5- **زوال الدنيا عند الله ﷻ أهون من قتل مسلم بغير حق.**

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الأنعام:151]، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا﴾ [الإسراء: 33]، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم »[3].

ولا بدَّ هنا من وقفة مع ملايين الحوادث من القتل والتعذيب والحبس والتضييق والحصار التي يتعرّضُ لها الملايين من المسلمين في كثيرٍ من البلاد، ولا تكاد تجدُ بقعةً مشتعلة في العالم إلا وتعلمُ أنها أرضٌ يسكنها مسلمون موحّدون، يدفعون ضريبةً وثمنًا لانتمائهم

---

(1) مسألة تفضيل صالحي البشر على الملائكة مسألة خلافية: فمذهب أهل السُنّة هو ما ذكرت، والمعتزلة تُفضّلُ الملائكة، والأشاعرة من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع، والشيعة تُفضّل جميع الأئمة على الملائكة، لكن لم يُنقل عن أحد ممن له قول يؤثر إنَّ الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض [شرح الطحاوية] (1/241-242).

(2) ابن أبي العز الحنفي وآخرون: شرح العقيدة الطحاوية (1/243-244).

(3) الألباني: صحيح الجامع (2/905).

لـدينهم وتمسّـكهم بعقيـدتهم، مصـداقًا لقـول الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: 40].

فالإنسان خليفة الله في الأرض، ولا يحق قتلُ النفسِ إلا في حالات مقيّدة ، ولا يحلُّ الاعتداء على النفس المسلمة أو تعذيبها بالحصار والحبس وغيره إلا بمسوّغٍ شرعيّ، كما بيّنها حديث عبد الله بن مسعودٍ ﷺ أنَّ النبيَ ﷺ قال: « لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ »[1]

المطلب الثالث: توجيهه لحفظ النفس وعدم تعريضها للخطر.

أمر القرآنُ الإنسانَ بحفظ نفسه وعدم تعريضها للمخاطر والآلام، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ [البقرة: 195]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ [النساء: 29]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴾ [الإسراء: 31].

وكَفِل الشارع الحكيمُ للإنسانِ حقَّ الحياة والانتفاع بحواسه، والاستفادة من المخلوقات والأشياء التي حوله بما يخدمه ولا يؤذيها بغير وجه حقّ، وأمره أن يستعمل العقل والإمكانيات لإصلاح الأرض وعمارتها بذكر الله وتوحيده؛ وألّا يستعمل الشر فيما يؤذي المخلوقات، وإذا كان الشرعُ قد نهى عن إيذاء الطير والحيوان وغيره، ونهى عن حبسها؛ فكيف بحبسِ الإنسان ومحاصرته وهو الذي فُطِرَ على الحرية وحبّ الحياة، وهذا الحبسُ لا يتناسبُ مع وظيفة الإنسان الأساسية في الأرض، لكن أبَىَ صنفٌ من البشر إلا أن يخالف الفطرة، ويتسلّط على المخلوقات بالأذى المادي والمعنوي، كاليهود الذين تأصّل فيهم الحقد والبغضاء والكراهية لدين الله ولعباده، والنصارى الذين كفروا بربهم وأشركوا معه آلهة أخرى، والملاحدة وعبدة الأوثان وغيرهم ممن يضمرون لؤم الطباع وانحراف الفطرة، ومن والى غير الله ورسوله ﷺ، وهم

---

(1) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿ أنّ النفس بالنفس.....﴾ (ح 6878)، (5/9)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: البخاري: صحيح البخاري.

وأبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (ح1676)، (1303/3)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: مسلم: صحيح مسلم.

المنافقون الذين حكمَ بعضهم بلاد المسلمين بغير ما أنزل الله أو وَالوا أعداء الله ﷻ فتحالفوا معهم في وجه أهل العقيدة، فظلموا شعوبهم وسجنوا علماءهم وآذوا كلّ من خالفهم ، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: 57 – 58].

وتظهر عناية الإسلام بحماية النفس البشرية فيما يلي:

1- تحريم إتلاف النفس.

وإذا كانت شريعتنا قد جرّمت وحرَّمت إتلاف غير الآدمي أو الاعتداء عليه بغير وجه حقٍ، فكيف يكون الحال مع الإنسان، وكان هذا الإنسانُ مسلمًا موحدًا!!، إنَّ من الأمور المهمة التي قررتها الشرائع السماوية حفظ النفس وصيانتها من التلف، قال الله ﷻ:﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: 195]، فيجب حفظ النفس وحراسة الجسد، إذ إنَّ حفظها أحد الضرورات الخمس المعروفة، وهو مقدّم على حفظ الدين رغم كثرة الظلمة وقلة المسلمين[1]، ويكون حفظها كذلك بعدم تناول المسكرات والمحرّمات التي تُنهك الجسد وتُثقله بالهموم، وتُضعف العقل، وسيأتي ذكر حرمة الاعتداء على النفس وحكم قتلها بغير حق وذلك في المطلب الرابع.

2- جواز التقية لدفع الأذى.

ففي حالة الخطر الشديد أباح الشرع للإنسان أن ينطق بكلمة الكفر ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان، قال الله ﷻ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: 106]، وأعطى للمؤمن رخصة إظهار الولاء للأعداء في حالة الخطر، و"أباح الإسلام التقيّة وهى أن يتقي المسلم أذى المشركين بكلمة أو فعل؛ ليدفع عنه أذاهم، دون أن يدخل من ذلك شيء على قلبه وما انعقد عليه من إيمان"[2].

---

(1) انظر: عبد الكريم يونس الخطيب: التفسير القرآني للقرآن (1034/3)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الخطيب: التفسير القرآني للقرآن.

وانظر: محمد بن علي الشوكاني: الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (5091/10)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الشوكاني: الفتح الرباني.

(2) الخطيب: مرجع سبق ذكره (431/2).

3- أكل الميتة عند الضرورة.

وهي رخصة ربّانية عند الضرورة، وتصير واجبة إذا شارف على الهلاك "قطعًا أو ظنًا، فلا يشترط أن يصبر حتى يشرف على الموت، وحكمها في المذاهب الأربعة: وجوب الأكل من المحرَّم، بمقدار ما يسد رمَقَه، ويأمن معه الموت، لقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 173]...، وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: 195]، فإن ترك الأكل والشرب حتى هلك، فقد عصى؛ ـ إلا في حالة خاصّة كإضراب الأسرى عن الطعام في سجون الأعداء كأسلوبٍ للضغط على إدارة السجن لتلبية مطالبهم، وهذا له أحكامه الخاصّة ـ لأن فيه إلقاء إلى التهلكة، وهو منهيٌ عنه في محكم التنزيل، ولأنه قادر على إحياء نفسه بما أحله الله له، فلزمه، كما لو كان معه طعام حلال"[1].

"وللضرورة يستباح في المذاهب الأربعة كل شيء مُحرّم، ليرد الجوع أو العطش، كالميتة من كل حيوان والخنزير وطعام الغير"[2]، "وأجاز الجمهور شرب الخمر عند ضرورة العطش أو الغصص أو الإكراه قدر ما تندفع به الضرورة؛ لأن الحفاظ على الحياة يقتضي إباحة كل ما يطفئ الظمأ"[3].

المطلب الرابع: حرمة قتل النفس بغير حق.

جاءت الآيات بالوعيد والترهيب الشديد لمن خالفَ أوامر الجبار ﷻ واعتدى على بنيانه في الأرض، فقال ﷻ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 93]، وقال ﷻ:﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: 41-42].

---

(1) وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ: الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ "الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها" (2602/4)، بتصرف يسير، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته.

(2) المرجع السابق (4/ 2606) بتصرّف.

(3) المرجع السابق (2611/4) بتصرف يسير.

وفي حديث ابْنِ عُمَرَ " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا"، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا »[1].

وتظهر عناية الإسلام بالإنسان، وعدم إكراهه على الدخول في الدين، من خلال ما يلي:

- **أولاً: الإنسان في المنظور الإسلامي.**

الإسلامُ كرّمَ الجنس البشري بشكل عام، ولم يأخذ اللون أو الجنس كمقياسٍ في هذا التكريم العام للإنسان على غيره، فكانت نظرة عادلة كما بيَّنت الآية الكريمة:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ فكرَّم البشر مسلمهم وغيره، ورزق الجميع، وبهذه الرؤية وهذا المنطق كان تعامل النبي ﷺ مع الناس جميعًا، يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: 151]، فالأمر هنا عام، يشملُ نفوس المسلمين وغير المسلمين؛ فالعدلُ في الشريعة مطلق لا يتجزأ[2]، "وهذه الآية نهيٌ عن قتل النّفس المحرَّمة، مؤمنةً كانت أو معاهدة، إلا بالحقِّ الذي يُوجبُ قتلها"[3].

و" لقد كان ﷺ يتعامل مع نفوسٍ بشرية مكرّمة، فلا يجوز إهانتها أو ظلمها، أو التَّعدّي على حقوقها، أو التقليل من شأنها، وهذا واضحٌ بيِّن في آيات القرآن الكريم، وكذلك في حياة الرسول ﷺ "[4]، وروي أَنَّ « قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ، وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَقَالَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ، فَقَامَ فَقِيلَ: إِنَّهُ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا»[5]، والقصة مشهورة في كتب السُنَّة.

- **ثانياً: منهج الإسلام في الدعوة ليس بالإكراه.**

وأمَرَ الخالق ﷻ المسلمَ أن يدعوَ غير المسلم إلى الإسلام والتوحيد بالحكمة والبرهان والموعظة الحسنة، قال الله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125]، ونهانا عن إكراه الناس على الإسلام فقال

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ (ح6862)، (9/2).

(2) انظر: راغب السرجاني: أخلاق الحروب في السُنّة النبوية (ص:30-34).

(3) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (133/7)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن.

(4) السرجاني: مرجع سبق ذكره (ص: 30).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي (ح1312)، (85/2). ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة (ح961)، (661/2).

ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: 99]، وقال الله ﷻ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256]، وأمَرَنا أن نُقاتل من حالَ بين الناسِ وبين بلوغ دين الله إليهم بعد إنذارهم وإقامة الحجة عليهم، وهذا هو منهج النبي ﷺ، الذي كانَ إذا شيّع جيشاً كان يوصيه، وسارَ على هذا خلفاؤه الراشدون والسلف من بعدهم، ويشهدُ لهذا حديثُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»، فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: « فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ»، فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[1].

وفي الفتوحات علّمنا دين الإسلام أنَّ المسلم لا يبدأ دعوته بالقتال إلا من بدأ المسلمين بالقتال، قال الله ﷻ: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾ [البقرة: 191]، وأنَّ الحرب هي العلاجُ الأخير إن أبوا فتح الطريق للدعاة لتبليغ رسالتهم، "وكان ﷺ يأمرُ أمير سريَّته أن يدعو عدوَّه قبل القتال إمَّا إلى الإسلام والهجرة، أو إلى الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين ليسَ لهم في الفيء نصيب، أو بذل الجزية، فإن هم أجابوا إليه قَبِل منهم وإلا استعان بالله وقاتلهم"[2].

هذه نظرة الإسلام للإنسان، وهذا هديه في التعامل مع الجنسِ البشري، إنها نظرة رحمة وشفقة وحبٍّ للخير، ودعوة للعيش وفق مراد الله ﷻ لهذا المخلوق المُكرّم.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ ، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ ﷺ (ح3701)، (18/5). ومسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ (2404)، (1872/4).

(2) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد (91/3)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: ابن قيم الجوزية: زاد المعاد.

المبحث الثاني

مهمة الإنسان الأساسية في الأرض

إنَّ وجود الإنسان في الأرض لم يكن صدفة ولا عبثًا، وإنما خلقه الله ﷻ ليكون له الدور المركزي في عمارة الأرض وإصلاحها، وتبرز مهمة الإنسان الأساسية في الأرض من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تمام العبودية والإذعان لله تعالى.

نظَّمَ الإسلامُ علاقة الإنسان بربه ﷻ بعبادته وتوحيده وشكره، وعلاقته بسيد الخلق ﷺ بطاعته ومحبته وحسن اتّباعه، وعلاقته مع غيره من جنسه، ونظَّم له علاقاته المالية والأخلاقية، والمعاشرات، ونهاه عن الشر والفساد في الأرض، كالشرك بالله، والقتل بغير حق، وأكل أموال الناس بالباطل، وقتل المخلوقات بغير سبب شرعي ـ إلا ما أباح الإسلام قتلها من الفواسق ـ، وغيره[1]، ولن يكون الإنسانُ عبدًا تامَّ العبودية لربه ﷻ إلا إذا كان كامل التسليم والإذعان بلا نفور أو إعراض أو تكبُّر في كلّ ما أمره به، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: 51–52]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: 162–163]، ويتَّضح هذا المعنى من خلال تعريف العبادة اللغوي والشرعي التالي:

أولًا: العبادة لغة.

تأتي العبادة في اللغة على خمسة معانٍ وهي: الخضوع، والذلّ، والطاعة، والتمليك، والتّنسُّك، والتوحيد[2]، "وَنِيَّة الْعِبَادَة: هِيَ التذلل والخضوع على أبلغ الْوُجُوه"[3]، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

---

(1) انظر: محمد بن إبراهيم التويجري: مختصر الفقه الإسلامي (ص: 1032–133)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: التويجري: مختصر الفقه الإسلامي.

(2) انظر: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري: معجم الفروق اللغوية (221/1)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: العسكري: الفروق اللغوية.

وانظر: الكفوي: الكليات (597/1)، وعبد الرحيم بن صمايل السلمي: شرح رسالة العبودية لابن تيمية (8/13)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: السلمي: العبودية.

(3) الكفوي: الكليات (903/1).

ثانيًا: العبادة شرعًا.

" اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة" [1]، "فكلما حقق الإنسَان ذلك كلما كَانَ أعلى في الكمال، وأكثر اقتداءً بالنبي ﷺ الذي هو الغاية، والذروة في كمال العبودية لله ﷻ"[2].

وعرَّفها الجرجاني[3] بقوله: هي "فعل المكلف على خلاف هوى نفسه؛ تعظيمًا لربه"[4].

ووظيفة العمر الحقيقية للإنسان هي عبادة الله ﷻ، والتقلّب في رياض هذه العبادة، قال الله ﷻ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: 5].

ثالثًا: شروط العبادة.

وهذه العبودية التَّامة لا تُقبل "إلا إذا توفّر فيها شرطان: الإخلاص لله، والمتابعة للرسول ﷺ"[5]، " قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ في قوله ﷻ: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ ﴾ [الملك: 2]. قال: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وما أصوبه؟، قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، فإذا فقدت العبادة الشرطين أو أحدهما بطلتْ "[6].

رابعًا: التفاضل بين المكلّفين بالتقوى.

لمَّا كان الإيمان يزيدُ وينقُص؛ كان الناسُ يتفاضلون حسب زيادة الإيمان ونقصه، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: 13]، يعني: إنَّ أكرم المؤمنين عند الله المتقون، و"جعل الله ﷻ سعادة الإنسان وشقاءه بحسب ما يصدرُ منه من الإيمان والأعمال

---

(1) السلمي: العبودية (44/1).

(2) سفر بن عبد الرحمن الحوالي: شرح الطحاوية (416/1).

(3) الجرجاني: علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية، وله نحو خمسين مصنفا، توفي سنة(816هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (7/5).

(4) علي بن محمد الجرجاني: كتاب التعريفات (146/1).

(5) محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد: رسائل الشيخ الحمد في العقيدة (1/2)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الحمد: رسائل الحمد.

(6) انظر: السلمي: العبودية (ص: 76)، والحمد: مرجع سبق ذكره (10/2).

الصالحة، أو ضدها من الكفر والأعمال السيئة"[1]، قال الله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحـــــل: 97]، وقال ﷻ: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة: 18].

المطلب الثاني: تنفيذ أوامر الخالق ﷻ.

من أهم الواجبات التي أوكلها المولى ﷻ للإنسان في الأرض ما يلي:

1- عبادة الله وحده وترك ما سواه مما لا ينفع ولا يضر.

يجب إفراد المولى ﷻ بالعبادة وحده وترك الشرك، قال الله ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: 165]، وقال الله ﷻ:﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 22].

2- إقامة العدل في الحكم والقوة والحكمة في تنفيذ الحقّ.

حتى لو كان الخلاف بين مسلم وغير مسلم فلا يجوز الميل واتّباع الهوى، بل لا بد من إقامة القسط في الأرض، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: 42].

3- التفكّر في خلق السموات والأرض.

يهدف التأمل في الشواهد الكونية إلى الوصول للخالق الحقّ وزيادة الإيمان، والاستفادة من المشاهَدات، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمـــران: 190]، وقال الله ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصـــلت: 53].

(1) التويجري: مختصر الفقه الإسلامي (ص: 1029).

4- المتابعة على طريق المرسلين.

يمضي الدعاة السير على طريق الأنبياء والمرسلين؛ لإنذار الغافلين وتعليم الجاهلين، ويُدرّبوا أنفسهم على الصبر، ومراعاة تفاوت العقول والأفهام، مخاطبتهم على قدر علمهم ووعيهم، وألاَّ يتعجّلوا النتائج، قال الله ﷻ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ﴾ [الأحقاف: 35]، وجاء في الحديث الشريف أنَّ النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...»[1].

" ولهذا كانتِ الرسل وأتباعهم يصبرونَ عَلَى الأذى في الدعوة إِلَى الله، ويتحملونَ في تنفيذ أوامر الله من الخلقِ غايةَ المشقةِ وهُم صابرونَ؛ بل رَاضُونَ بذلك، فإن المحبَّ ربما يتلذذُ بما يُصيبهُ من الأذى في رضى مَحبوبهِ، كما كانَ عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيز –رضي اللَّه عنهما– يقولُ لأبيهِ في خلافتهِ إذا حرصَ عَلَى تنفيذِ الحقّ وإقامةِ العدلِ: يا أَبَتِ، لوَدِدْتُ أَني غَلتْ بي وبكَ القُدورُ في الله عزَّ وَجَلّ"[2].

المطلب الثالث: تبليغ دين الله ودعوة الخلق إليه ﷻ.

وتتجلّى معالم هذا التبليغ وهذه الدعوة في الأمور الآتية:

1- الدعوة مهمة الأنبياء والمرسلين.

من أشرف مهمات الأنبياء والدعاة والنَّاصحين دلالة الخلق على الخالق ﷻ؛ بإقامة دينه في الأرض، وتعبيد الناس لربهم ﷻ، بالإنذار والترغيب والترهيب، وهذه أهم أهداف دعوة النبي محمد ﷺ، ويأتي الخطاب الإلهي للنبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [الأحزاب: 45]، وأمره بالبلاغ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: 67].

وبهذا يجدرُ بالداعية أن يفتخر بمهمته الدعوية الربّانية، وهو يُنتدبُ ليسير في طريق الأنبياء والرسل وسبيل المصلحين، ليبثُّ أنفاس الحياة في القلوب الميتة لتدبّ فيها الحياة بذكر

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (ح3461)، (170/4).

(2) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي: مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (77/1-78)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: ابن رجب: مجموع رسائل ابن رجب.

الله تعـــــالى القائـــــل: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[الأنعام: 122]، وينطلق بهمةٍ وثّابة يبذُرُ الخير وينثر الطمأنينة بين عباد الله؛ فيحصل على وسام الدعوة الذي لا يضاهيه وسام، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصـــــلت: 33]، " وكيف لا نحملُ همَّ الدعوة والميدان الدعوي يطلبنا ويستصرخ نجدتنا، إنَّ ديننا يمسي ويصبحُ تحت القصف ولا ناصرَ ولا مغيث، ونحن نرى أمة المليار لم تحصد في ميادين الإنجاز سوى القليل، ونرى المنكرات تملأ الأرجاء، وقد علا صوت الباطل وعربد، وخَفَتَ صوت الحق وانزوى"[1]، ونشاهد بلاد المستضعفين المحاصرة بالنار والحديد، والعلماء مُكبّلون ومُلاحقون، لقد استفحل الفساد وعمَّ الخبث، وظهر الفسادُ في البرِّ والبحر بما كسبت أيدي الناس، وعمد كثيرٌ من جهلة القوم إلى خرق سفينة النجاة لإغراقها، وإذا اكتفى المصلحون بالمراقبة من بعيد فإنَّ السفينة بلا شك ستتحطّم وتغرق، وعندها ستكون النتائج كارثية أكثر مما يتخيّله العقل، ولذلك لا بدَّ من إشعال فتيل الدعوة واستنفار الدعاة؛ فـ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: 71]، والهدف إرشاد التائهين وتبصير الحيارى، والأخذ على أيدي العابثين، وهذا من أجلّ مقاصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- اختلاف الشرائع والغاية واحدة.

فكلُّ الأنبياء رغم تباعد الأزمنة واختلاف شرائعهم، إلا أنهم جميعًا جاءوا لتقرير عقيدة وغاية واحدة وهي (لا إله إلا الله)، قال النبي ﷺ: « وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»[2]، فالأب واحد والأمهات مختلفات، لكنّ العقيدة واحدة، وقال الله ﷻ: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد: 19]، والهدف واضح وهو ألا يصرف المخلوق شيئًا من العبادة لمن لا يستحقها من الأنداد والأصنام والمخلوقات، ويتَّضح هذا من خلال النظر في طريقة دعوة الرسل والأنبياء عليهم السلام لأقوامهم، قال الله ﷻ حكاية عن نوح عليه السلام وهو يدعو قومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: 59]، وقال: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

(1) خالد أبو شادي: يا صاحب الرسالة (ص:21-22).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (ح3443)، (167/4).

تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 62]، وحكاية عن نبي الله هود عليه السلام قال ﷻ: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: 65]، وحكاية عن نبي الله صالح عليه السلام قال ﷻ: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف: 73]، وعلى لسان نبي الله شعيب عليه السلام قال ﷻ: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: 36]، وأيضًا في سيرة النبي ﷺ التي تربّى فيها الجيل الأول من الصحابة الكرام رضي الله عنهم على صفاء المنهج، وعمق العقيدة، وثبات الإيمان، والمواقف ما زالت حية وهي كثيرة، فها هو ربعي بن عامر رضي الله عنه الجندي في جيش سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، دار حوارٌ بينه وبين رستم قائد الجيش الفارسي في وقعة القادسية، قال له رستم: ما الذي دعاكم إلى حربنا والولوع بديارنا؟[1]. "قَالَ: اللَّهُ ابْتَعَثَنَا، وَاللَّهُ جَاءَ بِنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ مِنَّا ذَلِكَ قَبِلْنَا ذَلِكَ مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَتَرَكْنَاهُ وَأَرْضَهُ يَلِيهَا دُونَنَا، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا، حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ"[2].

3- أداء حق أمانة الدعوة.

" فإذا كان للحمل ولادة، والولادة قادمة لا بدّ لها من مخاض، ولا بدّ للمخاض من آلام- سنّة الله وحكمته- يتحملها المسلم بنفس راضية، وروح وفيّة قوية، حتى لو كانت الولادة تورث الموت... ولا بد- بعون الله ﷻ وفضله- أن تشرق الأرض مرة أخرى بنور الله المبين، ويهتف أهل الأرض أجمعين بالألوهية والربوبية والعبودية لله وحده ﷻ، ونبوة الرسول الكريم ﷺ قائدًا وزعيمًا، وبالقرآن الكريم دستورًا وكتابًا مبينًا، وبالجهاد سبيلًا، مهما تحلّك الظلام، وتجهَّم الطغاة والطُّغام، إن شاء الله تعالى"[3].

قال ابن قيِّم الجوزية: " ولا يكون من أتباع الرسول على الحقيقة إلا من دعا إلى الله على بصيرة، قال الله ﷻ: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾

---

(1) انظر: محّمد سَعيد رَمضان البوطي : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (71/1)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: البوطي: فقه السيرة النبوية.

(2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (520/3).

(3)عبد الرحمن علي الحجي: السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها(271/1-272) بتصرف يسير.

[يوسف: 108]، فقوله ﴿ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ تفسير لسبيله التي هو عليها، فسبيله وسبيل أتباعه: الدعوة إلى الله، فمن لم يدعُ إلى الله فليس على سبيله"[1].

ولذلك ينبغي على الدعاة ألاّ يتقاعسوا عن أداء واجب الرسالة وإيصالها إلى أكبر قدر ممكن حتى يُعذروا إلى ربهم ﷻ أنهم بلّغوا، ويقيموا الحجة على أهل الأرض، وينالوا هذا الشرف الرفيع والطاعة لرب البرية ﷻ.

4- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولًا: فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إنَّ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في هذا الدين، وأعظم مهمات ابتعاث الرسل، ولولاه لفسدت الأرض، ولتعطّلت النبوة، وهلك العباد"[2].

قال الله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: 14]، هذه الآية حجة ظاهرة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فنصر الله إنما هو نصر دينه، والعمل على إظهاره، والأخذ على يد من أراد إهانته[3]، وقال الله ﷻ:﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: 104]، وقال الله ﷻ:﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110].

وجاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[4]، قال القرطبي: " أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّ الْمُنْكَرَ وَاجِبٌ تَغْيِيرُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَلْحَقْهُ بِتَغْيِيرِهِ إِلَّا اللَّوْمُ الَّذِي لَا يَتَعَدَّى إِلَى الْأَذَى فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجِبُ أَنْ يَمْنَعَهُ مِنْ تَغْيِيرِهِ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَبِلِسَانِهِ،

---

(1) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (21/1).

(2) الشيخ أحمد فريد: مواقف إيمانية (ص:119) بتصرّف.

(3) انظر: محمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل (225/9)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: القاسمي: محاسن التأويل. وسعيد حوّى: الأساس في التفسير(5888/10).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ (ح49)، (69/1).

فَإِنْ لم يقدر في قلبه لَيْسَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَإِذَا أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَدَّى مَا عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ سِوَى ذَلِكَ"[1].

" وجاء عن بعض الصالحينَ أنه لمّا تولّى القضاء قال: إني أتولاهُ لِأَستعينَ بهِ عَلَى الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنُكر"[2].

ثانياً- مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

"هذه المسئولية تتأكد على كلٍ من العلماء والحكام بشكل خاص وعلى الآحاد من المسلمين بشكل عام، فالعلماء يعرفون من شرع الله ما لا يعرفه غيرهم من الأمة ولهم هيبة في النفوس واحترام في القلوب مما جعل أمرهم ونهيهم أقرب إلى الامتثال وأدعى إلى القبول، ومسؤولية الأمراء والحكام أعظم وأخطر لأن لهم الولاية والسلطان ولديهم القدرة على تنفيذ ما يأمرون به وينهون عنه وحمل الناس على الامتثال ولا يُخشى من إنكارهم مفسدة لأن القوة والسلاح في أيديهم"[3].

وقد أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بطاعة أمرائهم ما لم يأمروا بمعصية، فإن اختلفوا في أمرٍ كان القرآن والسنة هما الحكم، فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: 59].

ومن المواقف الإيمانية التي ذكرها القرآن في الدعوة إلى الله ﷻ، موقف مؤمن آل ياسين الذي قام بدور ومهمة الرسل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لنصرة الدعوة وتنبيه الغافلين، قال الله ﷻ: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [يس: 20 – 21]، فها هو يعظهم ويذكّرهم بضرورة طاعة ومتابعة المرسلين على طريق الله ﷻ، ومثله مؤمن آل فرعون الذي ذُكِر خبره في القرآن: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ [غافر: 28].

---

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (48/4).

(2) ابن رجب: مجموع رسائل ابن رجب (77/1)، بتصرّف.

(3) الشوكاني: الفتح الرباني (359/1).

ثالثاً: مخاطر تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هناك الكثير من المخاطر التي تترتب على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن هذه المخاطر ما يأتي:

1- استحقاق اللعن والطرد من رحمة الله ﷻ: قال الله ﷻ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[المائدة: 78–79]، فكانوا يرون المنكرات واجتراح السيئات فيسكتون ولا يستنكرون، مع قدرتهم على منعها قبل أن تقع[1].

2- فوات إجابة الدعاء: قال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابَاً مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فلَا يَسْتَجيب لكم»[2].

3- انتشار الفساد في الأرض: وتسلّط الظلمة على الضعفاء، وانعدام الأمن، كلّ ذلك بسبب اتّباع الضالين والمفسدين، قال الله ﷻ محذّرًا المؤمنين من سبيل المعوَجّين: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: 77]، وقال ﷻ موجّها المؤمنين أن يكونوا من البقية الخالصة التي تدفع هذا الشر: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡ ﴾[هود: 116].

4- فُشُو الاختلاف المذموم: فالمسلمون ما اختلفوا شيعًا وأحزابًا إلا بعد تركهم لوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والانشغال بالشكليات عن روح الدين، فتحكّم الهوى ودخلت السياسة المذهبية وحلّت مكان الشريعة، والله ﷻ حذّر المؤمنين أن يكونوا من هؤلاء: ﴿ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: 32][3].

---

(1) انظر: جمال أبو حسان وآخرون: التفسير المنهجي(94/5).

(2) الألباني: صحيح الجامع الصغير (1189/2).

(3) انظر: الحجازي، محمد محمود: التفسير الواضح (263/1).

5- حرمان الأمة من وصف الخيرية: وهذا الوصف من سمات وخصائص الأمة المحمدية، قال الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، ما دامت تؤدي رسالتها تمامًا، وإلا فإنها تُحرم من هذه المزية الخيرية ووسمها المبارك، ونقل الإمام الطبري "أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي حَجَّةٍ حَجَّهَا رَأَى مِنَ النَّاسِ رِعَةً سَيِّئَةً - أي لم يحسنوا الأدب -، فَقَرَأَ هَذِهِ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ مِنْهَا»[1].

6- "أنه يُشجّع الفسقة والضُّلاَّل على الإكثار من المعاصي إذا لم يُردعوا عنها: فيزداد الشر والمصائب، ويكون لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر، حتى لا يقدرون على ما كانوا يقدرون عليه أوَّلًا"[2]، والسبب أنهم ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 79]

7- أنه سبب لظهور الجهل وغياب العلم: وذلك أنه إذا ظهر المنكر ولم يوجد من ينكره، نشأ عليه الصغير وأَلِفَهُ، وألف المجتمع المنكرات المنتشرة؛ لكثرة مشاهدتها حتى ظنّوا أنه من الحق كما هو الحال في كثير من المنكرات اليوم، فما تَعُود للقلبِ تلك الشفافية والحساسية عند رؤية المنكر، فيتبلّد - عياذا بالله - ويرى المنكر ولا يتمعّر غضباً لله تعالى[3]، وهذه صفات المنافقين كما صوّرهم القرآن الكريم، قال الله ﷻ: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[التوبة: 67].

---

(1) الطبري: جامع البيان (672/5) بتصرف يسير.

(2) عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (240/1)، بتصرّف، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

(3) انظر: الشوكاني: الفتح الرباني (3785/8)، وأبو الليث نصر بن محمد السمرقندي: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين (ص: 94-95)، و أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: مجموع الفتاوى (28/ 138-142، 215)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: ابن تيمية: مجموع الفتاوى.

8- سبب ظهور غربة الدين وأهله، واختفاء معالمه، وتفشي المنكرات والكفر والظلم: وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[1].

وهذه النتائج القاسية هي جملة من آثار ذنوب العلماء وانحراف المنهج، ممّا يؤدي إلى تمزيق البلاد كل مُمزّق، وفشوّ الخبث، وانحراف العامّة، وحلول الرزايا والمصائب التي تفتك بالأمة وتؤلّبُ الأعداء، ولا تدلُّ إلا على ضعف الإيمان[2]، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[هود: 117]، وفي الحديث: « قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»[3].

رابعًا: شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

1- أن يكون الآمر والناهي عالمًا بما يأمر وبما ينهى، قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: 108].

2- أن يكون رفيقًا حكيمًا حليمًا لقوله ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

3- أن يكون صبورًا على ما يصيبه من أذى، قال ﷻ: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: 35].

4- وهناك شروط أخرى مثل: الإيمان والعدالة والتكليف والقدرة والعلم، قال الله ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 44]، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[الصف: 2-3][4].

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ (ح145)، (130/1).

(2) انظر: محمد رشيد رضا: مجلة المنار (696/1).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قِصَّةِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ (ح3346)، (138/4).

(4) انظر: سليمان بن عبد الرحمن الحقيل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء كتاب الله (69/1-73)، وانظر: إبراهيم بن عثمان الفارس: أهداف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (27/1).

ولذلك فإنَّ على العلماء والدعاة ألاَّ يتركوا ثغورهم في هذا الحصن البتَّة، وأن يُحصّنوا البلاد بالنصيحة ويحثّوا العباد على قبول الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ابتداءً، وعلى المسلمين أن يُساعدوا العلماء في تصحيح الأخطاء ويتقبّلوا النصيحة ويتّبعوا الحق، حتى يسلم الجميع، وهم يتذكرون قول الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: 41]، ويعلموا أنهم إذا لم يتعاونوا جميعًا فلن ينجو أحد، ففي حديث النعمان بن بشيرﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[1].

(1) البخاري: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشركة، بَابٌ: هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ (ح2493)، (139/3).

المبحث الثالث

سنة الابتلاء والحكمة منها وفوائدها

هذا المبحث سيُركّز على قيمة الابتلاء في تصفية القلوب وتهيئة المؤمنين للنصر والتمكين، ويوجّه المحاصَرين وأهل الابتلاء إلى التربية على الصبر والاحتساب، وبيان ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: الابتلاء سنة إلهية للتمحيص والاختبار:

1- الابتلاء من إرهاصات النصر والتمكين.

جعلَ الله ﷻ حياةَ الإنسانِ في الأرضِ محطةَ ابتلاءٍ واختبار؛ فابتلاهم "تارةً بالمسارِّ ليشكروا، وتارةً بالمضارِّ ليصبروا، فصارت المِحْنة والمِنْحَةُ جميعًا بلاءً، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضيةٌ للشكر"[1].

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: 155]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: 31]، وقال ﷻ:﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: 35]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 177].

وكأنَّ الآيات تُخاطبنا وتُهيئنا للتصبّر والاحتمال على ما سيحدثُ من أذى وألم كثمنٍ وجزاءٍ لإيماننا بالله ﷻ؛ فتقول لنا: اعلموا أنكم إن آمنتم وثبتم على دينكم ستُبتلون بكل أنواع المحن والشدائد من حصار وجوع وضيق، قال الله ﷻ: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: 186].

قال الدكتور إبراهيم أحمد: "على كل شعب في أي وقت يسعى لتطبيق شرع الله عليه أن يضع في حسبانه احتمالات الحصار والمقاطعة من أهل الباطل، فالكفر ملة واحدة، فعلى قادة الأمة الإسلامية تهيئة أنفسهم وأتباعهم لمثل هذه الظروف، وعليهم وضع الحلول المناسبة

---

(1) علي فهمي النزهي: كلمات قرآنية بمعان مختلفة (ص:185) بتصرّف يسير، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: علي النزهي: كلمات قرآنية.

لها إذا حصلت، وأن تفكر بمقاومة الحصار بالبدائل المناسبة كي تتمكن الأمة من الصمود في وجه أي نوع من أنواع الحصار" [1].

ويأتي الحصارُ للمستضعفين من المؤمنين كنوع من أنواع العلاج الربّاني لتطهير القلوب والنفوس من الخبث، كما ينفي الكيرُ خبث الحديد والذهب والفضة، فهو بغرض التمحيص والاختبار والتصفية الإيمانية، ليكونوا أحد فريقين فإما أن يصبروا وإما أن يجزعوا، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط.

ولمَّا كان الصراعُ بين الحق والباطلِ سنةً من سُننِ الله ﷻ في هذا الكون، كانَ لا بدَ أن يكون هناك جولاتٍ لهذا الصراع، وتدافعٌ بين الخير والشرّ؛ أحياناً تنتصرُ فيها الفئة المؤمنة، وأحيانًا تكون هذه الفئة المؤمنة مستضعفة فيتسلّط عليها جمعُ الباطل فيصيبها بالأذى المادي والنفسي والمعنوي، فيحاصِرها بكل ما يملك ويُضيّق عليها الخناق حتى يصل الظلم ذروته فيُضيّق عليها بحرمانها من ممارسة شعائرها التعبدية لخالقها ﷻ، ليُرغمها إمَّا على الكفر والردّة بعد الإيمان، وإمَّا على التراجع والضمور والانحسار، أو على الأقل بإخفاء رسالتها حتّى لا تُؤثر في عقيدة الجماهير كما يحدثُ مع المسلمينَ في كثيرٍ من الدول الغربية النَّصرانية والمُلحدة التي تُرغمُ المسلم على غمرِ دعوته من خلال منع إقامة المساجد وملاحقة الدعاة ومنعهم من ممارسة نشاطهم الدعوي والتربوي، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ ﴾[البقرة: 217].

2- المحنة وصدقُ الانتماء للعقيدة.

وهنا تَبرزُ قوة إيمان الفرد المؤمن والجماعة المؤمنة وصدق انتمائهم لعقيدتهم، وطاقتهم في تحمُّل ألوان الإيذاء والتضييق، فإنَّ المؤمن مهما حاصره الأعداء وقيّدوا حركته وحاولوا تغيير عقيدته؛ فإنهم لا يستطيعون حصار قلبه وفكره وعقيدته، ولن يحولوا بينه وبين تبليغ رسالته الخالدة، ويمضي مستشعرا ثِقَل الأمانة ومسؤولية الرسالة خصوصًا وهو يحمل في صدره قول الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[المائدة: 67]، وقال النبي ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على

(1) الدكتور إبراهيم علي أحمد: السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية (ص: 98)، وانظر: نعيم الصفدي: الصبر والثبات في مواجهة الحصار (ص:467).

حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتُلِيَ على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[1].

3- الصبرُ في الدعوة طريق الأنبياء.

يعلم الداعية أن طريق الأنبياء والمرسلين معبّدٌ بالأشواك والتضحيات، ويحتاجُ إلى صبرٍ كثيرٍ ونَفَسٍ طويل لإحقَاقِ الحقِّ وتبليغِ الرِّسالة، وأنَّ مَحْقَ الكافرين والتمكين للمستضعفين من المؤمنين لا بدَّ وأن يسبقه هزّةٌ تُزيل الخبثَ من النفوس وتَصْقلها، وزلزلةٌ تُفتّتُ أوكار المفسدين والمنافقين، ولن يكون هذا التمكينُ إلا بعد عواصف الابتلاء والاختبار والتمحيص، والصبرِ على هذه المراحل الشاقّةَ وانتظار النصر والسيادة ـ يأتي بعد التمحيص والابتلاء ـ ولذلك لمّا سُئل إمامنا الشافعي: "أيهما أفضل للرجل أن يُمكَّن أو يُبْتَلى؟. قال: لاَ يُمكَّن حتَّى يُبتَلَى"[2]. وهذا ما تُقرِّرُه الآية الكريمة وتغرسه في النفوس المتعطّشة لنصر الله وتمكينه، قال الله ﷻ: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: 141]، ولذلك لن تنتصر الأمة إلا بعد أن تنجح في هذا الاختبار الربّاني الدقيق.

وتأمل كيفَ أنَّ الله ﷻ ابتلى أولي العزم من الرسل فقال ﷻ: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: 35]، فلمَّا صبَروا مكَّنهم، فلا يَظُنُّ أحدٌ أنه ينجو من الألَمِ والابتلاءِ البتّة[3]، وسلّى الله ﷻ نبيه ﷺ بقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: 214] ، وقوله ﷻ: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: 2]، فهذه مرحلةُ تأسيس لابدَّ أن تصنعَ الدعاة والمستضعفين لِيَتَأهَّبوا وَيَتَأَهَّلوا لِحَملِ اللِّواءِ وقيادة البَشرية، وإلاّ فكيفَ يتَمتّعُ المَريضُ بَلذةِ الحياةِ إذا لم يتَجَرّع مَرارة الدواءِ والصبرَ على الألم قبل أن يتعافى؟!، " والصبر: الشدُّ بالمكان بحيث لا يفارقه، وقوله تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾

---

(1) أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (ح992)، (230/1)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة.

(2) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد (13/3).

(3) أُنظر: عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه" (ص:157-158)، وانظر: محمد بن عبد الوهاب: مختصر زاد المعاد (98/1).

[الكهف: 28]، أي احبسها معهم حبسَ ملازمة"[1]والصبر على مجاهدة العدو ﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾[الفتح: 16]، وقال ﷻ: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[البقرة: 45]، "ومعنى الآية: استعينوا بالصبر على أداء الفرائض واجتناب المحارم واحتمال الأذى وجهاد العدو وعلى المصائب والصلاة"[2].

المطلب الثاني: التربية على الصبر والاحتساب.

وتظهر معالم التربية الحقيقية للمؤمن على تحمّل الابتلاء والصبر عليه من خلال الأمور التالية:

أولا: المؤمن بين الشدة والتربية القرآنية.

أيامُ المحنة والابتلاء تمرُّ ثقيلة على النفس، يود المرءُ أحياناً لو يُزحزحها قليلًا من شدة العنت واللأْواء، ويحاول الشيطان أن يتسلل لواذًا في لحظة ضعفٍ جِبلية؛ يودُّ لو يُقنِّطه من نصر ربه ومولاه، لكنه سرعان ما يستنشقُ عبيرَ الآيات التي ينسكب شذاها عي صدره لتلامس شغاف قلبه فيرتوي بعد ظمأ، ويهدأ بعد ثورة النفس الأمَّارة، وكيف لا يسكن ويرضى وهو يترنّم ويُشنّف أذنيه بآي التنزيل!، قال الله ﷻ: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج: 39]، وقال ﷻ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ...﴾ [القصص: 5–6].

فكلما تذكّر العبدُ أنه إلى الله سائر، وأن ربّه لن يتخلّى عنه، زاد بصيرة وثقةً بنصر ربه، وهذا يُقوي القلب على تحمّل الشدائد والمصائب، ويجعلُ العبد لا يبالي حتى لو صُبَّ عليه الابتلاءُ صبًّا.

---

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير (304/6).

(2) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي: التفسير البسيط، (451/2)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الواحدي: التفسير البسيط.

ثانياً: وسائل الصبر والثبات على الابتلاء.

إذا أرادَ العبدُ أن يُرزق الصبرَ عند الشدة، والثبات عند الابتلاء فإن عليه أمورًا منها:

1- **أن يوقنَ أنَّ أمر المؤمن كله خير.**

قال الله ﷻ: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 216]، وأنَّ لهذا الابتلاء فوائد وأهداف، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾ [محمد: 31].

2- **دوام النظَر في قصص الأنبياء والسلف.**

قصص القرآن وأحداث السيرة والسابقين مليئة بالأمثلة، فقد استهزيء بنوح وقتل زكريا ويحيى وتعرّض إبراهيم للإلقاء في النار، وهُدّد لوط وصالح وهود وشعيب ـ عليهم السلام ـ، وتعرّض للملاحقة موسى وعيسى وشُجَّ وجه نبيّكم محمد ﷺ وأعياه الحصار والتجويع، وابتُليَ أتباع الرسل وتعرّضوا للفتن وكان الواحد منهم يؤتى به فيوضع المنشار في مفرق رأسه حتى يُشق نصفين فما يرتدُّ عن دينه، وتعرّض أصحاب النبي ﷺ لحصار خانق ومقاطعات على كل الأصعدة فصبروا، ولنا فيهم الأسوة الحسنة، قال الله ﷻ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: 35]، وقال ﷻ: ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود:49] .

3- **احتساب أجر الابتلاء والحصار.**

ويكون ذلك بالثبات عند نزول الابتلاءات والمحن بكل أنواعها، والبعد عن الجزع والضجر وكثرة الشكوى والاعتراض على أمر الخالق ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: 155 – 157]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 177].

4- **التفكّر فيما أعدّه الله للصابرين على الابتلاء.**

وأن المصائب تمحو الذنوب وترفع الدرجات في جنان الرحمن ﷻ، وأن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء، قال النبي ﷺ: «يا معشر الفقراء! ألا أبشركم؟ إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم: خمسمائة عام»[1].

5- **المداومة على قراءة القرآن وذكر الله ﷻ.**

لأنَّ كثرة الذكر تقوي القلب وتداويه، قال الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: 28]، ولقد ذمَّ الله تعالى المنافقين لأنَّ قلوبهم مضطربة متذبذبة بسبب قلة الذكر، فقال ﷻ: ﴿ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: 142].

6- **التحصُّن بالأدعية والأذكار النبوية.**

فهي تدفع الهم والغمَّ والحزن، وكلها نافعة بإذن الله تعالى، فقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[2].

---

(1) الألباني: صحيح الجامع (1321/2).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ الِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الجُبْنِ (ح6369)، (79/8).

الفصل الأول

الحصار أنواعه وأحكامه

المبحث الأول

معنى الحصار وحُكمه

بعد أن انتهى الباحث من بيان أهمية الابتلاء بالنسبة للمؤمنين الذين يتعرّضون لشتى أنواع الابتلاء والتي منها الحصار، فلا بدَّ من التركيز في هذا المبحث على تعريف الحصار والألفاظ المتصلة به، وتوضيح مفهوم الحصار وحكمه، وذلك من خلال الأمور التالية:

المطلب الأول: معنى الحصار لغة واصطلاحًا.

أولًا: الحصار لغةً.

أصل الحصار مشتق من الفعل حَصَر، وحَصَرَهُ يَحْصُرُهُ "يَحْصِرُهُ" حَصْرَاً: ضَيَّقَ عليه وأحاطَ به، وحَاصَرَ العدوَ: أحاطَ به وحبَسَه حيثُ هو، وفي الآية: ﴿ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ [التوبة: 5]:أي ضيِّقوا عليهم واحبسوهم وامنعوهم من التصرُّف[1]، وفي قراءة أخرى: ﴿فَحَاصِرُوْهُم﴾: " أي احبسوهم وامنعوهم"[2]، " وكل من امتنع من شيء فلم يقدر عليه فقد حُصِرَ عنه، ومنه الحصر في القراءة" [3]، وحَصِرَ: "لم يقدر على الكلام"[4]، والحصيرُ: المحبِسُ والسجن، وفي التنزيل: ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء:8]، من حَصَرْتَهُ أي حبسته فهو محصور، وهذا حَصِيره أي مَحْبِسَه، وحصره المرض: حَبَسه، والحِصَار: المَحبِس كالحصير، والحَصِيرُ: الضيِّقُ البخيل، والحَصْرُ: ضيقُ الصدر.

والحَصُورُ: هو الذي لا يأتي النساء لأنه حُبِسَ عن النكاح ومُنِع، قال الله ﷻ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾، والمَحْصُور: المحبوس[5]، وأُحْصِرَ: مُنِعَ، قال الله ﷻ: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ

---

(1) انظر: ابن منظور: لسان العرب (4/193-194)، وانظر: العسكري: الفروق اللغوية (1/114).

(2) انظر: أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة (1/506)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: أحمد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة. وانظر: الطبري: جامع البيان (11/343).

(3) قاسم بن عبد الله الرومي الحنفي: أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء (1/25)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: قاسم الرومي: أنيس الفقهاء.

(4) ابن منظور، مرجع سبق ذكره (4/193-194).

(5) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة. وانظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي: مختار الصحاح (1/74)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: زين الدين الرازي: مختار الصحاح. وانظر: أحمد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة (1/507)،

أُحۡصِرُواْ ﴾ ، وحَصَرَ: "منعَ، حجَزَ، ضَغَطَ، زَحَّمَ، ضيَّقَ، حَبَسَ"[1]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ ﴾: "أي مُنعتم من علّة أو عائق"[2]، و"صُدِدتم عن الوصول إلى البيت ومنعتم من إتمامهما"[3].

فالإحْصَار: أن يُحصر الحاجُّ عن البيتِ بمرضٍ أو نحوه، يقولون: "حصَرَهُ المرض وأحصره العدو"[4]، قال الفرّاء[5]: "يُقالُ في المرض: قد أُحْصِر، وفي الحبس إذا حبسه سلطانٌ أو قاهرٌ أو مانعٌ: قد حُصِر، فهذا فرقٌ بينهما"[6]، قال ابن عباس:" لا حَصرَ إلاَ من حَبْسِ عدوّ" [7]، قال الله ﷻ: ﴿ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ ﴾، والحَصْرُ هنا الضيق، "و[في الانكليزية]: blockade،Siege"[8].

نخلُصُ مِمَّا سبق أنَّ الحصار جاء في القرآن الكريم على عدةِ معانٍ تَدور في معنَاهَا اللُغَوي حَول: الجَمْع، والحَبْس، والمَنْع[9]والتضييق بأنواعه، والإحَاطَة من كلِّ جَانِبٍ، والحجز، والضغط.

ثانيًا: الحِصَار اصطلاحاً.

بالاطّلاع على الكتب التي ذكرت معنى الحِصَار وعَرَّفَتْهُ، نلحَظُ أنَّ بعضَها ساقَ تعريفاً عامّاً شاملاً لكل أنواع الحِصَار، وبعضَها ألمحَ إلى تعريفِ بعضِ أنواعه، ولا بدَّ من التفصيلِ في ذلكَ وذكر بعضِ التعريفات المنقُولَةِ ثمَّ ذكر تعريفٍ لكلِ نوعٍ من أنواع الحصار التي استطعتُ جمعها حسب توفره ـ ولأهمية كل نوعٍ ومعناه في البحث ـ، ومِنْ ثَّمَّ ضمُّ هذه التعريفات

---

(1) رينهارت بيتر آن دُوزِي: تكملة المعاجم العربية (216/3).

(2) شهاب الدين أحْمَد بن يُوسُف الفهري: تحفة المجد الصريح في شرح الكتاب الفصيح (462/1).

(3) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (530/1).

(4) أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي: معجم مقاييس اللغة (72/2)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: ابن فارس: مقاييس اللغة.

(5) الفرَّاء: هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، صاحب كتاب معاني القرآن، ولد بالكوفة، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو توفي في طريق مكة سنة (207هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (145/8).

(6) ابن منظور: لسان العرب (193/4-196).

(7) الطبري: جامع البيان (345/3).

(8) محمد بن علي ابن القاضي الفاروقي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (679/1).

(9) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (72/2).

بعضها إلى بعض لتتناسقَ في تعريفٍ جامع يشتمل على كل معاني الحصار ويُناسبُ طبيعة البحث.

ثالثًا: بعض التعريفات التي ورد فيها المعنى الاصطلاحي للحصار.

1- المَوضِعُ الذي يُحصَرُ فيه الإنسانُ ويُمْنَعُ مِن الخُروج[1].

2- منع الذات من فعلٍ ما، سواء بالمنع أو بالتضييق أو بالحبس[2].

3- "هو إِحَاطَةُ الجُيوشِ للمُدنِ أو الأَهدافِ العَسكريَّة، وَقَطع وسَائِل الحيّاة والاتّصَالات عنهَا؛ وَذلكَ لِدفعِ أَهْلِها إلى الاسْتِسلاَم"[3] .

لكن التعريفات السابقة رغم أهميتها إلا أنها لم تستوف كل المعاني القرآنية التي تحدّثت عن الحصار ونظائره، ولذلك فإنَّ البحاث توصل إلى تعريفٍ جامعٍ يشمل كل المعاني اللغوية التي تخدم موضوع البحث.

رابعًا: تعريف الحصار حسب المفهوم القرآني.

هو نوعٌ من أنواع القتال يستهدف موضعاً أو بلداً ويحيطُ به، فيعزله ويُقيِّدُ حركة أهله بالمنع والتضييق والحبس، ويحظر عليهم الاتصال الخارجي ماديًّا ومعنويًا، وذلك لدفع أهله إلى الاستسلام.

خامسًا: شرح التعريف.

قولنا: (هو نوعٌ من أنواع القتال): يُقصد به أنه عمل عسكري، إذ إن القتال كما يكون بالعمل العسكري، يكون بغيره من الأنواع الأخرى.

قولنا: (يستهدفُ موضعًا أو بلدًا): يشمل أهله من كل الديانات بكل أنواع الحصار البحري والبري والجوي، وبكافة أشكاله.

قولنا: (ويحيطُ به): يُلخّص شمول الحصار لكل مناحي الحياة عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وإعلاميًا وفكريًا، ويُبرِزُ جهد العدو في التضييق على المحاصرين بشتى السبل.

قولنا: (فيعزله ويُقيِّدُ حركة أهله بالمنع والتضييق والحبس): يشمل تحكّم العدو في مداخل البلد وإحكامه السيطرة على البلد، والتحكّم في حركة الدخول إليها والخروج منها، وإرغام أهلها على الالتزام بالقوانين والشروط التي يضعها.

---

(1) أحمد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة (506/1).

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير (22/2).

(3) أحمد عمر، مرجع سبق ذكره (506/1).

قولنا: (ويحظر عليهم الاتصال الخارجي): يشمل تواصلهم سياسيًا وإعلاميًا وفكريًا مع العالم الخارجي من خلال تحريض العالم عليهم، وكذلك توصية الدول بعدم استقبالهم وشرح معاناتهم.
قولنا: (ماديًا ومعنويًا): ماديًا يشمل الحصار العسكري والاقتصادي والاجتماعي ومعنويًا يشمل الحصار السياسي والإعلامي والفكري والنفسي.
قولنا: (وذلك لدفع أهله إلى الاستسلام): "أي ليحملهم على قبول شروط التنازل عن أرض، أو بذل مال، أو التراجع عن موقف أو رأي، أو الرضوخ لسلطانه وقهره"[1].

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة بمفهوم الحصار.

هناك بعض المصطلحات التي لها اتّصال مباشر بمعنى الحصار وتُغني البحث بمعانٍ وفوائد جديدة ومهمة منها:

1- **الْإِحَاطَـة:** "الأخذ بأسر أو هلاك مما هو خارج عن قدرتهم، وأصله إحاطة الجيش في الحرب... والأخذ من كل جانب، مأخوذة من إحاطة العدو بالقوم إذا غزاهم"[2]، وأُحيطَ به: حُصِرَ ومُنِعَ سبيل النجاة[3]، قال الله ﷻ: ﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ ﴾[يوسف: 66]، أي يأتيكم ما لا قِبلَ لكم به[4]، وقال الله ﷻ:﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾[الإسراء: 60]، أي "فليس لهم ملجأ يلجأون إليه ولا ملاذ يلوذون به عنه"[5].

فتأتي الإحاطة في القرآن الكريم بمعنى الجمع، والهلاك، والمنع[6].

تعريف الباحث للإحاطة: الإحداق بالشيء وتطويقه من جميع جوانبه لحصره ومنعه من الحركة ودفعه للإذعان.

2- **الإمسـاك:** قال الله ﷻ: ﴿ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ ﴾[النساء: 15] يعني احبسوهن... وأمسكَ الشيء: أبقاه في حوزته ومنعه من غيره[7]، وقال الله ﷻ: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن

---

(1) أبو عبد الرحمن سلمان بن نصر الداية: جريمة الحصار في ميزان الشريعة، للدكتور سلمان الداية (ص:6).
(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير (326/18،6/6).
(3) علي النزهي: كلماتٌ قرآنية (ص 49،48).
(4) انظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (401/1).
(5) الواحدي: التفسير الوسيط (114/3).
(6) انظر: علي النزهي، مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة.
(7) علي النزهي، مرجع سبق ذكره (ص:122).

رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[فاطر: 2]، **وقال الله** ﷻ: ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [الأحزاب: 37]، أي احفظها وأبقها ولا تطلّقها [1].

فجاء الإمساك في القرآن الكريم على معانٍ متباينة منها: المراجعة، والحبس، والبخل، والمنع، والحفظ، وغيره[2].

3- **الحَبْسُ:** مَا وُقِفَ، يُقَالُ أَحْبَسْتُ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُقَالُ حَبَسْتُهُ حَبْسًا"[3][4]، والحَبْسُ "ضِدُّ التَّخْلِيَةِ"[5]، قال ﷻ: ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[المائدة: 106]، وقال الله ﷻ: ﴿ لِيُثْبِتُوكَ ﴾[الأنفال: 30]، " ليحبسوك فى البيت"[6]، "والإثبات هو الحبس والوثاق والتقييد"[7]، "وَالْحَبْسُ: إِلْزَامُ الشَّيْءِ مَكَانًا لَا يَتَجَاوَزُهُ "[8].

تعريف الباحث للحبس: "هو منع الإنسان من التصرُّفِ بنفسه"[9]، وإلزامه مكانًا لا يتجاوزه، عن طريق توثيقه أو تقييده، وهذا من معاني الحصار حيث يحبسُ المحاصرين ويمنعهم من التنقّل والقيام بأمور معيشتهم وواجباتهم.

4- السجن: وسيأتي تعريفه عند ذكر أحكام الحصار في المطلب الثالث.

5- **المَنْعُ:** "أَن تَحُولَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّيْءِ الَّذِي يُرِيدُهُ، وَهُوَ خلافُ الإِعْطاءِ... وَفِي التَّنْزِيلِ: مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ "[10].

---

(1) انظر: الواحدي: التفسير الوسيط (251/18).

(2) انظر: علي النزهي: كلماتٌ قرآنية (ص: 122،124).

(3) ابن منظور: لسان العرب (44/6) بتصرّف.

(4) ابن منظور: أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الإمام اللغوي الحجة، من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري صاحب (لسان العرب)، ولد بمصر وقيل بطرابلس الغرب، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر فتوفي فيها سنة (711هـ)، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. انظر: الأعلام، للزركلي (108/7).

(5) ابن منظور، مرجع سبق ذكره (44/6).

(6) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء: معاني القرآن (409/1)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الفراء: معاني القرآن.

(7) يُنظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (43/4).

(8) ابن عاشور: التحرير والتنوير (10/12).

(9) التويجري: مختصر الفقه الإسلامي (ص991).

(10) ابن منظور، مرجع سبق ذكره (343/8).

تعريف الباحث للمنع: الحول بين شخصٍ أو جماعة والتصرّف الفعلي والقولي، والعمل على عدم إيصال الخير لهم[1]، ويطلقُ على كلِّ من يحول بين الناس ومصالحهم، وهذا من معاني الحصار إذ فيه تعطيلٌ لمصالح المحاصرين ومنعهم من ممارسة حياتهم بشكل طبيعي.

6- **التضييق:** "نَقِيضُ السَّعَةِ... وتَضايَقَ القومُ إِذا لَمْ يتوسَّعوا فِي خُلُق أَو مَكَانٍ "[2]، "وَقَدْ ضَيَّقَ اللَّهُ عَلَى يُونُسَ عليه السلام، أَشدَّ تَضْيِيق ضَيَّقَه عَلَى مُعَذَّب فِي الدُّنيَا لأَنه سَجَنَهُ فِي بَطْنِ حُوتٍ"[3]، قال ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [التوبة: 118]، وقال الله ﷻ: ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ [التوبة: 25]، "وضاقت في وجوهكم الأرض مع رحابتها وسعتها بسبب شدة خوفكم"[4].

تعريف الباحث للتضييق: تشديدُ الأمرُ على فرد أو جماعة في المعيشة والحياة فيصيروا كالمسجونين.

7- **الحظر:** "الحَجْرُ، وَهُوَ خِلَافُ الإِباحَةِ، والمَحْظُورُ: المُحَرَّمُ، وحَظَرَ الشيءَ يَحْظُرُه حَظْرًا وحِظارًا وحَظَرَ عَلَيْهِ: مَنَعَهُ، وكلُّ مَا حَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَيْءٍ، فَقَدْ حَظَرَهُ عَلَيْكَ... وحَظَرَ عَلَيْهِ حَظْرًا: حَجَرَ ومَنَعَ"[5]، "يَدُلُّ عَلَى الْمَنْعِ"[6]، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء: 20].

تعريف الباحث للحظر: كلُّ ما حالَ بين المحاصر وبينَ أمرٍ يمنعُه من القيام بشؤون حياته.

المطلب الثالث: حكم الحصار والألفاظ ذات الصلة.

بالتأمّل في تعريف الحصار ونظائره ، نجد أنَّ الحصار عبارة عن سلسلة حديدية طاغوتية ظالمة بكل ما تعنيه الكلمات من دلالةٍ ومعنى، فهو تكبيلٌ لحرية الشعوب المقهورة والمحاصرة، وما يحدُثُ على أرض فلسطين من حصارٍ وقتلٍ بطيءٍ أكبر دليلٍ على إجرام وعنصرية الصهاينة والنصارى الحاقدين، ومن يقف إلى جانبهم ومن يساندهم تحت مسميات

---

(1) انظر: الجرجاني: التعريفات (82/1).

(2) ابن منظور، مرجع سبق ذكره (208/10).

(3) المرجع السابق (77/5).

(4) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم(241/6)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: طنطاوي: التفسير الوسيط.

(5) ابن منظور: مرجع سبق ذكره (202/4)، وانظر: الكفوي: الكليات (408/1).

(6) ابن فارس: مقاييس اللغة (80/2).

محاربة الإرهاب، وكذلك ما يحدثُ في السودان وأفريقيا الوسطى ومسلمي بورما "ميانمار"، وليسَ أخيرًا العراق ونهب خيراتها، وإثارة الفوضى في سوريا ومصر وليبيا وغيرها، وما ذاكَ إلا لإخضاع الشعوب وإذلالها إما بقوة السلاح، أو بالقهر الاقتصادي والتكبيل السياسي، لتبقى الصهيونية والنصرانية هي التي تسيطر وتحكم العالم، وحتى يبقى المسلم مضطهدًا مشرّدًا يتسوّل طعامه من الأعداء.

إنَّ هذا الحال يتطلّب من العلماء والفقهاء أن يُبيّنوا لحكّامهم وشعوبهم حرمة وخطر السكوت على هذا الحصار الخانق، وضرورة العمل على نصرتهم وتخليصهم من بين براثن الأعداء، وأن يقولوا كلمة الحق أمام ولي الأمر نصحًا وتذكيرًا، حتى لا يكونوا ممن ذكرهم الله ﷻ في معرض كتمان الحق، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: 187].

وهذه أحكام الحصار والألفاظ ذات الصلة به في الشريعة الإسلامية:

أولاً: أحكام الحبس والسجن بحق الآدمي في الشريعة الإسلامية.

السجنُ هو: "حبسُ الإنسان ومنعه من التصرّف بنفسه، والخروج إلى أعماله ومهماته"[1] بتطويقه في مكان ما، قال الله ﷻ عن يوسف عليه السلام: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾[يوسف: 36]، وقال ﷻ: ﴿ إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[يوسف: 25]، وقال ﷻ حكاية عن فرعون وهو يتوعّد موسى عليه السلام: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: 29].

وسجنُ الآدمي ينقسمُ إلى قسمين:

الأول: سجنٌ شرعي: يُحقق المصلحة ويدفعُ المفسدة.

الثاني: سجنٌ غير شرعي: وهو السجن بغير حق لما فيه من ظلم وعدوان على دِينٍ أو كرامة أو حياة الآدمي.

و"الحبس أو السجن جائز عند الحاجة والضرورة؛ لحفظ حقوق الناس، وحمايتهم من المجرمين، وحفظ الجناة المنتهكين للمحارم، ومنعهم من الإضرار بالناس.

(1) التويجري: مختصر الفقه الإسلامي (ص:991).

ولا يجوز للإمام أن يحبس أحداً إلا بحق، وإذا حبسه بحق وجب عليه المسارعة بالنظر في أمره: فإن كان مذنبًا أُخذ بذنبه، وإن كان بريئًا أُطلق سراحه"[1].

قال الله ﷻ: ﴿ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة: 106]، "وَهَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ فِي حَبْسِ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ حَقٌّ، وَالْحُقُوقُ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهَا مَا يَصْلُحُ اسْتِيفَاؤُهُ مُعَجَّلًا، وَمِنْهَا مَا لَا يُمْكِنُ اسْتِيفَاؤُهُ إِلَّا مُؤَجَّلًا، فَإِنْ خُلِّيَ مَنْ عَلَيْهِ [الْحَقُّ] غَابَ وَاخْتَفَى وَبَطَلَ الْحَقُّ وَتَوِيَ - ذهب ولم يرجع - فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ التَّوَثُّقِ مِنْهُ"[2].

وما يمارسه الاحتلال الصهيوني من حصارٍ وتضييقٍ ومنعٍ بحق الشعب الفلسطيني عمومًا، وقطاع غزة خصوصًا يمثّله النوع الثاني من أنواع السجن بحق الآدميين، وهو سجنٌ كبير له أبعاد مادية خطيرة تتمثّل في الحصار العسكري والاجتماعي والاقتصادي، وأبعادٌ معنوية تتمثّل في الحصار الإعلامي والفكري والبعد النفسي بسبب التضييق والضغط.

وقد "أفتى الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بحرمة حصار قطاع غزة وتضييق الخناق على سكانها ، وطالب السلطات المصرية بفتح معبر رفح الحدودي لرفع الحصار عن أهل غزة.

وقال الاتحاد، الذي يتخذ من العاصمة القطرية مقرًّا له، في بيان أصدره بتاريخ: 1434/10/28 هـ، الموافق 2013/9/4 م : إن "الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع متضافرة، على حرمة الإيذاء والاعتداء حتى على غير الإنسان، فكيف بإخواننا في فلسطين؟ ولذلك فإن حصار إخواننا في غزة، وتضييق الخناق عليهم، ومحاربتهم في أرزاقهم من المحرمات والموبقات"[3].

ثانياً: عقوبة أذى غير الآدمي بلا وجه حق.

عَنْ عَبْدِاللهِ بنِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ» قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ: «لاَ أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلاَ سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلاَ أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا، فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»[4].

---

(1) محمد بن إبراهيم التويجري: موسوعة الفقه الإسلامي (5/234-235)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: التويجري: موسوعة الفقه الإسلامي.

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (6/352).

(3) موقع المختصر: الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين"يفتي بحرمة حصار غزة ويطالب مصر بفتح معبر رفح". http://www.almokhtsar.com/node/184796

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المساقاة، بَابُ: فَضْلِ سَقْيِ المَاءِ (ح2365)، (3/112).

وَعَنْ عُرْوَةَ قَالَ: مَرَّ هِشَام بْن حَكِيم بْنُ حِزَام بِالشَّامِ عَلَى أُنَاسٍ، وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ، وَصُبَّ عَلَى رُؤوسِهِمُ الزَّيْتُ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قِيلَ: يُعَذَّبُونَ فِي الخَرَاجِ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ فِي الدُّنْيَا»[1].

وإذا كانت امرأة قد عُذِّبت في النار بسبب هرة حبستها فلم تطعمها، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض ـ إذا كان هذا حالُ من عذَّب حيوان ـ فكيفَ بمن يحبِسُ ويؤذي الموحّدين من أتباع الأنبياء والرسل ويحاصرهم!.

ثالثا: الحصار في القانون الدولي.

"مع تواصل أنين قطاع غزة تحت وطأة هذا الحصار الخانق، ترتفع النداءات الدولية على المستويات كلّها، الرسمية وغير الرسمية، لإنهائه، وتتصاعد وتيرة المحاولات الرامية إلى كسره في ظل التجاهل الإسرائيلي المستمر لهذه النداءات أو التحايل عليها عبر تقديم ما يحلو لها من الذرائع لشرعنة سلوكياتها"[2].

جاء في مقال للدكتور حنا عيسى، فيما يتعلق بالقانون الدولي تجاه الحصار:" إن الحصار المفروض على قطاع غزة من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي يهدف إلى تجويع المدنيين وعرقلة الإمدادات الغوثية رغم زعم السلطات الإسرائيلية مؤخّرًا بتخفيف الحصار على قطاع غزة ...حيث إنه ووفقًا لنص المادة 43 من اتفاقية لاهاي الرابعة لسنة 1907 يسمح للسلطة المحتلة فرض إجراءات معينة تقيد حركة التنقل لاعتبارات أمنية، إلا أن هذه السلطات ملزمة بإيجاد توازن بين احتياجاتها الأمنية، وضمان سير حياة السكان الخاضعين للاحتلال بشكل طبيعي، وعلى مدار السنوات الماضية فشلت سلطات الاحتلال الإسرائيلية في تحقيق هذا التوازن على قطاع غزة باتخاذها إجراءات تحد من حرية التنقل بشكل جسيم، إلى درجة أن هذه الإجراءات تعتبر عقوبات جماعية تؤثر على كافة نواحي حياة السكان الفلسطينيين"[3].

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، بَابُ: فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ (ح2631)، (2017/4).

(2) خولة محي الدين يوسف، إشراف الدكتورة أمل يازجي: الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة في ضوء أحكام القانون الدولي العام، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، (ص:282)، (المجلد – 27العدد الرابع2011).

(3) الدكتور: حنا عيسى: الحصار على غزة بحسب قواعد القانون الدولي الإنساني جريمة إبادة جماعية" بتصرف يسير، على موقع مفتاح، المنشور بتاريخ 20/11/2012م.

وتابع: "ووفقا كذلك للفقرة 25 من نص المادة 8 من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لسنة 1998 تنص على أن: "تعمُّد تجويع المدنيين كأسلوب من أساليب الحرب بحرمانهم من المواد التي لا غنى عنها لبقائهم، بما في ذلك عرقلة الإمدادات الغوثية على النحو المنصوص عليه في اتفاقيات جنيف، وأن الحصار والإغلاق المُحكَمَين على قطاع غزة من قبل السلطات الإسرائيلية بحسب قواعد القانون الدولي الإنساني يُصَنَّف على أنه جريمة إبادة جماعية وفقا لنص المادة 6 من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية التي نَصَّت على أن فرض هذا النظام يعني الإبادة الجماعية، وأي فعل من الأفعال التالية يرتكب بقصد إهلاك جماعة قومية أو أثنية أو عرقية أو دينية، بصفتها هذه إهلاكًا كليًا أو جزئيًا، وإخضاع الجماعة عمدًا لأحوال معيشية يقصد بها إهلاكًا كليًّا أو جزئيًّا، ووفقًا لنص المادة 23من اتفاقية جنيف الرابعة لسنة 1949 تعتبر سلطات الاحتلال ملزمة بعدم اتخاذ أي إجراءات تقيِّد حركة الإمدادات الطبية والإنسانية من الوصول إلى المناطق المحتلة، كما تعتبر المادة الثامنة الفقرة ب/25 من ميثاق المحكمة الجنائية الدولية تعمد عرقلة الإمدادات الغوثية للسكان المدنيين ـ على النحو المنصوص عليه في اتفاقيات جنيف ـ من قبيل جرائم الحرب.

وعلى ضوء ما ذُكر أعلاه فإنَّ المطلوب من إسرائيل فك الحصار كليًّا عن قطاع غزة بدلًا من التلاعب بما يسمى تخفيف الحصار، لأنها تتحمل المسؤولية القانونية بصفتها قوة احتلال أولًا والحصار الإسرائيلي المفروض حاليًا على قطاع غزة يُشَكِّل مخالفة جسيمة للقانون الدولي الإنساني ويمثل أبشع صور العقوبات الجماعية التي تشمل المواد الغذائية والدوائية والوقود ومواد البناء.. إلخ"[1].

(1) الدكتور: حنا عيسى: الحصار على غزة بحسب قواعد القانون الدولي الإنساني جريمة إبادة جماعية" بتصرف يسير.

.http://www.miftah.org/arabic/Display.cfm?DocId=14317&CategoryId=2

المبحث الثاني

مواجهة الحصار وحكمه

إنَّ من واجبات المسلم أن يشارك إخوانه بفكره وقلمه وماله في مواجهة الأزمات والنوائب، والتي من أخطرها حصار المستضعفين في كثير من البلدان، وتظهر أهمية هذا المبحث في المطالب التالية:

المطلب الأول: أهمية مواجهة الحصار وآثاره.

أولاً: أهمية وأهداف مواجهة الحصار.

وتبرز أهمية مواجهة الحصار فيما يلي:

1- توحيد الأمة بكل أفكارها وجيوشها في مواجهة الأخطار المحدقة، وتجميع الطاقات المشتّتة، وتضافر الجهود التي تبني وتُعمّر، قال الله ﷻ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: 2].

2- استمرار التبادل العلمي والمعرفي والأكاديمي بين المدن والجامعات الفلسطينية من جهة، وبين فلسطين ودول العالم من جهة أخرى، من خلال المشاركة المتبادلة في المؤتمرات العلمية وورشات العمل العملية التي تخدم مسيرة التنمية والبناء، قال الله ﷻ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[الزمر: 9]، وكذلك إعطاء المواطنين الحرية الكاملة في السفر والتنقل بين المدن والبلاد؛ حتى يتمكنوا من قضاء مصالحهم المختلفة من تجارة، وتعليم، وعمل، وغيره.

3- القضاء على البطالة أو الحدّ منها من خلال توفير فرص عمل للخريجين والمتعطّلين من العمال والصُنّاع، وبذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس، وذلك لا يكون إلا بتخصيص موازنات مالية لإنشاء مصانع ومؤسسات هدفها تحريك عجلة الإنتاج، والاكتفاء الذاتي، وتوفير فرص عمل لأبناء الوطن، وهذا هو سبيل الدول الناجحة التي تحتضن أبناءها وتوفّر لهم الحياة الكريمة، إذ إن قوة الدولة بقوة أبنائها العقلية والعملية.

وممّا يوضّح لنا اهتمام قادة المسلمين بمسؤولياتهم، أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ في عام الرمادة " وضع جميع إمكانيات الدولة لحل الأزمة وإشباع البطون الجائعة...، وكان عمر بن

الخطاب يدور في القبائل القريبة من المدينة ويوزّع عليهم أعطياتهم بنفسه، وكان يكتبُ إلى بعض ولاته أن أعطِ الناس أعطياتهم وأرزاقهم"[1].

4- الانفتاح على العالم والعمل على التبادل التجاري والتكنولوجي في كافة المجالات، لمواكبة التطور والنهوض العالمي فيما ينفع البلاد والعباد، وهذا من فروض الكفاية التي أُمِرنا بأن يقوم بها البعض منَّا، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: 122]، "وفي هذه الآية أيضًا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف لفائدة مهمة، وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدُّوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدًا واحدًا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور"[2].

ثانيا: آثار مواجهة الحصار:

إن استطعنا بإيماننا بالله ﷻ، ثم بوحدتنا، أن ننتصر على الحصار فإننا نقطف ثمراتٍ يانعة من أهمها:

1- تكون الأمة والشعوب قادرة على أخذ قراراتها بدون تبعية لأحد، وبذلك تكون أمة قوية يحسب لها الأعداء ألف حساب، ولو أننا عملنا بقول الله ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 103]، لما استطاع أحدٌ من الأعداء أن يفرّقنا، ولما عانى أحدٌ من الحصار وويلاته.

2- يستطيع كل بلدٍ أن يعتمد على أبنائه في غذائه ولباسه وسلاحه، إذ إن ضعف بلاد المسلمين يكمن في استيرادهم لكل شيء غالبًا من الأعداء، ممّا جعلنا ضعفاء لا نملكُ قرارنا بأيدينا، مع أنَّ الله ﷻ علّم أبانا آدم عليه السلام كل الأسماء وذلّل لنا الأرض، قال الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: 15].

3- نعيدُ فلسطين إلى مكانتها الدينية والعقدية في الصدارة والحضور الدائم، ويتعرّف المسلمون عن قربٍ على أهمية أرض الإسراء والوعد، التي ذكرت في سورة الإسراء في القرآن الكريم، قال اللـه ﷻ: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا

(1) محمد قلعجي: موسوعة فقه عمر بن الخطاب (ص:135-137).

(2) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (355/1).

حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: 1]، وذلك من خلال إدراك فضل الصلاة في المسجد الأقصى المبارك وعمق الصلة الروحية بينه وبين المسلمين، وتَلَمُّس البركة فيما حوله من أرض الشام وكنوزها، وفي هذا قوة جديدة للمسلمين، وحيوية لقضية فلسطين المباركة.

4- نستطيعُ أن نقيمَ دولة إسلامية على منهاج النبوّة ونقيمَ شرع الله ﷻ، ويعيش المسلمون في كنف دينهم وعز خلافتهم المنشودة؛ لأنَّ العمل على تحكيم شرع الله ﷻ واجبٌ فَوْرَ الاستطاعة حتى لا تُعطّل الحدود، وينتشر الفساد في الأرض.

المطلب الثاني: أنواع الحصار.

النوع الأول: الحصار المشروع.

"وأحيانًا يكون واجبًا إذا رأى ذلك إمام المسلمين وعيّنه في مرحلةٍ أو ظرفٍ ما"، وهو حصار المسلمين للعدو بهدف نشر الدين الإسلامي، أو بهدف تأديبه ودرء شروره، مثلما كان يحدثُ أحيانًا في الغزوات النبوية وفي حياة الخلفاء الراشدين والسلف، كحصار المسلمين ليهود خيبر وبني النضير وبني قريظة وحصار الطائف، والقسطنطينية وغيرها، وهو ما يمكن أن نسميه بالحصار العكسي للعدو، قال الله ﷻ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 5].

وهناك وجهٌ آخر لهذا النوع وهو سلاح المقاطعة للعدو بكل أشكالها وخاصة المقاطعة الاقتصادية، حيث إنَّ اقتصاد العدو والمستوطنات المقامة على أرض الفلسطينيين يمتص أموال المحاصرين، ويُضعف اقتصادهم، وسأفصِّل عنه عند الحديث عن سبل مواجهة الحصار المادي في الحلول العملية.

النوعُ الثاني: الحصار المحرّم.

وهو الحصار الظالم الذي يتعدّى على حقوق البشر ويستهدف دينهم وحضارتهم، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: 58]، وهو نوعان هما:

أولاً: حصار مادي.

وهو الحصار الذي يستخدم فيه العدو الوسائل الملموسة والمشاهدة والمحسوسة بحق المحاصرين[1]، ويظهر هذا النوع من الحصار في عدة أشكال هي:

1- الحصار العسكري.

"وهو قيام وحدات الأسطول البحري للدولة المحَارِبة بالإضافة إلى قواها الجويَّة والبريَّة والبحرية بمنع الاتصال البحري والبري والجوي مع مرافئ وسواحل بلاد العدو المحاصِر؛ بُغْية شل حركة السفن والمعابر الموجودة فيها، ومنع تموينها بالمواد الغذائية أو المعدات الحربية"[2].

وسبب هذا الحصار: "أَنَّ "مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعَانِيهِ الْعَالَمُ فِي جَمِيعِ الْمَعْمُورَةِ مِمَّنْ يَنْتَمِي إِلَى الْإِسْلَامِ، تَنْبِيهًا بِهَا عَلَى غَيْرِهَا مُشْكِلَةُ ضَعْفُ الْمُسْلِمِينَ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا فِي الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ عَنْ مُقَاوَمَةِ الْكُفَّارِ "[3].

ويمكن أن نلخِّص أهم آثار الحصار العسكري في الأمور التالية:

أ- نزوح مئات الآلاف وتهجيرهم من ديارهم في ظروفٍ بائسة من الفقر والذل والعَوَز، كما حدث في أفغانستان والعراق بسبب غزو أمريكا وحلفائها وحصارهم لتلك البلاد وغيرها كسوريا التي لم تسلم من ويلات الحرب والمؤامرات الداخلية والخارجية، والحصار اليهودي المستمر لمدن فلسطين وبالذات قطاع غزة، والاستيلاء على معظم البلدات الفلسطينية التاريخية، وهذا كله أدَّى إلى مرحلة عارمة بالفوضى والتمزّق وتدمير مراكز الحضارة والقوة في الأمة[4]، قال الله ﷻ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الممتحنة: 2].

ب- سرقة أراضي المواطنين وهذا يَظهرُ جليًا في الأراضي المحتلة في فلسطين، حيثُ إنَّ المستوطنات تتمدّد كل يوم وتبتلع أراضي الفلسطينيين تحت غطاء قضائي وقانوني باطل افتروه ليُحقّق لهم الاستيلاء على الأراضي والبيوت، وليسَ أخيرًا مصادرة أملاك الغائبين، قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[الشعراء: 152].

---

(1) انظر: رمضان إسحق الزيان: الأساليب النبوية والعصرية في فك الحصار عن الدعوة الإسلامية (ص: 495).

(2) الأستاذ سميح ناطور: موسوعة الألفيات اصطلاح وتعريف (ص:40) بتصرّف.

(3) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن(50/3)،)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الشنقيطي: أضواء البيان.

(4) انظر: عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه" (ص 65-67).

ت- تقسيم البلاد وتقطيع أواصرها من خلال إقامة الحواجز، وفرض التصاريح للعبور، ولا يخفى على أحدٍ ما حصل من فصلٍ بين مدن الضفة وقطاع غزة، وهذا يُسهّل على العدو اجتياح أي مدينة بأقل التكاليف والخسائر، قال الله ﷻ: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[المائدة: 64].

والعجبُ من الهيئات العالمية التي تزعم أنها تنادي بحقوق الإنسان وأنها ترعاها، ثم تدفن حقوق الشعوب وتسحقها تحت الدبابات وتحرقها بالطائرات والآلات العسكرية، وترتكب المجازر البشعة بحق الأبرياء في كثيرٍ من دول المسلمين، فيموت من يموت، وتعاني البقية، ولا يسلم شيء حتى الحيوانات والأشجار، وحقًا إنَّ العمى عمى القلوب، قال الله ﷻ:﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: 46].

2- الحصار الاقتصادي.

هو نوعٌ من الحصار يُرادُ به التضييق اقتصاديًا على بلد من البلدان بمختلف الوسائل"[1]، وهو وسيلة" من وسائل أعداء الدين في قتال المسلمين الحصار الاقتصادي"[2]، "لأنَّ هذا الحصارَ نوعٌ من أنواع القتال"[3]، وهدفه: "منع وصول الأموال والحوالات المالية إلى الدولة المُحَاصَرَة وتجميد أموالها لدى الدول المُحَاصِرَة، وقطع أية علاقات تجارية، ومنع وصول السلع والمواد الغذائية لسكان تلك الدولة"[4]، ومن أعظم أسباب ضعفنا أننا أمة مستهلِكة، والمستهلك دومًا ضعيف، ولن نكون أقوياء إلا إذا أنتجنا آلاتنا بخبراتنا، وصنعنا قوتنا بأيدي أبنائنا، وزرعنا أرضنا بِعَرقِنا وجُهدنا.

ويتجلّى في الشدّة دورٌ خطيرٌ للمنافقين في زيادة هذا الحصار، وخطرهم في منع وصول العطايا والمساعدات والصدقات إلى المسلمين، قال الله ﷻ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون: 7]، وهذا قول ابن سلول لأصحابه، أي "أنهم يأمرون

(1) أحمد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة (506/1).

(2) جماعة من علماء التفسير: المختصر في تفسير القرآن الكريم (555/1) بتصرف يسير.

(3) الشنقيطي: أضواء البيان (187/8).

(4) نعيم الصفدي: الصبر والثبات في مواجهة الحصار (ص:451)، بتصرّف يسير.

بالإضرار بالمؤمنين وحبس النفقات عنهم"[1]، "إن عبد الله بن أُبيّ ابن سلول قال لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله، فإنكم لو لم تنفقوا عليهم قد انفضوا...يعني الرَّفد والمعونة"[2]، وقال الماتريدي في تفسيره[3]:" وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ دلالة أنهم أرادوا إطفاء هذا النور وإخفاءه، فأبى اللَّه تعالى إلا أن يظهره، وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يبسطها على المنافقين؛ ليمتحنهم بالإنفاق على المؤمنين، أو لله خزائن السماوات والأرض يضيقها على المؤمنين؛ ليمتحنهم بالصبر في حال الضيق"[4]، "ويَنْفَضُّوا أَيْ يَتَفَرَّقُوا، وَقُرِئَ: يَنْفَضُّوا مِنْ أَنْفَضَ الْقَوْمُ إِذَا فَنِيَتْ أَزْوَادُهُمْ"[5]، «عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ، يَقُولُ: لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ) [المنافقون: 1] فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»[6].

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: 9]، حذَّر المُؤمنين أخلاق المنافقين، أي: لا تشتغلوا بأموالكم كما فعل المُنافقُون إذ قالُوا – لأجْلِ الشُّحِّ بأموالهم –: ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [7]، إنه صُراخ الشيطان، وعويلُ أهل الباطل الذين يؤزُّهم أبالسة الجن والإنس

---

(1) شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (311/14)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الألوسي: روح المعاني.

(2) الطبري: جامع البيان (397/23).

(3) الماتريدي: أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، نسبته إلى ماتريد (محلة بسمرقند)، من أئمة علماء الكلام، من كتبه (التوحيد)، و(أوهام المعتزلة)، و(الرد على القرامطة)، و(مآخذ الشرائع) في أصول الفقه، مات بسمرقند سنة(333هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (19/7).

(4) أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي :تأويلات أهل السنة (26/10).

(5) الرازي: مفاتيح الغيب (548/30)

(6) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿ إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ قَالُوا: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ إِلَى ﴿ الكَاذِبُونَ﴾ (ح4900)، (152/6).

(7) أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب (117/19).

لتفريق المسلمين وتحطيم معنوياتهم، " وهي قولة يتجلى فيها خبث الطبع، ولؤم النحيزة ـ الطبع ـ، وهي خطة التجويع التي يبدو أن خصوم الحق والإيمان يتواصون بها على اختلاف الزمان والمكان، في حرب العقيدة ومناهضة الأديان، ذلك أنهم لِخِسَّة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة كما هي في حسهم فيحاربون بها المؤمنين"[1].

وإنَّ المُتابع لحصار المسلمين في غزة والعراق وسوريا وغيرها ليلمَس هذا التحريض جليًّا على الحصار الاقتصادي، حتى صار الأعداء يُجاهرون به على الملأ، ويتباهى به المنافقون في خِضَمِّ الأزمات التي تعصف بالمحاصرين، فهم يريدون قطع الإمدادات والمعونات عن الشعوب المحاصرة، ويُعيّرونهم بالفقر وسوء الأوضاع بسبب انحيازهم إلى الإسلام، وأنهم لو اختاروا غير هذا الطريق لكان الغنى والهدوء والاستقرار حليفهم، حتى يتفرّقوا عن قيادتهم ودعوتهم وينفَصِلوا ليركنوا إلى الفاسدين والمُثبِّطين، ويتّبعوا غير سبيل المؤمنين، وهذا هو عمل المفسدين لتفكيك المجتمع وإشاعة الفوضى، لمنع نجاح أي مشروع إصلاحي أو إغاثي والسعي لإفشاله والتحريض الداخلي والخارجي عليه، والمقصود هو الحصار المالي والاقتصادي على الدعاة والمصلحين؛ حتى تجدَ القيادة نفسها عاجزةً عن توفير متطلّبات الحياة الأساسية للمواطنين كالكهرباء والوقود والغذاء والمياه والأدوية، فلا تجد سوى الرضا بشروط الأعداء، وفي هذا ذلّة وصغار لا يرضاه عاقلٌ للإسلام وأهله، قال الله ﷻ عنهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: 11]، ويخاصمون بزعمهم أنهم ينصحون، ولو كانوا صادقين في نصحهم لسعوا إلى تحبيب الرعاة إلى الرعية، والرعية إلى الرعاة، والعمل على جمع الكلمة، والقضاء على منابع الخلاف، ألا ترى أنهم يمارسون ابتزاز المحاصرين في كل شيء، وودّوا لو حجبوا عنهم نور الشمس والقمر ناهيكم عن بصيص الكهرباء؛ ليغرقوا في الظلام إلى الأبد!، إنَّ هذا من الإفساد في الأرض.

وفي المقاطعة العامّة التي فرضتها قريش على النبي ﷺ وأصحابه "اضطر الرسول ﷺ ومن معه إلى الاحتباس في شعب بني هاشم، وانحاز إليهم بنو المطلب، كافرهم ومؤمنهم على سواء، ما عدا أبا لهب، فقد آزر قريشًا في خصومتها لقومه.

وضُيّق الحصار على المسلمين، وانقطع عنهم العون، وقلّ الغذاء حتى بلغ بهم الجهد أقصاه، وسمع بكاء أطفالهم من وراء الشّعب، وعضتهم الأزمات العصيبة، حتى رثى لحالهم الخصوم، ومع اكفهرار الجو في وجوههم، فقد تحملوا في ذات الله الويلات"[2].

---

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن (3579/6).

(2) محمد الغزالي السقا: فقه السيرة (127/1).

ومن شدة التضييق "كانت الصحابة إذا قدمت عير إلى مكة، يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام قوتًا لعياله، فيقوم أبو لهب فيقول: يا معشر التجار! غالوا على أصحاب محمد، حتى لا يدركوا معكم شيئًا، وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن الأخسار عليكم، فيزيدون عليهم السلعة قيمتها أضعافًا، حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله، وهم يتضاغون من الجوع، وليس في يده شيء يطعمهم به، ويغدو التجار على أبي لهب، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس، حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعًا وعريًا"[1] واستمر هذا الحصار الظالم ثلاث سنوات كالحة، حتى بعث الله ﷻ الأرضة فأتت على ما فيها من قطيعة وظلم، ولم تترك سوى المواضع التي ذكر الله ﷻ فيها.

فكانت هذه" خطة قريش وهي أن تقاطع بني هاشم في الشعب لينفضوا عن نصرة رسول الله ﷺ ويسلموه للمشركين! وهي خطة المنافقين كما تحكيها هذه الآية: ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾؛ لينفض أصحاب رسول الله ﷺ عنه تحت وطأة الضيق والجوع! وهي خطة الشيوعيين في حرمان المتدينين ببلادهم من بطاقات التموين؛ ليموتوا جوعا أو يكفروا بالله، ويتركوا الصلاة! وهي خطة غيرهم ممن يحاربون الدعوة إلى الله وحركة البعث الإسلامي في بلاد الإسلام، بالحصار والتجويع ومحاولة سد أسباب العمل والارتزاق"[2].

واستحدث الأعداء سبُلًا جديدة لخنق المحاصرين منها:

أ- اعتقال التجار بعد طلبهم للمقابلة، والتضييق على حركتهم وتنقلاتهم وسحب تصاريحهم، وكذلك تغريمهم مبالغ باهظة مما يجعل بعض التجار يعزف عن ممارسة عمله، وهذا كله يزيد من الحصار، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ﴾ [آل عمران: 118].

ب- وهناك نوع يُلحق بالحصار الاقتصادي وهو: حصار العمل الخيري: حيثُ إنَّ الغرب وحلفاءهم يشنّون حملات مسعورة على مؤسسات العمل الخيري، تحت مسمى محاربة الإرهاب، ويضعون العوائق التي تُقيد سيرها[3]، قال الله ﷻ عن كل من يساهم في حجز الخير والإحسان: ﴿ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ﴾ [ق: 25].

---

(1) محمد الغزالي السقا: فقه السيرة (127/1).

(2) سيد قطب: في ظلال القرآن (3579/6)، بتصرّف.

(3) انظر: أحمد بن عبد الرحمن الصويان: جراحات المسلمين وواجب النصرة (ص:102-103)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الصويان: جراحات المسلمين.

3- الحصار السياسي والدبلوماسي.

"حيث تقوم الدول المحاصِرة بقطع أي علاقات دبلوماسية أو سياسية مع الدولة المضروب عليها الحصار، فتغلق السفارة إن كان لها سفارة في الدولة المحاصرة، وتقطع أي علاقات دبلوماسية مع تلك الدولة، وتمتنع عن لقاء أيٍّ من مُمثلي تلك الدولة، وغالبًا ما يكون هذا الحصار ممهّدًا لإجراءات أخرى أو أنواع أخرى من الحصار تكون أشد قوة وأعمق أثرًا"[1].

ومن آثار الحصار السياسي ما يلي:

أ- محاولة التمدّد باستمرار على حساب الدول الفقيرة والضعيفة لأهداف كثيرة منها: الاستفادة من خيرات الدول التي يتمدّدون فيها، واتخاذها مصدر قوة للاِنطِلاق في المعارك والمناورات، والتأثير على الشعوب لإخضاعها ومحاولة الهيمنة السياسية في العالم من خلال الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من الأرض، وهذا منهج الفراعنة الذي يقوم على الاستعلاء والتكبّر، قال الله ﷻ حكاية عن فرعون وزُهوّه المُزَيّف: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف: 51]، وقال ﷻ: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: 24].

ب- عدم الاِعتراف بشرعية الحكومات التي تختارها الشعوب طالما لم يرضَ عنها المجتمع الأوروبي والدولي، وهذا مصداق قوله ﷻ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: 120]، وحظر إشتراك الدولة المحاصَرة في أية مباحثات أو قرارات تخص المنطقة التي تقع فيها.

ت- إرغام الدول على وقف مساعداتها ودعمها، وتراجعها عن مناصرة قضايا المحاصرين؛ بسبب تسلّط الأعداء، وترهيبهم لمن يقف مع المظلومين إعلاميًا وسياسيًا واقتصاديًا، وتكبيلهم بالأنظمة والقوانين التي تحول دون نصرة المحاصرين[2]، وهذه سياستهم الخبيثة في محاربة الرسل وأتباعهم، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[الأنفال: 30].

---

(1) نعيم الصفدي: الصبر والثبات في مواجهة الحصار (ص:451).

(2) انظر: الصويان: جراحات المسلمين (ص:102).

4- الحصار الاجتماعي.

وهو شكلٌ من أشكال الحصار والإيذاء الذي يستخدمه الأعداء لتفكيك المجتمع في البلد المحاصَر، وللتضييق على أهله لإجبارهم على الخضوع والاستسلام، وهو من أخطر أشكال الحصار على مر الزمان؛ بسبب آثاره السلبية والخطيرة على المجتمع والشعب ونفسياتهم.

ويمكن أن نلخِّص أهم آثار الحصار الاجتماعي في الأمور التالية:

أ- فرض القطيعة والبعد بين البلاد مع بعضها، وبين أبناء الشعب الواحد، وحرمانهم من التواصل الاجتماعي في المناسبات والمصالح الشخصية، والمصاهرات وغيرها، قال الله ﷻ: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: 64].

ب- التفكّك الأسري، وهذا حصارٌ استخدمه العدو الصهيوني بحق الفلسطينيين المحاصرين من خلال محاولة ابتزازهم فيما يُعرف بـ " لمّ الشمل" في حال ما إذا تزوج شابٌ من مدينة محاصرة وأراد أن يأخذ زوجته إلى بلدته، أو أراد أن يجلب أولاده وأهله إلى خارج البلد المحاصر، وهذا الفعل من المكر السيء الذي فضحه القرآن من أعمالهم، قال الله ﷻ: ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ﴾ [فاطر: 43].

ت- فقدان الهوية، وفتور العلاقات بين الأقارب؛ بسبب بعد المسافات، وكثرة الحواجز.

إنَّ "أسلوب المقاطعة الذي مر آنفا من أغرب الأساليب وأخطرها في مواجهة الدعوة، وهو يتكافأ مع مدى القوة التي وصلت إليها الدعوة في محاولة من المحاولات اليائسة للإجهاز عليها وإفنائها، وإن كان أسلوب الاغتيال ينال شخص قائد الدعوة وعصبها الرئيسي، فأسلوب المقاطعة يتناول كل فرد فيها، بل يتناول كل فرد يناصرها أو يذود عنها أو يتعاطف معها"[1].

ثانياً: حصار نفسي" أو معنوي".

وهو الحصار الذي يستخدم فيه العدو الوسائل المعنوية والنفسية والفكرية ضد المحاصرين، ويظهر هذا النوع من الحصار في عدة أشكال هي: الحصار الفكري والشائعات، والحصار الإعلامي، والحصار الأخلاقي والسلوكي، وكلها تكون غير محسوسة؛ لكنها تتحول بلا شك إلى آثار سلبية بعضها محسوس.

وتظهر بعض هذه الآثار في الصور التالية:

1- الأمراض والهموم التي تصيب بعض المحاصرين بسبب القلق والاضطراب النفسي والخوف على الأبناء، والانشغال بالرزق، وهذا غالبًا يكتوي بناره كبار السنّ والضعفاء، وبسبب خوفهم

(1) منير محمد الغضبان: فقه السيرة النبوية (183/1).

على الأبناء ومستقبلهم، ومَن قصد القرآن وجد شفاء لأدوائه وأسقامه، قال الله ﷻ: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: 2]، وطمأن الله عباده المؤمنين بأنه تكفّل برزقهم فلا مجال للخوف على الرزق، قال ﷻ: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[الذاريات: 22].

2- التلوث الفكري الذي يصيب ضعاف الإيمان والانتماء من المحاصرين وغيرهم، وهؤلاء يتأثرون بفعل الخوف على المصالح الشخصية، أو بسبب ضعف الثقافة ومحدودية التفكير، ولا ننسى مفعول الغربة الطويلة التي ألجأهم إليها الحصار، فتشبّعوا بالأفكار الغربية مما يُؤثّر على عقيدة ودين بعض المسلمين، قال الله ﷻ موجّهًا المؤمنين إلى مخالفة أهل الأهواء: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[المائدة: 77].

3- "التمكّن من أدوات التوجيه في البلدان المُحتلة واستخدامها في إفساد أخلاق المسلمين وأعراضهم، ونشر الرذيلة، وبثّ الشقاق بينهم"[1]، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾[النساء: 27].

وهذه أهم أنواع الحصار النفسي والمعنوي بشيء من التفصيل:

1- **الحصار الفكري.**

ويمكن أن نسميه "حصار الأدمغة" أو" تعطيل العقول":

ولم يكن الحصارُ الذي يستهدف المسلمين حصارًا اقتصاديًا بحتًا، ولم يقتصر على الحصار العسكري أو السياسي أو الاقتصادي، وإنَّما استهدف كلَّ مُدَّخرات الأمة في الفكر والثقافة والعلم والجهاد، وركّز على الحصار الفكري الذي لا يقلّ ضراوة عن أنواع الحصار الأخرى إن لم يكن أخبثها وأخطرها على الإطلاق، وهو أخطرها بالنسبة للمستهدفين؛ لأنه يمرّ بسلسلة من المحاولات المتلاحقة لتطويق الأدمغة المسلمة وغسل عقولها، لقتل حيويتها ومنعها من التقدّم، وتعطيلها عن قيادة الأمة ووقف تأثيرها في العالم، ووأدِ نضجها وتفكيرها؛ لتبقى حبيسةً ضامرة حتى تموت، وذلك عن طريق إشغالها بموجاتٍ متوالية من الشبهات والشهوات والأمور الهامشية التي تستنزف الفكر والعقل والوقت، "كما صاحب هذه الموجات حملة بث مشابهة استهدفت الإسلام والمسلمين في حملات مباشرة، فظهرت كتابات تطعن في عقائد المسلمين وتتناول الأنبياء والرسل بالتشكيك في رسالتهم وسيرتهم، بل إن بعض الاتجاهات العقائدية المشبوهة

(1) عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه" (ص: 78).

قامت أخيراً بتبني حملة إعلامية منظمة ضد المسلمين، انتصارًا لآرائهم الضالة فأنشؤوا شبكات إذاعية تبث برامجها، مستهدفة المسلمين في كل مكان"[1].

"فالمسألة ليست كلها غزوًا بخيل وسلاح وعُدَد، فقد يكون الغزو والحصار بالفكر الذي يتسرَّب إلى النفوس من حيث لا تشعر، فإذن لابد أن تكون أيضًا في الرباط الذي يمد المؤمن بقدرة وطاقة المواجهة"[2].

وأكبرُ حَظرٍ مارسه الأعداءُ هو محاولة تغييب القرآن الكريم، الذي جاء ليُخاطب العقول ويُصحّح المفاهيم تجاه مسألة الخالق وغاية إيجاد الخلق، ويجيبُ على كل التساؤلات التي كانت تُحيّر ذوي الألباب والعقول، وتضعُ ضوابط للتعامل مع الغيبيات وحدود اجتهاد الإنسان، قال الله ﷻ حكاية عن فرعون وقومه لمَّا وقفوا في وجه موسى عليه السلام وحاولوا حجز النَّاس عن الإيمان برب موسى بأن اتهموه بالسحر، قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف: 109 – 110]، وقال حكاية عن فرعون خلال محاولته محاصرة تفكير قومه والسيطرة على أفهامهم وعقولهم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: 29]، هذه الكلمات البسيطة التى قالها فرعون تعكس منهج المستكبرين في التعامل مع العامة والأتباع، فإن أخطر ما نجح أعداؤنا بتحقيقه بعد ضخ ملايين الدولارات في سبيل ذلك هو إلغاء الإعتماد على عقولنا في الفهم والتحليل لما يدور حولنا، والإعتماد فقط على العين والأذن، لاحظوا ماذا قال فرعون؟، قال: لا أريكم ولم يقل لا تعقلون ما أعقل، لأنه يعرف أنه إذا وصل إلى مرحلة إلغاء العقل واستخدام العين فسينجح في تغيير الحقائق ونشر ما يريد لأنه سيعرض عليهم المشاهد والأحداث كما يريدها هو، وإنَّ وصول أعدائنا لهذه المرحلة – حيث يعتمد المعظم على أذنه وعينه في تبني وجهات النظر وقراءة الأحداث– يعني أن الشّق الآخر مِن مُهمتهم قد نجح إلى حدٍّ كبير، حيث يعرضوا لنا أي حدث كما يريدونه هم عبر فضائياتهم ومواقعهم الإلكترونية المنتشرة بكل اللغات وبالصوت والصورة والمؤثرات العاطفية والموسيقى الحزينة لنأخذ بعدها المواقف وننطلق وقد تشبعّنا بأفكارهم، والعجيب أن فرعون استطرد بالقول بعد هذه الكلمات بقوله ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾، إنه يستجهلهم حيث يريد إقناعهم أن طريقه هي طريق الرشاد، تمامًا كما يُحاول الإعلام اليوم أن يُغيّبنا فيقدم لنا الصادقين المخلصين الأحرار

(1) المنتدى الإسلامي: مجلة البيان (38/109) بتصرّف.

(2) محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي (1976/4) بتصرّف يسير.

رافضي التبعية على أنهم شياطين وإرهابيون، ويقدم لنا المجرمين القتلة تجار الدم والأعراض وعبيد الدنيا والمال على أنهم أدعياء سلام وحب وأمان وحرية وديمقراطية[1].

وقال الله ﷻ عن كفار مكة ـ لما قاموا بحملة تحريضٍ وتشويه بحق النبي ﷺ، وحاولوا حجزه عن مقابلة الحجاج والوافدين للمسجد الحرام ـ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ [فصلت: 26]، "ومما يؤكد تأصل العناد في قلوب المشركين ضربهم الحصار حول القرآن الكريم حتى لا يسمعه سماعًا القادمون في موسم الحج ومع هذا فقد فتح مصعب بن عمير ﷺ يثرب بآيات من القرآن مكث فيها يقرأ القرآن على أهلها، فآمنوا ودعوا رسول الله ﷺ إلى الهجرة إليهم حتى قيل: "فتحت الأمصار بالسيوف وفتحت المدينة بالقرآن، وهل هناك من سلاح أقوى من سلاح البيان القرآني؟!"[2].

ولهذا الحصار أهداف كثيرة يسعى الأعداء إلى تحقيقها، ومن أهما ما يلي:

أ- "إفساد عقائد المسلمين، وردّهم عن دينهم الذي يُحتِّم على المسلمين عداوة الكافر والبراء منه، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: 217]، وقال ﷻ: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: 89]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [البقرة: 109].

ب- التمكين لأوليائهم في تلك البلدان من المنافقين والعملاء من بني جلدتنا، وتسليمهم مقاليد الأمور في بلدانهم"[3]، لأن ذلك يُثبّت قواعدهم، ويُساعدهم في نفث سمومهم بين المسلمين، والله ﷻ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾[التوبة: 73]، وجهادهم يكون بكل الأشكال التي ترد أذاهم.

ت- تعطيل عقول المسلمين وحصارهم فكريّاً من خلال إشغالهم بأكبر قدر ممكن من المشاكل، وويلات الحصار وتبعاته؛ حتّى يستنفذوا طاقاتهم وأفكارهم الإبداعية في وضع حلول لمشكلاتهم وقضاياهم الطارئة والمتلاحقة، بدلاً من تسخير هذه الطاقات والأفكار في العمل الناجح، وبدلاً من توجيهها لصناعة المستقبل، وتطوير الصناعات، ومواكبة التكنولوجيا والتقدم العلمي المُذهل، وكذلك حرمانهم من النهوض في مجال الإنتاج والمنافسة العالمية مع الدول المتطوّرة تكنولوجيا،

---

(1) انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن (3080/5)، وابن عاشور: التحرير والتنوير (133/24).

(2) فهد بن عبد الرحمن الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (869/3).

(3) عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه" (ص 77-78).

وتحجيمهم من الغوص في البحث العلمي ومشاركة دول العالم وعلمائهم في ذلك، قال الله ﷻ: ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[آل عمران: 118].

ث- حشو بعض العقول المسلمة بالهزيمة النفسية، وإشاعة فشل الإسلاميين في الإدارة، والخوف من المستقبل، وترسيخ فكرة أنَّ العرب والمسلمين متخلّفون، وغيرُ مؤهلين للقيادة والريادة، مما يجعل هؤلاء ينكمشون ويحجمون عن خوض التجارب والعمل؛ حتى لا يفاجئوا بالفشل والإحباط، وبذلك يقتلون الكثير من الأفكار النافعة، ويئدون هذه الهمم في مهدها، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: 12]، ولقد حذرنا النبي ﷺ من النظرة السوداء للمسلمين واتّهامهم بالفساد والفشل وذِكرهم على سبيل الازدراء والاحتقار، فقال ﷺ: « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ »[1].

ج- نسبة النجاح والقوة في الإدارة والتميّز للعقول الغربية، وهذا يجعل الكثير من العرب والمسلمين يستسلم للأعداء، ويتّبع سياسة التقليد والتشبّه بهم والاعتزاز بثقافاتهم وحضاراتهم، والدفاع عنها وتقديمها على أنها البديل عن حضارة الإسلام، مما يضعف ثقة المسلم بدينه، ويُشوّه ثقافته الإسلامية الأصيلة وقد يمحوها كليًّا، ولطالما حذّرنا النبي ﷺ من ذلك فقال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى!، قَالَ: «فَمَنْ»[2].

ح- يلجأ الأعداء إلى منع دخول المطبوعات والكتب إلى المناطق المحاصرة بزعم أنها تهاجمهم ولا تعترفُ بهم، أو لأنها لا تنسجمُ مع نظمهم ومبادئهم، وتتعارض مع عادات شعوبهم وتقاليدهم ومعتقداتهم الدينية والسياسية والفكريَّة، وهذا جزء من حصارهم ومكرهم للمؤمنين، قال الله ﷻ: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: 30].

خ- تغيير ثقافة وتفكير بعض المسلمين من خلال توظيفهم في مؤسسات وجمعياتٍ تتلقّى الدعم مباشرة من مؤسسات غربية تحت غطاء دعم برامج الصحة والأطفال والثقافة، وتطوير الأنشطة، مما يُشكّل خطرًا على ثقافة هؤلاء الموظّفين، ويعمل على تغريب الجيل الناشئ من خلال إقحامه في برامج لا تتناسب مع قيم ديننا؛ كالاختلاط بين الجنسين في بداية سن البلوغ،

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، بَابُ: النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ هَلَكَ النَّاسُ (ح2623)، (2024/4)، وقال أبو إسحق : لَا أَدْرِي، أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ، أَوْأَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ.

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، بَابُ: مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ (ح3456)، (169/4).

ونشر القيم والعادات الغربية، ومع مرور الوقت تنجح هذه الدول في تغيير ثقافة عدد كبير من المسلمين تحت غطاءات وهمية، قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾ [الفجر: 11 – 12].

د- توظيف الفنون الشعبية، كالمسرحيات والأغاني الفولكلورية في حصار الثقافة الإسلامية وكان لهذه الوسيلة أثر كبير في انتقاد الشباب لبعض المعتقدات الدينية بحجة الثقافة، مثل وضع المرأة والمساواة والحرية ، والمصادرة الثقافية التي أدَّت إلى ضياع قطاع عريض من الشباب المسلم الذي تغربت أخلاقه وسلوكياته ونظرته إلى المجتمع من حوله، ثم لمَّا تسلَّم السلطة قاد سفينة المجتمع بعيدًا عن المحيط الإسلامي الذي يمثِّل إطاره الصحيح فأدّى إلى انحراف أفكاره وتشوّه ينابيع وعيه، وهذا حدث في أكثر بلاد العرب[1]، قال الله ﷻ: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: 8].

ذ- "نشوء ما يمكن أن نسميه بثقافة (الدجل) التي انتشرت بفعل الحصار الفكري الذي استمر لفترة طويلة، تم فيها نشر عدد كبير من الكتب التي تعتبر ذات مفعول ثقافي مخدر، من ذلك: كتب الشعوذة، والطلاسم، والفكر المتطرف" [2]، والتشجيع على انتشار الأفكار التي تتناقض مع الإسلام، وللأسف وُجد من يدافع عنها، ويحاول تثبيتها في المجتمع، وطرحها على الإعلام بلا خجل، وهذا يضعنا أمام مسؤولية النصرة لدين الله تعالى، وتوعية الجماهير من هذه المخاطر، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: 40].

ر- هجرة الأدمغة "أو العقول"، وهذا يُشكِل خطرًا على مصلحة الوطن والمواطن، فالطالب الذي يبحث عن تخصّصٍ يبني من خلاله مستقبله، وتطوير ذاته ولا يجدُ هذا التخصُّص؛ بسبب ضغط الأعداء وتضييقهم على الهيكل التعليمي وغيره، مما يجعله يُفكّر بالهجرة، وكذلك انسدادُ الأفق أمام حشدٍ كبيرٍ من حملة الشهادات العليا، وفي ظل غليان الساحة بالتجاذبات السياسية وهشاشة الوضع الاقتصادي، وبسبب الحروب المتتالية، وسعي الكثيرين للبحث عن واقعٍ أفضل، فأُجبرت الكثير من العقول المنتجة وأصحاب الكفاءة على الهجرة ومغادرة البلاد المحاصرة؛ للبحث عن مجال لتخصُّصاتهم، مما يزيد من أعباء الحصار، والنقص في الكفاءات المبدعة للتفكير وإيجاد الحلول، وأثناء عملية الهجرة يسلك هؤلاء المهاجرون إما طريقةً شرعيةً أو غير شرعية، ممّا يُشكل خطرًا على حياة المهاجر غير الشرعي فيُلقى في السجون أو يموت غرقًا، أو

(1) انظر: المنتدى الإسلامي: مجلة البيان (96/141).

(2) المرجع السابق، نفس الصفحة.

يقع ضحية للصوص وتجار الموت فيستغلونه، ومن يصل منهم يكون أحيانا هائما على وجهه وهذا أيضًا يُعرّضه للتشويه الفكري والاندماج في الثقافات الأخرى على حساب ثقافته الأصيلة التي تواجه الانصهار والذوبان مع الزمن، وقد يرضى بالعمل في أي قطاع حتى لا يشعر بالفشل في رحلته، ويشوبه فتور بسبب بعده عن أهله ومجتمعه، ويحرم وطنه الأم من خبرته التي انتقلت للبلد البديل، وهذا يُضاعف الخسارة لبلده، خسارة العقل المنتج والخبرة، وخسارة الاستثمار، ولا يخفى الأثر الخطير على الجانب الديموغرافي لبلد محاصرٍ كفلسطين، فهذه الهجرة تُعطي مُبرّرًا لليهود لزيادة تمسّكهم بحقّهم المزعوم في أرض الميعاد، وهذه الهجرة في كل صورها تعتبر هروبًا من المشكلة وليس حلاً لها، فعلى المسلمين أن يعوا ذلك جيدًا وأن يتناصحوا ويقبلوا نصيحة أهل العلم ويشاوروهم في الأمور المهمة، قال الله ﷻ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[النحل: 43]، ويحذروا من الشيطان وجنده، فإنه سبب كل بلية وشر، قال الله ﷻ محذِّرًا المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: 6].

2- **الحصار الأخلاقي والقيمي.**

بعد أن خاض الأعداءُ الكثيرَ من المعارك العسكرية ضد المسلمين، غَلبوا في بعضها، وهُزموا في معظمها، واستُنزِفوا ماديًا وبشريًّا، لجأوا إلى تكتيكٍ جديد غيّر مجرى الصِّراع، ووّفر عليهم الكثير من الخسارة والاستنزاف في المواجهة المباشرة ـ مع عدم إغفالهم للقوة العسكرية في الحصار والغزو ـ وعمل على تخدير المسلمين لسنواتٍ طويلة، قال الله ﷻ:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾[الأنفال: 36]، وما ينطبق على الكفار ينطبق على المنافقين، فهم يجمعون الأموال الكثيرة، ويُعدّون العَسَاكِر ويتحمّلون المَشاقّ، ويُطعِمونَ الطعامَ لِحَرب المسلمين، ويستأجِرون المرتزقة، ويتوجّهون للصدِّ عن سبيل الله، ولحصار المسلمين بشتّى السُبل[1].

(1) انظر: الرازي: مفاتيح الغيب (8/337-338)،(15/481).

قال الرازي[1]:"قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: خَرَجَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى وَفْقِ عَادَةِ الْعَرَبِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ الْأَمْوَالَ بِالنَّهْبِ وَالْغَارَةِ ثُمَّ كَانُوا يُنْفِقُونَهَا فِي طَلَبِ الْخُيَلَاءِ وَالتَّفَاخُرِ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَتَوْهِينِ أَهْلِهِ، وَإِعَانَةِ أَعْدَائِهِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَنْبِيهًا عَلَى قُبْحِ أَعْمَالِهِمْ"[2]، فاستحدثوا نوعًا جديدًا من الحصار لإضعاف الجبهة الداخلية للمسلمين من خلال غزوهم في عقر دارهم بالحرب الصامتة التي تستهدف الأخلاق والسلوك، أو ما يمكن أن نسميه بـ "القوة الناعمة"، قال الله ﷻ: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 27]، ونحوه قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]، "أَيِ: اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ، أَيْ يُحَرِّضَكُمْ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَأَمَّا الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ فَيُرِيدُونَ انْصِرَافَكُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَمَيْلَكُمْ عَنْهُ إِلَى الْمَعَاصِي... وَالْمَقْصُودُ: وَيُحِبُّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا، وَلَمَّا كَانَتْ رَغْبَتُهُمْ فِي مَيْلِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْحَقِّ رَغْبَةً لَا تَخْلُو عَنْ سَعْيِهِمْ لِحُصُولِ ذَلِكَ، أَشْبَهَتْ رَغْبَتُهُمْ إِرَادَةَ الْمُرِيدِ لِلْفِعْلِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى- بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ- ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾[النساء: 44]"[3]، "ويتخذون من الإعلام الماجن وسيلة لإضلال الناس، فينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ﴾ [لقمان: 6]"[4].

وتظهر أهم معالم الحصار الأخلاقي والقيمي في الأمور التالية:

أ- الغزو الإباحي والسلوكي وذلك من خلال اتّهام الأخلاق والسلوك الإسلامي بالتخلّف والتشدّد ومحاولة حجز المسلمين عنها، والتقليل من شأنها في عيون المسلمين، ووصفها بأنها لا تتناسب مع الحضارة، "قيل لعالمٍ مسلم: هل قرأت أدب النفس لأرسطو؟، فقال: بل قرأتُ أدب النفس لمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.!!"[5]، وبعد ذلك يسعون إلى ضخ وابل من السلوكيات

---

(1) الرازي: أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، الإمام المفسر، وهو قرشي النسب وأصله من طبرستان، ولد في الري ونُسبَ إليها، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، من تصانيفه تفسير(مفاتيح الغيب)، و(معالم أصول الدين)، توفي سنة(606هـ). انظر: الأعلام، للزركلي(313/6).

(2) الرازي: مفاتيح الغيب (329/20).

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير (21/5).

(4) المنتدى الإسلامي: مجلة البيان (84/179).

(5) محمد الغزالي: خلق المسلم (ص:7).

المنحرفة والأفكار والفضائيات الشيطانية والمقاطع الإباحية، وآلاف الصفحات والمواقع الالكترونيَّـة التي تفتن الجيل، وتُشوّه صفاءه، وتتفنّن في تزوير تراثنا الإسلامي، قال الله ﷻ: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 62].

ب- السعي لتغريب مجتمعات المسلمين، من خلال استخدام المخدوعين بالغرب وسلوكياته، ومحاولة تطبيع الأطفال على تقليد مظاهر العري من خلال نشر الألعاب والأفلام التي تجسّد أجسام الأبطال بتعري واضح، ولا تظهر عليهم سوى ملابس رقيقة تصف العورة[1]، مما يُخلّف جيلا ينكر الفضيلة، ويُبرّر الغي والانحلال، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: 19].

ت- إثارة الشهوات لإفساد الأعراض والأخلاق، واستهداف المرأة بشكل أساس من خلال تشجيعها على خلع حجابها والخروج متبرجة، حتى أنَّ الأسواق تكاد تكون خالية من ملابس الحشمة والستر، وهذا يُساهم في زعزعة التزام الشباب وإشغالهم بالشهوات، وفتح أسواق الموضة والموديلات أمامها، واستخدامها كسلاح لفتنة الشباب وإغراقهم في الشهوات، وبالتالي صدهم عن طريق الصلاح، ومن سلك هذا السبيل هلك وضاع، قال الله ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59]، "وعلى صعيد الحرب على الدين والأخلاق، وإثارة الشبهات والشهوات، ولبس الحق بالباطل فإنَّ ذلك لم يسلم منه بلد من بلدان المسلمين"[2]، ولن يتبدّل الذل إلى عزة، إلا بتغيير ما في النفوس من عقائد فاسدة وأخلاق مرذولة[3].

3- **الحصار الإعلامي.**

وتظهر آثار هذا النوع من الحصار في عدة أمور منها:

أ- السيطرة على وسائل الإعلام بأنواعها المرئية والمسموعة والمقروءة، ومن خلال شراء القنوات المؤثّرة والسيطرة عليها، وتحجيم غير الموالية لسياسة العدو قدر الإمكان، والعمل على

---

(1) انظر: عبد العزيز الجليل "ولو شاء ربك ما فعلوه" ص(155-157)

(2) المرجع السابق (ص15).

(3) انظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (238/9)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الزحيلي: التفسير المنير.

حجبها وإغلاقها، وهذا ديدن الكفار والمعاندين منذ القدم، قال الله ﷻ عنهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: 26].

ب- سياسة تكميم الأفواه والترهيب والتهديد بالقتل والحبس والإبعاد، واستغلال الإعلام في تشويه صورة المؤمنين وأهل الدعوة والإصلاح وشيطنتهم، وهذا حدث كثيرًا مع الأنبياء كما سنرى في الآيات، ويحدث على مدار الوقت في زماننا، من تشويهٍ لسمعة العلماء ونبذهم ومنعهم من الإعلام ومخاطبة الجماهير، قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: 127]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: 90]، وقال الله ﷻ حكاية عن فرعون وهو يتوعّد المؤمنين: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الشعراء: 49]، وقال الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [الأعراف: 88]، وقال الله ﷻ: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: 5]، وقال الله ﷻ:﴿ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ [ص: 4]، وهذا منهج أهل الباطل والضلال مع كل أنبياء الله، ويتّبعون منهج شيطنتهم وأتباعهم في أعين الناس كجزءٍ من الحرب الإعلامية حتى لا يتّبعونهم، وقال الله ﷻ:﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾ [الذاريات: 52].

ت- تمارسُ كثير من الحكومات في البلاد الغربية والعربية حظر الاّتجاهات والأفكار الأخرى عن المنابر الإعلامية كالخطابة والتلفاز والمحاضرات وغيره، فترى كثيرًا من الكفاءات والعقول المؤثّرة تُمنَعُ من مقابلة الجماهير ويُضيّق عليها لأنها لا تتناغم مع العقلية الفكرية والسياسة القائمة، قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ ﴾[الأعراف: 127]، والعمل على محاصرتها فكرياً وإعلامياً وغمرها بشتى السُبل حتى لا تؤثر في تغيير الرأي العام، والأصل إعطاء المجال لها طالما لا تُشكّل خطرًا على عقيدة المسلمين ودينهم.

ث- التغطية والتعتيم الإعلامي على ما يرتكبون من مجازر وخاصة إذا كُشفت، ومن ذلك ما ذكره القرآن عن امرأة العزيز عندما أرادت أن تعمل تعتيم إعلامي على ما دبّرته ليوسف عليه السلام، قال الله ﷻ: ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[يوسف: 25]، وهذا ما يحدث اليوم ميدانيًّا حيث يقوم العدو بخلق حالة من الضبابية حول جرائمه، فيقوم بمصادرة كاميرات الصحافيين واتّهامهم بمحاولة قلب الرأي العام، واستهدافهم ومنعهم من توثيق الحقيقة ونقلها للعالم؛ لتبقى الصورة قاتمة عند العالم فيضطر إلى تصديقهم؛ لأنهم ينقلون للعالم عكس ما يجري على الأرض، وتستمر حالة القتل البطيء من خلال الحصار المفروض على الشعوب المحبوسة.

المطلب الثالث: حُكم مواجهة الحصار ووجوب نصرة المسلمين المحاصَرين.

إنَّ السكوت على الظلم مع القدرة على نصرة المظلوم جريمة بحق الإنسانية، ونصرة للظالم على المظلوم ـ حتى لو كان المظلوم غير مسلم ـ فكيف بظلم المسلم المُوَحِّد أو السكوت والرضا على إيذائه، والمساعدة في التضييق عليه، وتسهيل إبعاده عن وطنه وأهله وعمله!، إنها قمة الظلم والفساد، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: 58].

فلا بد للمسلمين أن يقفوا صفًا واحد في وجه العدو، تتعانق أرواحهم، وتتشابك أيديهم، وتتسابق سهامهم نحو أعدائهم نصرةً لإخوانهم المظلومين على وجه الأرض، قال النبي ﷺ: « تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»[1]، فالمسلم الحق إنْ ألمَّ بأخيه ألم فأرّقه سَهِرَ معه، وحمل همَّه، وتألَّم لمصابه حتى يزول ما به، وينبغي ألَّا نترك الأعداء ينفردون بأي دولة من دول المسلمين، حتَّى لا نكون لقمة سائغة لهم.

وفي النقاط التالية يتبيّن لنا أهم الأسباب التي تجعلُ بعض المسلمين لا يأبهُ بإخوانه المحاصرين، فمن هذه الأسباب ما يأتي:

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الأدب، بَابُ: رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ (ح6011)، (10/8).

أولاً: أسباب ضعف النصرة بين المسلمين.

1- الفرقة وتغذية النزعة الحزبية والوطنية.

للأسف غابت روح الأمة الواحدة، وتصدّعت العلاقات بين المسلمين، وغلبت النزعة الوطنية والحزبية، حتى أصبح بعض المسلمين لا يُبالي بالكوارث والفتن التي تحدث في أنحاء الأمة، وكذلك تنازُع بعض الدعاة وتنامِي اختلافهم، مما انعكس سلبًا على وحدة الأمة وبالتالي تبدّدت الكثير من الطاقات وتشتت شملها، ووُجدت فجوات غائرة وشروخ عريضة في الجسد المسلم، تظهر آثارها في النوازل، إذ تغلب الخلافات الدعوية أو الوطنية على القضايا والمشكلات الكبيرة، ولذلك حذَّرنا المولى ﷻ من الشقاق والاختلاف المذموم، فقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: 105]، وقال ﷻ:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[الأنعام: 159]، وقال ﷻ: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: 32]، وهذا الخلاف غالبًا سببه التعصّب للجماعة ورأيها، أو اتّباع الهوى والشهوات، وكلٌ عاقبته وخيمة وقاصمة[1]، وذمّ المولى ﷻ تشتت اليهود فقال عنهم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾[الحشر: 14].

ومن فوائد وحدة الأمة و"ثمار الاجتماع: التعاونُ، والتناصرُ، وإظهارُ أُبَّهَةِ الإسلام وشعائِره، وإخمادُ كلمة الكفر، وإصلاحُ ذات البين، ولذلك شُرِعَتِ الجماعات والجُمُعاتُ، والأعيادُ، وشُرِعَتِ المواصلات بين ذوي الأرحام خصوصًا، وبين سائر أهل الإسلام عمومًا"[2].

2- الجهل وضعف الإيمان.

"إنَّ مقاصد الأخوة ووشائج الترابط، وعلائق التناصر بين المسلمين؛ بلغت من الضعف حدَّ التبلّد وعدم المُبالاة عند بعضهم، وقد زاد من حدتها ضعف الديانة، ونقص الوعي، والعجز السياسي، والدجل الإعلامي، حتى أصبح كثير من المسلمين لا يبالي بما يحدث لإخوانه من

---

(1) انظر: ناصر العمر: "إلا تنصروه فقد نصره الله" (ص:106)، والصويان: جراحات المسلمين (ص:98).

(2) انظر: إبراهيم بن موسى للشاطبي: الموافقات (473/3)، وانظر: محمود بن يوسف فجال: القرآن الكريم منهج متكامل (11/1).

مجاعات، أو حروب، أو فتن، بل إنَّ بعض العلماء والدعاة ربما انشغل بقضاياه الشخصية والمحلية انشغالاً أنساه كثيرًا من قضايا أمته"[1].

قال ابن القيّم: "الْمُوَاسَاة لِلْمُؤمنِ أَنْوَاع: مواساة بِالْمَالِ ومواساة بالجاه ومواساة بِالْبدنِ والخدمة، ومواساة بِالنَّصِيحَةِ والإرشاد، ومواساة بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَار لَهُم، ومواساة بالتوجع لَهُم، وعلى قدر الْإِيمَان تكون هَذِه الْمُوَاسَاة فَكلما ضعف الْإِيمَان ضعفت الْمُوَاسَاة وَكلما قوي قويت، وَكَانَ رَسُول الله أعظم النَّاس مواساة لأَصْحَابه بذلك كُله، فلأتباعه من الْمُوَاسَاة بِحَسب اتّباعهم لَهُ، ودخلوا على بشر الحافي فِي يَوْم شَدِيد الْبرد وَقد تجرد وَهُوَ ينتفض فَقَالُوا مَا هَذَا يَا أَبَا نصر فَقَالَ ذكرت الْفُقَرَاء وبردهم وَلَيْسَ لي مَا أواسيهم بِهِ فَأَحْبَبْت أَن أواسيهم فِي بردهمْ"[2].

وأما الجهلُ فإنه يُفسِدُ الدين والدنيا، ويقود إلى الممارسات الخاطئة، مما يُعطي الأعداء ذرائع للتضييق على المسلمين وحصارهم، والنبي ﷺ بيّن لنا خطر الجهل وشرّه[3]، فقال: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[4]، وجاء ذكر ضعف الإيمان بعد الجهل لأنه من نتائجه، وكلما عرف العبد ربه وفهم مراده زاد إيمانه، وبالتالي ينعكس هذا الإيمان بالنفع عليه وعلى المؤمنين.

3- **طغيان المادية وانتشار البخل.**

بعض المسلمين لا يكاد يتعامل إلا بالمادية، وإذا وجد الأمر بلا مقابل ماديّ عزف عنه، وبعضهم يُدعى إلى الإنفاق فيضنّ بماله ويبخل بسهمه في سبيل الله ﷻ، فهذا الشح والبخل من أعظم أسباب ضعف التناصر بين المسلمين، وطالما حذّرنا القرآن الكريم منه، ودعانا إلى العطاء والإنفاق، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: 254]، وقال الله ﷻ: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن

(1) الصويان: مرجع سبق ذكره (ص:6،7).

(2) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: الفوائد (171/1) بتصرّف يسير.

(3) انظر: ناصر العمر: مرجع سبق ذكره (ص:105-106)

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: العلم، بَابٌ: كَيْفَ يُقْبَضُ العِلْمُ (ح100)، (31/1)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب: العلم، بَابُ: رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ (ح2673)، (2058/4).

يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾[محمد: 38].

ولا يدري هذا البخيل أنه يُقبل منه اليوم مثقال الذرة، وغدًا لا يُقبل منه ملءُ الأرض ذهبًا، وأن من علامات الفلاح أن ينجو المرء من شح نفسه، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنفِقُواْ خَيۡرًا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن: 16]،"ولما كان البخيل محبوسًا عن الإحسان ممنوعاً عن البر والخير فكان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصدر ممنوع من الانشراح ضيّق العطن ـ قليل الصبر عند الشدائد ـ صغير النفس قليل الفرح كثير الهم والغم والحزن لا يكاد تقضى له حاجة ولا يُعان على مطلوب...وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فبقي قلبه في سجنه كما هو... وكان عبد الرحمن بن عوف، وقيل سعد بن أبي وقاص ـ يطوف بالبيت وليس له دأب إلا هذه الدعوة: رب قني شح نفسي، رب قني شح نفسي"[1].

وامتدح الله ﷻ المؤمنين السابقين إلى ميدان الخير فقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[آل عمران: 134]، وحذّر المادّيين الذين أخذت الدنيا بقلوبهم وعقولهم حتى أعمت أبصارهم فلم يبصروا حق الله ﷻ في أموالهم، قال الله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾[التوبة: 34-35].

4- حصار العمل الخيري، والعوائق السياسية.

فالحملات الغربية في أوجها، وتعمل على عرقلة وملاحقة أي عملٍ خيري تحت مسمى ملاحقة الإرهاب، إضافة إلى منع بعض الدول لبعض صُوَر التناصر؛ بوضع القيود المعيقة للعمل الإغاثي والإنساني، ممَّا يصرف الكثير من المخلصين ومحبي الخير عن العمل الخيري

(1) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية: الوابل الصيّب من الكلم الطيب (33/1) بتصرّف يسير، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: ابن قيّم الجوزية: الوابل الصيب.

بسبب الأنظمة والقوانين[1]، قال الله ﷻ حكاية عن المنافقين الذين يؤلبون على المؤمنين ويُساعدون الكفار في الحصار: ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ [المنافقون: 7].

5- الإمساك عن الخير.

قال الله ﷻ عن المنافقين: ﴿ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ [التوبة: 67]، وكل من تشبّه بهم صار مثلهم، وقبض اليد كناية عن البخل والإمساك، وهذا القبض والإمساك من أخطر أسباب ضعف التناصر بين الموحّدين؛ لأنهم يمسكون عن الإنفاق لأي مصلحة عامة في سبيل الله، ويمسكون أنفسهم عن الجهاد مع المسلمين، ويقبضون أيديهم عن البذل لإخوانهم، فهم يمسكون أيديهم عن كل خير ولا يبسطونها بنفقة في حق؛ لأنهم قوم بخلاء، ويمسكون ألسنتهم عن النصيحة لإخوانهم، ولو رأوا خطأ أو مدخلا للعدو يكتمونه ويمسكون عن تنبيه المسلمين[2].

6- تأليب الطابور الخامس من المنافقين.

"إذ إنَّ بعض أبناء المسلمين من المنافقين والملحدين يتطاولون على دينهم، ويدلّون أعداء الأمة على مواطن الشُّبَه، وهذا يُغري الأعداء بالتطاول على المسلمين والنيل منهم والتضييق عليهم"[3]، قال الله ﷻ مُحذّرا من موالاة الكافرين: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[المائدة: 51]، وقد أفرد الباحث خطر المنافقين في أكثر من موضع كلٌ حسب أهميته وعلاقته بالموضوع وفيها ما يُغني عن التكرار.

ثانيًا: وجوب النصرة أمر إلهي وسنة نبوية.

نصرة المستضعفين ليس عملًا عابرًا يتبنّاه فرد أو جماعة في مرحلةٍ ما ثم يندثر، بل هو واجبٌ وتكليفٌ لكل مسلم حسب طاقته، قال الله ﷻ: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[التوبة: 41]، "يقول تعالى لعباده المؤمنين مهيجا لهم على النفير في سبيله، فقال: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا

---

(1) انظر: الصويان: جراحات المسلمين (ص:102). وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا:

(2) انظر: الطبري: جامع البيان (338/14).

وانظر: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي: النكت والعيون (379/2)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الماوردي: النكت والعيون. وانظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير الوسيط (884/1).

(3) ناصر العمر: "إلا تنصروه فقد نصره الله"، بتصرّف (ص:50).

وَثِقَالًا﴾ أي: في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والحر والبرد، وفي جميع الأحوال، وقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أي: ابذلوا جهدكم في ذلك، واستفرغوا وسعكم في المال والنفس، وفي هذا دليل على أنه -كما يجب الجهاد في النفس- يجب الجهاد في المال، حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك"[1]، فالنبي ﷺ لم يترك عذرًا لأحد، فقال: « وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[2]، فلا بد من استنفار الناس لفعل الخير، وتوظيف المجتمعات كلها في نصرة إخوانهم المسلمين وخاصة في النوازل، ليستشعر كل مسلم واجبه الشرعي تجاه دينه وإخوانه، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[الأنفال: 72]، وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرٗا﴾[النساء: 75]، في هذه الآية "يُحَرِّضُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَعَلَى السَّعْيِ فِي اسْتِنْقَاذِ الْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ الْمُتَبَرِّمِينَ بِالْمَقَامِ بِهَا"[3]، فوجب على الجميع أن يعمل قدر استطاعته، داخليًا وخارجيًا، الرجال والنساء، الشباب والشيوخ، فلا ينبغي التباطؤ والتثاقل أو التواكل على جهة أو فرقة من المسلمين، بل الكل يشارك بإيجابية وهمَّة، وما زال تاريخنا حافلًا بالصور المشرقة من جهاد المسلمين سلفًا وخلفًا، حتى الذين عذرهم الله ﷻ بقوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾[الفتح: 17]، فها هو عمرو بن الجموح ﷺ يُقاتل يوم أحدٍ وهو أعرج، وها هو ابن أم مكتوم ﷺ يُقاتل ويحمل الراية يوم القادسية وهو أعمى[4]، رغم أنَّ الله تعالى قد عذر أمثالهما، وفيه نزل قوله ﷻ: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى

---

(1) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (338/1).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الأدب، بَابُ: طِيبِ الكَلاَمِ (ح6023)، (11/8).

(3) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (358/2).

(4) انظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء (408/1)، (223/3)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الذهبي: سير أعلام النبلاء.

ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95][1]، وأما عن الضعفة من النساء ومشاركتهن في النصرة والجهاد، والأخبار أكثر من أن تُحصى، فعَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَسْقِي وَنُدَاوِي الجَرْحَى، وَنَرُدُّ القَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ»[2]، وليس هذا في جيل الصحابة فحسب، بل إنَّ التاريخ حفظ لنا الكثير من سجلَّات الأبطال ممن نفروا للنصرة، فمن هؤلاء الشيخ يوسف الفِنْدلاوي المالكي[3]، فقد خرج للذبِّ عن دمشق لمَّا زحف إليها الإفرنجة ومعهم ملك الألمان في سنة (543هـ)، وكان عمره إذّاك تسعين سنة، فلمّا رآه أمير دمشق قال له: يا شيخ أنت معذور بكبر سنّك، ونحن نقوم بالذبِّ عن المسلمين، وسأله أن يعود فلم يفعل، وقال: قد بعتُ واشتُري منّي، فوالله لا أقلته ولا استقلته، يعني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[التوبة: 111]، وتقدَّم فقاتل الفرنجة حتى قُتِل[4]، فهذا العالم الكبير لم يُقعده كبر سنه عن النصرة، ولم يختلق الأعذار، بل أدّى ما استطاع[5]، وسيّر المعتصم جيشا لتأديب الروم، ولنصرة امرأة مسلمة استغاثت به، وسار صلاح الدين من تكريت نصرة للقدس، وغيره الكثير.

وحتى تكون النصرة في أكمل صورها، لا بدّ من معرفة أمور مهمّة، منها:

1- النصرة العاجلة تحتاج إلى سرعة في التنفيذ، مع عدم التأثير على النصرة الدائمة المستمرة.

2- نصرة إخواننا المسلمين ليس تعاطفاً أو حماساً مؤقتاً ثم يبرد، بل هو ديانة وواجبًا وقربة إلى الله ﷻ.

3- معرفة خصوصيات البلدان التي سينصرها المسلمون، وظروفهم السياسية، وأمورهم الثقافية والاجتماعية وغيرها.

---

(1) انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ... الآية﴾ (ح2831)، (24/4).

(2) المرجع السابق، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: مُدَاوَاةِ النِّسَاءِ الجَرْحَى فِي الغَزْوِ (ح2882)، (34/4).

(3) الفِندلاوي: الإِمَامُ أَبُو الحَجَّاجِ، يُوْسُفُ بنُ دُوْنَاسَ المَغْرِبِيُّ الفَنْدَلاَوِيُّ المَالِكِيُّ، نسبة إلى فندلاو في المغرب، خَطِيبُ بَانِيَاسَ، ثُمَّ مُدَرِّسُ المَالِكِيَّةِ بِدِمَشْقَ، من شيوخ الحافظ ابن عساكر، صاحب كتاب: (تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك على منهج العدل والإنصاف)، وهو مطبوع بتحقيق أحمد البوشيخي، استشهد في حرب الفرنج بدمشق سنة(543هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي(48/15).

(4) انظر: الكامل في التاريخ (159/9)، ومعجم البلدان (277/4)، ووفيات الأعيان (452/2).

(5) انظر: الصويان: جراحات المسلمين (ص: 41-49).

4- معرفة الأولويات، ونوعية الإغاثات التي يحتاجها المحاصرون والتركيز على الأساسيات المهمة[1].

وسيأتي ذكر سبل النصرة بإسهاب في المبحث الثالث من الفصل الثالث بإذن الله تعالى.

(1) انظر: الصويان: جراحات المسلمين (ص:14)، (50-58).

المبحث الثالث

أخطار الحصار وأنواعه

هذا المبحث يلفتُ عناية المسلمين إلى أخطار الحصار وأضراره، ثم يقف على أسباب حصار الأعداء للمسلمين، ويسهب في تجلية وسائل العدو في الحصار وإظهار آثارها، ويوضّح فكر العدو القائم على الحصار، ويظهر ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: أخطار الحصار وأضراره.

في هذا المطلب يُسلّط الباحث الضوء على السلبيات التي يُخلّفها الحصار داخليًا وخارجيًا، وتأثيرها على الأمة والدعوة بشكل عام، وعلى المحاصرين بشكلٍ خاص، ثم يُعرّج الباحث على استفادة المحاصر من محنته وكيف يستخرج منها الإيجابيات، ويظهر ذلك فيما يأتي:

أولًا: سلبيات الحصار.

1- تفكيك المجتمع المدني والانتماء الوطني.

يسعى أعداء المسلمين إلى تفكيك المجتمع بشتى السبُل حتى لا تبقى أي فرصة لاجتماع الشعوب ووحدتها، ولو تأمّلنا جيدًا لوجدنا أنَّ هذا منهجًا يُطبّقه الأعداء على كل دول المسلمين بلا استثناء، فتجربة الجزائر، وأفغانستان، ومصر، والسودان، وسوريا، وتونس، واليمن، والعراق، كلها أدلة قاطعة على سعي الأعداء لتفكيك الأمة وشعوبها، ثمَّ إنَّ إطباق الحصار على غزة لم يبدأ بعد فوز الإسلاميين في الانتخابات التشريعية عام2006، فهذه المرحلة لم تكن سوى المبرر الجديد والمثالي للاستمرار في سياسة تفكيك المجتمع المدني في فلسطين ـ كهدفٍ رئيس وطويل الأمد للعدو الصهيوني بحق فلسطين التاريخية ـ فإن ما تشهده بلاد الشام اليوم وما حولها هو ذروة الحرب ضد الإسلام، فهي حرب تستهدف في النهاية موت الأمة ذاتها، وكل أعمالهم تقوم على الفساد في الأرض، قال الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾ [الشعراء: 152].

2- دفعُ المحاصَرِ إلى الاستسلام.

من طرق استغلال العدو للحصار، محاولته إرغام المُحَاصَر للاعتراف به، والخضوع لشروطه، والتنازل عن الحقوق الأساسية مقابل الغذاء وبعض التسهيلات التي لا ترتقي لمستوى المعيشة للمحاصرين، وهذه محطة اختبار للقيادة، هل تثبت على مبادئها وتتحمل الحصار

والألم، أم تستسلم وتعترف بالعدو!، ولذلك قال الله ﷻ عن الصادقين: ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلَا﴾ [الأحزاب: 23].

3- **تحجيم المد الإسلامي.**

يعمد أعداء العقيدة إلى مقاومة تأثير المسلمين على غيرهم من العقائد الأخرى، وذلك من خلال تسخير الأعداء للموازنات الخاصة للصد عن الدعوة، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36].

4- **الحصار الخارجي ـ غير المباشر ـ على المسلمين في بلاد الكفار.**

ويكون هذا من خلال تقييد حركاتهم، ونبذهم، وعدم إعطائهم الحرية الكاملة في ممارسة نشاطهم الدعوي وغيره، كما فعل وفد قريش عندما ذهب إلى النجاشي ليُحرّض على المسلمين هناك، وكذلك تجييش الكنائس والفضائيات لنشر الشبهات حول الإسلام والمسلمين؛ بهدف حجب الناس عنهم.

5- **زيادة الاحتكار والاستغلال في الأسواق.**

وخاصة في السلع الأساسية التي لا غنى عنها، ولا يستطيع الفقراء شراءها حال ارتفاع أسعارها في حالات الطوارئ والأزمات، قال ﷻ: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ [الحج: 25]، قال الماوردي[1]:"وفي الإلحاد بالظلم أربعة تأويلات... والرابع: أنه احتكار الطعام بمكة"[2].

6- **التأثير السلبي على صحة الأطفال وتفكيرهم.**

وهذا التأثير يشمل كل المحاصرين أطفالاً وبالغين، لكنَّ تأثر الأطفال أكثر؛ لأن أعمال العنف والتدمير تؤثر بعمق وبشكل جذري على سلوك الطفل، وإن حقوق الأطفال إذا هُمّشت ولم تُحترم فإن ذلك يوثر سلبًا على صحة الأطفال النفسية لدرجة بالغة كما هو الحال في فلسطين وسوريا والعراق خصوصًا، وأيضًا العيش في ظل عنفٍ متواصل يُسبب المزيد من الإرباك للأطفال حيث إنهم يعيشون تحت سقف توتر لا يفهمون دواعيه.

---

(1) الماوردي: أبو الحسن، علي بن محمد حبيب، الماوردي: أقضى قضاة عصره، من أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة، ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، ووفاته ببغداد سنة (450هـ)، من كتبه: أدب الدنيا والدين، والأحكام السلطانية، والنكت والعيون، وغير ذلك. انظر: الأعلام، للزركلي(327/4).

(2) الماوردي: النكت والعيون (16/4).

لقد تبين أنَّ الأطفال الذين ينمون في بيئة تتميّز بقدر كبير من عدم الأمان مثل البلاد المذكورة وغيرها فإنهم يصبحون أكثر عدوانية أو إفراطا بالعدوان.

وهناك الكثير من السلبيات التي تُشكّل خطرًا على بناء الأمة ووحدة الصف وثبات المحاصرين، منها: ضعف التقدم العلمي وتوقف عجلة التنمية الطبيعية بسبب الظروف الصعبة، وانشغال الناس بأحداث الحصار، وكذلك نقص الأدوية والمواد الأساسية، وضعف الاتصال بالخارج مما يقضي على تبادل الخبرات، وكذلك زيادة قوة المنافقين وخطر الإشاعات المغرضة، ووجود البيئة الخصبة للخونة والمتعاونين مع العدو مما يوفّر بيئة للفساد بكل أشكاله، وليس أخيرًا البعد النفسي السيء الذي يُخيِّم على المحاصرين[1]، مما يفتح المجال لبعض ضعاف الإيمان من التفكير أو الإقدام على الانتحار أو قتل أولادهم بسبب الضيق والفقر، وقد حذرنا القرآن الكريم في العديد من المواضع من عاقبة وخطر ذلك، فقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[الإسراء: 31]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29].

ثانيًا: إيجابيات الحصار.

رغم أخطار الحصار التي تبرز بأنيابها لتُلاحق المحاصَرين في كل مكانٍ وزمان، ورغم ما فيه من دخنٍ وشر؛ لكن ليس هناك شر محض، والمسلم يستفيد من المصيبة ومن الحصار إذا فُرض عليه، ويقلب المحنة إلى منحة والسجن إلى خلوة وعبادة، ورغم كل السلبيات التي قد لا يرى البعضُ فيها خيرًا، إلا أن هناك إيجابيات ودروس يستخرجها الإنسان المسلم، فينتصرُ على الحصار والألم، مثل:

1- استشعار نِعَمْ الله على الإنسان حينما يغفل عن شكر الله عليها، فالشدة تكشف حجم هذه النعم، وضرورة الصبر في حال فقدها، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 177].

2- التعود على حياة التقشف والزهد وخشونة العيش، فإنَّ النعم لا تدوم، فيقهر الشهوات، ويقلِّل من متاع الدنيا ورغباتها، ويجعل الحياة الآخرة هي الصورة الماثلة التي تستحق التضحية

(1) انظر: رمضان الزيّان: الأساليب النبوية والعصرية في فك الحصار عن الدعوة الإسلامية (ص: 496-497).

على الدوام، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [القصص: 60].

3- الشدّة تجعل القلب يتعلّق بالخالق ﷻ، وتحبّب للنفس الجهاد في سبيل الله، وخاصة عندما يرى العدو يغير فيقتل ويخرّب، فيتحمّس لنصرة دينه وإخوانه، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ [الأنفال: 74].

4- بروز ظاهرة التكافل الاجتماعي وذلك من خلال تفقد احتياجات المعوَزين، وذلك على اختلاف صورها المادية والمعنوية[1]، قال الله ﷻ عن التكافل في إخراج الزكاة: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة: 60].

5- الدعاة لم يتوقّفوا عن دعوتهم قبل الحصار، إلا أنهم يُضاعفون هذا الجهد أثناء الحصار؛ لأنهم يستشعرون حاجة الناس لمزيدٍ من الجرعات الإيمانية، والحِزَم التوجيهية في الصبر، وكيفية التعامل مع الضيق والبلاء، وأنَّ كلّ ذلك مقدرٌ أزلاً، قال الله ﷻ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [الحديد: 22].

6- التكيّف مع الأجواء الصعبة والصبر عليها مع إحسان التوكّل على الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: 42]، وبسبب هذا الضيق يجتهد المحاصر ليتكيّف مع الأوضاع الجديدة، فيُعمل عقله فيتولَّد المزيد من الأفكار الإبداعية قليلة التكلفة، وكما يقولون "الحاجة أم الاختراع".

7- "كانت حادثة المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية التي فرضتها قريش على النبي ﷺ ومن ناصره سببًا في خدمة الدعوة والدعاية لها بين قبائل العرب، فقد ذاع الخبر في كل القبائل العربية من خلال موسم الحج، ولفت أنظار جميع سكان الجزيرة العربية إلى هذه الدعوة التي يتحمل صاحبها وأصحابه الجوع والعطش والعزلة لكل هذا الوقت، أثار ذلك في نفوسهم أن هذه

(1) انظر: أ. كائنات محمود عدوان: إيجابيات الحصار (ص:48-59)

الدعوة حق، ولولا ذلك لما تحمل صاحب الرسالة وأصحابه كل هذا الأذى والعذاب"[1]، قال الله ﷻ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: 216]، وقال ﷻ: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: 19]،

8- زيادة الحصار وشدته أثار سخط المعتدلين في الغرب، وغضبوا من قسوة المحتلّين، وتعاطفوا مع قضايا المحاصَرين، وأدى ذلك إلى زيادة إقبال الوفود على قطاع غزة من المسلمين وغيرهم للتعرُّف عليها عن قرب، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوَدَّةَ [الممتحنة: 7]، فذاع أمرها وتردّد صداها في كل الآفاق، وهكذا ارتد سلاح الحصار الاقتصادي والسياسي على أصحابه، وانقلب السحر على السحرة، على عكس ما أراد أعداء الإنسانية[2].

المطلب الثاني: أسباب حصار الأعداء للمسلمين.

يحاول أعداء الأمة على مرّ الزمان أن يستغلّوا كل سبب، وأن يبحثوا عن كلّ مبرّر في سبيل الهيمنة على العالم الإسلامي، والتضييق على المحاصرين، وفي هذا المطلب تظهر أخطر أسباب حصار الأعداء للمسلمين، وذلك في الأمور التالية:

1- عداوة الكفار المتأصّلة ضد المسلمين.

قال الله ﷻ: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ [المائدة: 82]، "وهذه الحملة الكاشفة على أعداء الجماعة المسلمة والتركيز فيها على اليهود والمشركين بصفة خاصة مع إشارات إلى المنافقين والنصارى أحيانًا، تؤدي بنا إلى شأن آخر .. إنها تعالج موقف الأمة المسلمة، في تاريخها كله تجاه المعسكرات المعادية لها"[3]، وقال الله ﷻ:﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ [البقرة: 109]، وهذا يدلُّ على حسدهم للمسلمين على قيادة الأمة، والحسدُ من أفتك أمراض القلب التي تولّد الخصومة والعداء،

---

(1) علي محمد محمد الصلاّبي: السِّيرةُ النّبوية عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث، (186/1) بتصرّف يسير، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الصلابي: السيرة النبوية.

(2) انظر: عبد الوهاب كحيل: الحرب النفسية ضد الإسلام (ص:101).

(3) سيد قطب: في ظلال القرآن(831/2).

وقـــال الله ﷻ:﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [البقـــرة: 217]، والمتأمّل في قول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه "باثولوجيا الإسلام" وهو يتحدّث عن حقد الصليبيين:"أَعْتَقِدُ أَنَّ مِنَ الوَاجِبِ إِبَادَةَ خُمُسَ المُسْلِمِينَ، وَالحُكْمَ عَلَى البَاقِينَ بِالأَشْغَالِ الشَّاقَةِ، وَتَدْمِيرِ الكَعْبَةِ، وَوَضْعِ قَبْرِ مُحَمَّدٍ وَجُثَّتَهُ فِي مُتْحَفِ اللُّوفِرْ"[1]، يعرف حجم الكراهية والعداوة التي يضمرونها لأهل الإسلام، وصدق الله ﷻ إذ يقول: ﴿ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾ [آل عمران: 118]

2- **خوف الأعداء من تأثير الإسلام على الشعوب.**

إنَّ هذا الخوف هذا أدّى إلى"سَعْيِهِمْ المُسْتَمِرّ لِإِبْعَادِ القَادَةِ المُسْلِمِينَ الأَقْوِيَاءَ عَنْ اِسْتِلاَمِ الحُكْمِ فِي دُوَلِ العَالَمِ الإِسْلاَمِيِّ حَتَّى لاَ يُنْهِضُوهُ بِالإِسْلاَمِ"[2]، فلجأوا إلى شيطنتهم في عيون الناس والتحذير منهم، قال الله ﷻ حكاية عن الملأ من قوم فرعون:﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴾ [طه: 63]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعـــراف: 127]، وهـــذه العقليات كانت وما زالت تهدف إلى "نبذ الدين جملة ومحاربته حرباً لا هوادة فيها، وكلنا يعرف مقولة ماركس الشهيرة: «الدين أفيون الشعوب»"[3].

ومرَّ في السيرة النبوية كيف أن الكفار كانوا يُشدّدون على المسلمين، لما رأوا من ثباتهم على دينهم، وظهرت بوادر انتشار الإسلام في مكة وخارجها، فأسلم جمعٌ من قريش منهم عمر وحمزة وغيرهما ﷺ، وأمِن المسلمون في بلاد النجاشي[4].

3- **رعب الكفار من زيادة عدد المسلمين.**

يشعر الأعداء أنَّ هذه الزيادة في عدد المسلمين تُشكّل خطرًا على مصالحهم، وتخيفهم من غزو المسلمين في المستقبل، فيعمدوا إلى تدمير بلاد المسلمين من خلال غزوهم وحصارهم

---

(1) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (ص:51).

(2) جلال العالم: قادة الغرب يقولون«دَمِّرُوا الإِسْلاَمَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ» (ص:60)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: جلال العالم: دمروا الإسلام أبيدوا أهله.

(3) المنتدى الإسلامي: مجلة البيان(48/161).

(4) انظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: تاريخ ابن خلدون (414/2)، وابن قيم الجوزية: زاد المعاد (27/3).

لإشغالهم وتقسيمهم ليسلموا من تغيّر الزمان، "يقول غاردنر: إِنَّ الحُرُوبَ الصَّلِيبِيَّةَ لَمْ تَكُنْ لإِنْقَاذِ القُدْسِ، إِنَّهَا كَانَتْ لِتَدْمِيرِ الإِسْلاَمِ"[1]، ويقول الصهيوني بن جوريون: "نحن لا نخشى الثوريات ولا الديمقراطيات ولا الاشتراكيات في هذه المنطقة!، نحن نخشى الإسلام فقط، هذا العملاق الذي طال نومه، ثم بدأ يتململ من جديد"[2].

4- الطمع في خيرات البلاد العربية والإسلامية.

تتوجّه أطماع الأعداء إلى ثروات الأمة لإبقاء الهيمنة العسكرية والاقتصادية العالمية لغير المسلمين، وإيجاد المبررات الدائمة لامتصاص دماء الشعوب وسرقة مدّخرات المسلمين وحضارتهم، وقهرهم عسكريًا واقتصاديًّا، ويكون ذلك من خلال غزو البلاد العربية وبناء قواعد عسكرية فيها، والسيطرة على قوة العالم وعصب الحياة المتمثّل في المال والاقتصاد، ممّا يمكنهم من التحكم في إدارة العالم سياسياً وفقا لمصالحهم الخبيثة.

5- موالاة بعض المنافقين من المسلمين لعدوهم.

إنَّ سبب هذه الموالاة حبّ هؤلاء المنافقين للتملّق بتشجيعهم ومساعدتهم على أذى المسلمين، وربما بدافع الغيرة والانتقام والحسد، وقد نسوا أنهم موقوفون محاسبون على ولائهم لغير المؤمنين واتّخاذهم الباطل سبيلاً للوصول إلى شهواتهم الدنيئة، قال الله ﷻ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: 24]، "كما كانوا يفعلون في الدنيا، عندما ينصر يهودي نصرانيًا، ونصراني يهوديًا، عندما يخدع منافق من أقرانه أو يهودي أو لكليهما يمكر بعضهم لبعض ويترك إخوانه المسلمين، ويبتعد عنهم، ولا يناصرون إلا أمثالهم من المنافقين، من اليهود والنصارى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات:25]"[3].

6- محاولة القَضَاءُ عَلَى القُرْآنِ وَمَحْوِهِ.

يعلم الأعداء أنهم إن استطاعوا القضاء على القرآن ومحوه، فإنهم يقضون على قوة المسلمين ووحدتهم، ويستطيعون تَدْمِيرُ أَخْلاَقِهم وَعُقُولِهِمْ، وَصِلَتِهِمْ بِاللهِ، وَإِطْلاَقِ شَهَوَاتِهِمْ؛ لأَنَّ القرآن هو مصدر اجتماعهم وقوتهم، وبقاؤه حيّاً يؤدّى إلى موتهم، يقول المُبَشِّرُ تاكلي: "يَجِبُ أَنْ

---

(1) الدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية (115/1)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: الخالدي وفروخ: التبشير والاستعمار.

(2) إبراهيم يحيى الشهابي: نقاط على الحروف في الصراع العربي الصهيوني (ص68).

(3) الكتاني: تفسير القرآن الكريم (2/257).

نَسْتَخْدِمَ القُرْآنَ، وَهُوَ أَمْضَى سِلاَحٍ فِي الإِسْلاَمِ، ضِدَّ الإِسْلاَمِ نَفْسَهُ، حَتَّى نَقْضِيَ عَلَيْهِ تَمَامًا، يَجِبُ أَنْ نُبَيِّنَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنَّ الصَّحِيحَ فِي القُرْآن لَيْسَ جَدِيدًا، وَأَنَّ الجَدِيدَ فِيهِ لَيْسَ صَحِيحًا"[1].

المطلب الثالث: وسائل العدو في الحصار.

يعْمَد الأعداء والطغاة دومًا في حصارهم للشعوب المستضعفة إلى استخدام كل ما يملكون من وسائل وأبعاد، منها ما هو ظاهرٌ ماديّ مباشر وغير مباشر، ومنها ما هو خفيٌّ معنويّ، يُدارُ من خلف الأسوار وفي الظلام غالبًا، وكلُّ بُعدٍ أخطر من الآخر، فكيف إذا اجتمعت هذه الأبعاد وتلك الوسائل الشريرة؛ لتنسج طاغوتاً ورعباً يُلاحق المحاصرين في كل أجزاء حياتهم!.

وهنا يُركزُ البحث على أهم هذه الأبعاد التي ركّز عليها القرآن الكريم، أو التي توصّل إليها البحث:

أولاً: البعد العقائدي والديني.

وتتمثّل آثار البعد الديني في عدة أمور أهمها ما يلي:

1- هدم المساجد وتخريبها.

قال الله ﷻ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: 32 – 33]، ولمّا عجز أعداء الأمة عن صرف المسلمين عن المساجد، أخذوا يُشوّهون صورتها ويرمون روادها بالإرهاب والتطرّف، وسُجِن بعض رُوادها في بعض البلدان، ومن قرأ التاريخ يقف على حجم كيد الأعداء للمساجد، وحقدهم على روادها؛ لأنهم يعلمون أنها مدرسة الإيمان وتجمُّع المؤمنين وانطلاقهم، فهم يخافون وحدة الأمة وقوتها، وما المساجد إلَّا رمزًا من رموز القوة فيها، فكانوا إذا هاجموا بلدًا من بلدان المسلمين هدموا المساجد وأحرقوها، وقتلوا من فيها من المسلمين، فالروم قاموا بغزو الشام في أواسط القرن الرابع، وحاصروا المسلمين وخرّبوا مساجد طرسوس وأحرقوا مصاحفها، وجعلوا المسجد الجامع اصطبلا لدوابهم، ثم أحرقوا البلد، وبعد عقود دخل الصليبيون أنطاكية فقاموا

(1) الخالدي وفروخ: التبشير والاستعمار: (ص:40).
وانظر: جلال العالم: دَمِّرُوا الإِسْلاَمَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ، (ص:49-51).

بذبح المؤذنين، واستباحة المساجد فقتلوا الناس فيها، ثم ساروا إلى بيت المقدس فقتلوا عددًا كبيرًا، وجعلوا مقدمة المسجد الأقصى اصطبلًا لخيولهم، وحظائر لخنازيرهم، ومَنعوا المسلمين من الصلاة فيه زُهَاءَ تسعين سنة، واستباح القرامطة العراق ثم زحفوا إلى مكة وذبحوا الحجيج عند الكعبة، وقلعوا ميزابها، وسرقوا الحجر الأسود ما يزيد عن العشرين سنة، وحيل بين الناس وبين الحرم بسببهم، وعُطلت المساجد في مكة.

ودخل التتار بغداد فقتلوا أئمة المساجد والخطباء، ثمَّ ساروا إلى حلب فأحرقوا مساجدها أيضاً، وعاث اليهود في القدس كل أشكال الفساد فأحرقوا المسجد الأقصى أكثر من مرة، وهدموا كثيرا من مساجد فلسطين، وفي غزة وحدها دمّر العدو مائة وعشرَ مساجد تدميراً كلياً، وأربعمائة واثنين وأربعين مسجداً بشكل ما بين الجزئي والبليغ، حسب الإحصائية الرسمية لوزارة الأوقاف حتى تاريخ كتابة هذه الأسطر، هذا فقط خلال الحروب الثلاثة الأخيرة على قطاع غزة منذ عام 2008م، وقبل فترة من عمر الزمن احتل الصرب البوسنة والهرسك فهدموا فيها عدداً من المساجد، وهدم الروس في غزوهم المتكرر للشيشان وأفغانستان ما لا يحصى من المساجد، ولم تسلم مساجد العراق من الغزو الصليبي الأمريكي والحقد النصيري والشيعي والأفكار المنحرفة.

وهدم البوذيون مساجد كثيرة في تركستان الشرقية وفي مانيمار، وأقدم الهندوس في الهند على هدم مساجد قديمة للمسلمين، ورأينا الروس والنصيريين يدكّون مساجد الشام بالطائرات والدبابات، ويحرقون المصاحف، ويستحلون دماء المصلين، والتاريخ مشحونٌ بأخبار المساجد المستهدفَة من قِبل الكفار والمنافقين والباطنيين[1].

هجر المساجد بسبب الخوف.

كما يحدث في غزة بشكل مستمر، وفي غيرها من المدن المحاصرة في العراق وسوريا وخاصة في أثناء الحروب، حيث هُجّرت الكثير من المساجد لا سيما في المناطق الحدودية بسبب الخوف من استهدافها، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ [البقرة: 114].

يقول سيد قطب: " والمساجد أماكن العبادة للمسلمين، وهي كلها معرضة للهدم- على قداستها وتخصيصها لعبادة الله- لا يشفع لها في نظر الباطل أن اسم الله يذكر فيها، ولا يحميها

---

(1) انظر: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي السقاف: الموسوعة التاريخية (488/2)، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر (385/9)، (242/7).

وانظر: علي محمد الصلاّبي: دولة السلاجقة، (410/1). وانظر: وراغب السرجاني: التتار من البداية إلى عين جالوت (ص:150-162)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: السرجاني: التتار.

إلا دفع الله الناس بعضهم ببعض، أي دفع حماة العقيدة لأعدائها الذين ينتهكون حرمتها، ويعتدون على أهلها"[1].

2- منع المسلمين من أداء الشعائر.

الكثير من المسلمين محرومون من أداء شعائر الحج والعمرة إلا بشقّ الأنفس، وكذلك الحال مع المسجد الأقصى المبارك بل هو أصعب؛ لأنَّ بعض المسلمين مثل أهل غزة يُمنعون من زيارته والصلاة فيه، وللأسف يشارك في هذا المنع جهاتٌ عربية تُناصرُ العدو على المسلمين، بدلاً من فتح المعابر والحدود ومد يد العون لهم، قال الله ﷻ: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾ [البقرة:196]،"يُقَالُ: حَصَرَهُ عَنِ السَّفَرِ وَأَحْصَرَهُ عَنْهُ إِذَا حَبَسَهُ وَمَنَعَهُ، وَقَالَ بَعْضُ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ: إِنَّ الْإِحْصَارَ هُوَ الْمَنْعُ بِسَبَبِ النَّاسِ وَالْحَصْرَ بِسَبَبِ الْمَرَضِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بِالْعَكْسِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى الْآتِي بَعْدُ:﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ ﴾ يُرَجِّحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِحْصَارِ مَنْعُ الْعَدُوِّ ؛ أَيْ: إِنْ مُنِعْتُمْ مِنْ إِتْمَامِ النُّسُكِ"[2]، وقد حدث هذا الإحصار بمنع المسلمين الأوائل بقيادة النبي ﷺ من العمرة عام الحديبية، ـ قال صاحب روح البيان[3]: "الخطاب وإن كان للنبى ﷺ وأصحابه وكانوا ممنوعين بالعدو لكن الاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب"[4] ـ ، وحدث بعدها صلح الحديبية الذي نصّ على رجوع المسلمين هذا العام على أن يعودوا للطواف في العام القادم، وأُنزل فيه: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ﴾ [الفتح: 25]، ومعكوفًا: أي محبوسًا ممنوعًا موقوفًا عن أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ المعهود [5]. وهذه الآيات تبيّن

---

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن (2425/4).

(2) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (177/2).

(3) أبو الفداء: إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي، المولى، متصوف مفسر، تركي مستعرب، سكن القسطنطينية، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية)، له كتب عربية وتركية، فمن العربية: (روح البيان في تفسير القرآن) ويعرف بتفسير حقي، و(الرسالة الخليلية) تصوف، و (الأربعون حديثا)، توفي سنة (1127هـ). انظر: الزركلي: الأعلام (313/1).

(4) أبو الفداء: إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي: روح البيان (311/1)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: إسماعيل حقي: روح البيان.

(5) انظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (136/5)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.
وانظر: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (150/6).

للمسلمين كيف يتصرّفون في حال مُنِعوا من ممارسة عبادتهم وشعائر دينهم في هذه الظروف، وهذا أفردته كتب الفقه في أحكام الحج.

3- فرض الإقامة الجبرية.

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ [الأنفال:30]، والمفسّرون متّفقون على أنَّ معنى الإثبات: أي يمنعوك من الخروج ومغادرة البلد، أو ليحبسوك ويقيّدوك ويوثّقوك، أو ليشدّوك وَثاقا، أو ليسجنوك، وقد أراد ذلك كفار مكة بالنبي ﷺ قبل أن يخرج من مكة[1].

قال محمد رشيد رضا[2]: "وهذا مَا فَعَلَهُ مُشْرِكُو مَكَّةَ بِرَسُولِ اللهِ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مِنَ التَّهْدِيدِ بِالْقَتْلِ أَوِ الْحَبْسِ أَوِ الْإِخْرَاجِ مِنْ وَطَنِهِ، وَقَدْ فَعَلُوا مَا اسْتَطَاعُوا، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ بِدُعَاةِ الْإِصْلَاحِ وَكُلِّ مَنْ يُرْشِدُ الشُّعُوبَ إِلَى مُقَاوَمَةِ الظُّلْمِ وَالِاسْتِبْدَادِ، وَالرِّيَاسَةِ الطَّاغِيَةِ الْمُتَكَبِّرَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ"[3]، فاليهود شدّدوا الحصار على أهل فلسطين بنية إخراجهم من ديارهم ليستولوا على البلاد وتحلو لهم بلا منازع، وكذلك تلفيق التهم وإطلاق الشبهات وشيطنة المصلحين لحبسهم، وهذا ما نشاهده يتجدّد اليوم من خلال اعتقال القادة والمصلحين والعلماء واّتهامهم ومن ثمَّ حبسهم، أو فرض الإقامة الجبرية على بعضهم؛ لتبقى الشعوب بلا قيادة، لأنهم يحكمون على القادة والمجاهدين أحكاما مجنونة وحاقدة، أحيانًا تفوق عمر الإنسان عشرات المرات.

4- النفي من الأوطان أو الإخراج.

قال الله ﷻ: ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ [الأنفال: 30]، وقال ﷻ: ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 82]، يتآمرون على أهل الحق والصلاح ليخرجوهم وينفوهم من الأوطان لأنهم شرفاء، ولأنهم يتطهّرون، لم يسلم من ذلك الأنبياء والمرسلون، ولن يسلم أتباعهم من هذا الأذى، ولقد عاش أجدادنا هذه المؤامرة إذ أخرجوا عنوة

---

(1) انظر: الطبري: جامع البيان (491/13).

(2) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، ولد بالقلمون بلبنان، بغدادي الأصل، حسيني النسب، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، من أشهر آثاره مجلة (المنار)، و(تفسير القرآن الكريم) ولم يكمله، توفي بمصر فجأة سنة(1354هـ). انظر: الزركلي: الأعلام (126/6).

(3) محمد رشيد رضا: تفسير المنار(186/12) بتصرّف يسير.

من أراضيهم وديارهم فنزحوا إلى غزة والشتات، ويقوم الأعداء بالتمكين للخونة والمفسدين وتوفير كل مقومات الحياة والمتع لهم؛ ليساهموا في حظر أهل الحق أو إخراجهم.

5- **إضعاف المسلمين بالتحريش بينهم.**

وذلك من خلال "نشر الفرقة بين المسلمين وإذكائها، لا سيما في أوساط الدعاة العاملين للإسلام، حتى لا يكونوا يدًا واحدة في مواجهة الفساد والمفسدين، واستخدام بعض المنتسبين إلى العلم في تغطية هذا الخلاف بغطاءٍ شرعي، يزعمون فيه الغيرة على الدين والوقوف في وجه أهل الغلو والبدع"[1]، لا سيما الخلاف المذهبي والطائفي، الذي استغلّه العدو اليوم لإذكاء روح الخلاف، وضرب الأمة داخليًا وخارجيًّا بإشغالها بالنزاعات.

ثانياً: البعد العسكري.

ويتمثل في الأمور التالية:

1- اجتياح بعض أمم الكفر لبعض أراضي المسلمين وديارهم، وحصار بعضها، كما حدث في حصار الأحزاب للمدينة، قال الله ﷻ: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ [الأحزاب: 10]، والاعتداء على سيادة تلك البلاد؛ حتى ساموا أهلها سوء العذاب، واستباحوا كلَّ شيء، وعذَّبوا وسجنوا وقتلوا الكثير، وهتكوا الأعراض تحت نظر العالم وسمعه.

2- قطع الطريق على الإمدادات والصفقات العسكرية للأسلحة والآلات والتدخّل في خصوصيات الدول، حتى لا تعمل على تحصين وبناء القوة العسكرية للبلاد المحَاصَرة، وبالتالي لا تصنع قوة ردع للدفاع عن بلاد المسلمين، وهنا ينبغي شحذ النفوس والهمم للتبرع بالأموال والتصدّق بالخبرات، والنفير بالأجساد والهمم؛ لبناء قوة تواجه العدو، قال الله ﷻ: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95].

3- الاستهداف الدائم للمؤسسات العسكرية الحكومية، ومواقع التدريب، وذلك لفرض حالة من العجز العسكري لدى المحاصرين، وعدم ترميم البناء العسكري للدولة، حتى يتمكّنوا من الانقضاض متى شاءوا ولا يجدوا من يقاومهم، ولذلك نبّه الله ﷻ عباده المؤمنين بضرورة التيقّظ وعدم ترك السلاح، قال ﷻ: ﴿ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾[النساء: 102].

---

(1) عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه" (ص:156).

4- تحديد مساحة للصيادين في عرض البحر، ويُمنع اجتيازها، والتشديد على حركة الملاحة والاستفادة من الموارد المائية للبلد المُحاصَر، كل هذا بسبب ضعف الأمة وقعودها عن الجهاد في سبيل الله، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 74].

ثالثًا: البعد التعليمي.

ويتمثل في الأمور التالية:

1- هدم المدارس واستهداف الجامعات، فقد تعمَّد العدو استهداف المدارس والجامعات بشكلٍ مباشر؛ لفرض سياسة التجهيل بين أبناء الأمة، حتى أنه استهدف النازحين في المدارس أثناء الحروب المتتابعة على قطاع غزة، وحَرَم عشرات آلالاف الطلبة من الالتحاق بمدارسهم في العراق وفلسطين وسوريا وغيرها، لأن العدو يعلم أهمية وقيمة العلم وأنه أحد أنواع الجهاد في سبيل الله، قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة: 122].

2- إتلاف الكتب والمراجع وقد تكشّف هذا أثناء هجوم التتار على معقل الخلافة"بغداد"، حيث قاموا بإحراق وإلقاء ملايين الكتب التاريخية الخاصّة بمكتبة بغداد[1] في نهر دجلة مما جعل لون الماء يتحوّل إلى اللون الأسود بفعل المداد الذي كُتِبت به، وتكرّر إقدام الصليبيين على حرق المكتبات في الأندلس في غرناطة وطليطلة وأشبيلية وبلنسية وسرقسطة وغيرها، وأحرقوا ثلاثة ملايين كتاب في مكتبة طرابلس بلبنان، وسرق المستعمرون الجدد من الأوروبيين أعظم كتب العلم التي ألّفها المسلمون على مدار عدة قرون، وأكمل الأمريكان والروس وحلفاؤهم الدور في العراق وسوريا، وأخذ المستوطنون نصيبهم من العداوة والحقد فقد أقدموا وما زالوا على إحراق المصاحف ومكتبات المساجد في الضفة الغربية، وتدمير مكتبات المساجد والمؤسسات التعليمية في غزة في الحروب المتواصلة[2].

---

(1) تعتبر مكتبة بغداد أعظم دور العلم في الأرض، حيث مكثت خمسة قرون متتالية، والذي أسسها هو الخليفة العباسي هارون الرشيد، وازدهرت في عهد المأمون، وما زال الخلفاء العباسيون من بعدهم يضيفون إليها من الكتب والنفائس حتى حوت ملايين الكتب في زمن ليس فيها طباعة، وكان فيها عدد كبير من الحجرات، ومئات الموظّفين الذين عملوا فيها في كل ما له علاقة بالكتب ونسخها وترجمتها وتدوينها. (انظر: راغب السرجاني: التتار من البداية إلى عين جالوت، ص: 160-162).

(2) انظر: السرجاني: التتار (ص: 162-163).

3- إقامة الحواجز بين المدن، وعرقلة حركة الطلبة في الجامعات سواء بين مدن الضفة والأراضي المحتلة، أو بين غزة ومدن الضفة والأراضي المحتلة، أو بين مدن فلسطين والعالم الخارجي، وهذا كله ساهم في خنق الحياة التعليمية وحرمان الطلاب من تنقّل الكوادر العلمية من ذوي الخبرة وحملة الشهادات، والدرجات العلمية العالية، وزاد من المشقة والتعب لأهل المناطق المحاصرة، قال الله ﷻ: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾[آل عمران: 118]، "والعنت: شدّة الضرر والمشقة. وأصله انهياض ـ انكسار ـ العظم بعد جبره، أى تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشدّ الضرر وأبلغه"[1].

رابعا: البعد الإعلامي.

ويتمثّل في الأمور التالية:

1- استهداف الصحافيين والطواقم الإعلامية وسجنهم؛ لإخفاء جرائمهم، وطمس الحقائق، حتى لا تصل صورتهم الدموية إلى العالم، فيتعاطف مع الشعوب المستضعفة، وكان من فعل قوم إبراهيم عليه السلام أن أحرقوه لإخفاء حقيقة جهلهم وعنادهم التي كشفها لهم، قال الله ﷻ: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾[الأنبياء: 68].

2- نقل صورة للعالم مغايرة تمامًا للحقيقة، من خلال التلفيق والكذب؛ لإظهار الشعوب المقهورة على أنها الجلاد، وأن المعتدي هو المظلوم، وهذا يُضلّل الشعوب والحكومات، وللأسف كثير من دول العالم يسمع لهم لما بينهم من الولاء وعداوة المؤمنين، فهم كما وصفهم القرآن ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾[المائدة: 42]، والآية عامة في كل ما جاء به الكفار والمنافقون، فهم يمزجون ما سمعوا بالزيادة والنقص والتغيير والتبديل[2].

3- إتلاف المعدات والآلات الإعلامية من كاميرات وأجهزة متطوّرة، والاقتحام المتكرّر للمؤسسات والمكاتب والقنوات الصحافية التي تنقل الحقيقة وتبث الأحداث للعالم الخارجي وتوثّق جرائمهم البشعة.

- **خامسًا: البعد الاقتصادي.**

وذلك بتشديد الخناق على الحدود وإغلاق المعابر ومنع البضائع، واستهداف المصانع والشركات التجارية والاقتصادية بشكل مباشر، ومنع التجّار والمرضى والطلبة وأصحاب المصالح من التنقّل والسفر؛ حتى يضيقوا على المحاصرين، ويجبروهم على الاستسلام

---

(1) الزمخشري: الكشاف (406/1).

(2) انظر: الرازي: مفاتيح الغيب (359/11-361).

والخضوع، أو إحداث فتنة بين الشعب وحكومته التي لا تستطيع توفير كل متطلبات الحياة الكريمة بسبب تقييدها ومحاربتها بالحصار بشتى ألوانه، وهذا الحصار الاقتصادي حدث في عهد النبي ﷺ عندما حاصره كفّار مكة في شعب أبي طالب لمدة ثلاث سنوات وفرضوا عليه وأصحابه حصارًا اقتصاديًا محكمًا، حتى أكل ﷺ وأصحابه ورق الشجر، قال الله ﷻ: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ [المنافقون: 7].

وهناك وسائل أخرى يستخدمها الأعداءُ في تشديد الحصار الاقتصادي منها:

1- نهب خيرات البلاد من بترول ومواد خام وآثار، وسرقة البيوت والمؤسسات والمصانع، وهذا كله اعتداء على حرمة وممتلكات البلاد وإفسادٌ فيها، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [البقرة: 205].

2- هدم المؤسسات الخيرية والشركات الصناعية والمخازن التجارية، ممّا أدَّى إلى تدهور الاقتصاد، وزيادة البطالة، وارتفاع معدلات الفقر والعوَز، وينفقون أموالًا طائلة لتخريب بلاد الموحّدين ومؤسساتهم، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: 36].

3- قطع رواتب الموظّفين المخالفين فكريًا أو سياسيًا لإخضاعهم على الولاء، مع العلم أنَّ أبا بكر الصديق ﷺ استمر في دفع النفقة لرجلٍ شارك في حادثة الإفك إعلامًا وترويجًا[1]، ونزل فيه قوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[النور: 22] [2]، ولم يصلنا أن عثمان وعليّا ـ رضي الله عنهما ـ قطعا رواتب الخوارج الذين ناصبوهما العداء وكفّروهما.

"وما يفعله الطغاة اليوم في مواجهة الدعاة إلى الله من حرمانهم من أبسط حقوق حياتهم؛ حق العمل لكسب القوت، يطردونهم من وظائفهم ليموتوا جوعًا، ويستلبون بيوتهم وممتلكاتهم، والحكم بالسجن والقتل على كل من تتحرك له دوافع الإنسانية في أن يجمع مالاً

(1) انظر: سيد بن حسين العفاني: عاطر الأنسام من حياة شيوخ الإسلام (ص:94-95)، والحديث أخرجه البخاري: صحيح البخاري (ح4750)، (101/6).

(2) انظر: الطبري: جامع البيان (128/19).

لإطعام عائلاتهم المنكوبة، واعتباره مجرمًا مثلهم، بل يحرمونهم حتى من حق الهجرة أو الفرار فيحتجزون وثائقهم وجوازات سفرهم، ويوزعون صورهم وأسماءهم على كل مكان أو مركز من مراكز مغادرة بلدهم، ليفنوهم عن آخرهم .. كل هذه الأمور في الحقيقة صور من صور المقاطعة لإبادة الدعاة إلى الله واستئصالهم عن بكرة أبيهم"[1].

4- قطع مصادر المياه أو تلويثها إما بطريقٍ مباشرة أو بالتحريض على ذلك، وحرق المحاصيل الزراعية وإتلافها برش المبيدات والمواد الملوّثة، وتمليح الأراضي الزراعية وتسميمها؛ لتصبح عقيمة وغير صالحة للزراعة، إنه الإفساد بعد إصلاح هذه الأرض وعمارتها، إنه دأب اليهود والنصارى ومن والاهم، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]، ذكر الماوردي في تفسيره قال: "فيه أربعة أقاويل: أحدها: لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان. والثاني: لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل. والثالث: لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة ، قاله الكلبي. والرابع: لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه"[2].

وقد فعلت بعض هذا الإمبراطورية الرومانية في علاقتها مع الشعوب والدول الأخرى، وقد ذكرت مصادر صحية محليَّة ودولية إبان الغزو الأمريكي للعراق أنَّ العراقيين يواجهون أرضًا مسمومة باليورانيوم المنضّب، ولا تزال آثار التفجيرات قائمة حتّى الآن في كل هذه الدول المستهدفة وسط تزايد حالات التشوّهات الخَلقية وانتشار الأمراض السرطانية لا سيما عند الأطفال، وفَعَلَ كل هذا وأكثر العدو الصهيوني بحق قطاع غزة، وأحرق الأرض وسمّمها بالصواريخ والمواد المشعّة والسامّة المحرّمة دولياً، ممّا أضعف الاقتصاد على كل الأصعدة[3].

"ونبصر أعداء الله في كل زمان ومكان وجيل وقبيل وعصر ومصر يلجئون إلى استخدام سلاح محاربة الدعاة في أرزاقهم، ليستكينوا ويرجعوا عما يدعون إليه، وهو أسلوب يتّفق عليه المشركون والمنافقون عبر التاريخ .. ولو كان الدعاة إلى الله موظّفين أو عاملين في دولة تخالفهم فيما يدعون إليه، للجأت تلك الدولة إلى فصلهم من أعمالهم، كوسيلة من وسائل الحرب التي تتخذها ضدّهم، ولكن الوسيلة المتاحة في ذلك الوقت في هذا الميدان كانت المقاطعة بتلك الكيفيّة التي وقفنا عليها"[4]، وهذا يعني أنَّ الأعداء في كل زمانٍ يلجئون إلى أسلوب التجويع

---

(1) منير الغضبان: فقه السيرة النبوية (183/1).

(2) الماوردي: النكت والعيون (231/2).

(3) انظر: عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه" (ص69-71).

(4) الأستاذ الدكتور سعد المرصفي: الجامع الصحيح للسيرة النبوية (1377/4).

والحصار الجماعي، وللأسف كثير من المسلمين يُحاصَرون في أصقاع الأرض، في فلسطين والعراق والصومال والسودان وسوريا وليبيا وأفغانستان وغيرها، ولم يتحرك لنجدتهم إلا قلة.

سادسًا: البعد السياسي.

وتبرز أهم آثاره في الأمور التالية:

1- فرض حالة من العزلة السياسية على أي بلد لا يتماشى ولا يتعاون مع سياسة الدول المهيمنة بالظلم على العالم، وهذا ما فعله كفار مكة مع النبي ﷺ وأصحابه في مكة يوم أن فرضوا عليهم حصارا سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا.

2- حرمان هذه الدول من ممارسة حقها في السياسة والانفتاح والتعاون مع بلاد العالم، ومعاملة دول العالم لها على أنها دولة مخالفة وخارجة عن القانون؛ بسبب شدة عداوتهم للمؤمنين ومكرهم بهم، قال الله ﷻ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[الممتحنة: 2]، فكلما وجدوكم وسنحت لهم الفرصة بإيذائكم بأيديهم وألسنتهم فإنهم لا يتأخرون عن ضربكم وشتمكم والتضييق عليكم[1].

3- تكبيل الشعوب الضعيفة بسياسات ظالمة تلزمهم بالسمع والطاعة، وإلا فيكون مصيرهم المقاطعة والحصار والتضييق، حتى تفشل الحكومة كما فعلت قوى العالم الظالم مع أهل غزة الذين انتخبوا حكومتهم بأنفسهم، ثم لمّا أحسوا بتململ التيار الإسلامي ضيّقوا عليهم، وهذا ما حدث في بداية الدعوة النبوية حيث عمدت قريش إلى إبرام إتفاقية بين صناديد الشرك، وكتبوا عقود ومواثيق هذه الاتفاقية وهي ماعُرفت في السيرة بالصحيفة[2]، وكذلك ما وقع من أحداث لاحقة من أظهرها حصار الأحزاب للمدينة النبوية.

سابعًا: البعد الجغرافي.

ولهذا البعد آثار خطرة من أهمها:

1- تغيير المعالم الحقيقية للمدن والشوارع، وإزالة اللوحات العربية التعريفية للسياح واستبدالها بلوحات عبرية وبأسماء جديدة، وكذلك المحاولات المتكرّرة والخطيرة لهدم المسجد الأقصى بحجة البحث عن الهيكل المزعوم، وتغيير الخارطة الجغرافية والملامح المشهورة من خلال تقسيم البلاد وزيادة الاستيطان، و إزالة الجبال المهمة والآثار التاريخية.

2- تهجير السكان والاستيلاء على الأراضي، من خلال زحف المستوطنات وإقامة المواقع العسكرية ومشاريع الاستيطان والمؤسسات التي تخدم العدو.

---

(1) انظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (854/1).

(2) انظر: الصلابي: السيرة النبوية، (ص218).

3- تزوير الوثائق التاريخية والمستندات الرسمية للأراضي، وإرغام أهلها على بيعها بسبب الاضطهاد والظلم، وكل ما سبق من إفساد اليهود وإجرامهم يدلُ على أنهم أعداءٌ للعدل والحرية، قال الله ﷻ: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [المائدة: 64].

ثامنًا: البعد الاجتماعي.

وتظهر آثاره فيما يلي:

1- ضعف الأواصر الاجتماعية والانتماء للأسرة مع مرور الزمن وبسبب بعد المسافات، فيشعر المرء بالغربة والوحدة فينكفئ وينطوي على نفسه، وهذا يعصف بالبناء الاجتماعي للبلاد المحاصرة، ويعطّل السُنَّة الإلهية في صلاح الأرض بالتعارف، قال الله ﷻ: ﴿ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ [الحجرات: 13]، وبسبب هذا البعد يحدث جفاء بين الأقارب، ويُضعف الانتماء الأسري والوطني.

2- ممارسة الإبعاد عن الأهل والوطن، سواء أكان داخليًا كما يحدث مع أهالي القدس بإبعادهم خارج المدينة المُقدّسة، أو خارجيًا كما يحدث مع الأسرى الذين يشترط العدو إبعادهم قسرًا إلى خارج البلد كشرط لخروجهم من السجن، كما حدث في عملية الإبعاد الكبيرة والتي عُرفت بمبعدي "مرج الزهور" على الحدود اللبنانية في العام 1992 م، وبعض الأسرى في صفقة التبادل عام 2011م التي عُرفت باسم وفاء الأحرار، حيث إنَّ بعض الأسرى أُبعد من السجن إلى خارج الوطن.

وهذا البعد عانى منه بعض الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، قال الله ﷻ حكاية عن قوم لوط عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡ ﴾ [النمل: 56]، وقال الله ﷻ حكاية عن كفار قريش بحق النبي ﷺ: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ﴾ [الأنفال: 30]، وفي سيرة النبي ﷺ مواقف واضحة تؤكد هذا النوع من الحصار الظالم، فبعد أن تعرّض لألوان من الملاحقة والتضييق اتفق بنو المطلب، وبنو هاشم مسلمهم وكافرهم على منع قريش أن تؤذي النبي ﷺ، فاجتمعت قريش وأجمعوا أمرهم على قرارٍ ظالم وهو ألاَّ يخالطوهم، ولا يُجالسوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يُسلّموا لهم النبي ﷺ للقتل، وكتبوا صحيفة علّقوها في جوف الكعبة، فيها عهود ومواثيق ألاَّ يقبلوا صُلحاً من بني هاشم، وألاَّ تأخذهم هوادة أو رأفة حتى يُسلِّموا رسول الله ﷺ للقتل[1]"، وبسبب التضييق والملاحقة أُرغم بعض الصحابة على الخروج والهجرة إلى أرض الحبشة.

---

(1) انظر: صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم (97/1)، منير الغضبان: فقه السيرة النبوية (180/1).

تاسعًا: البعد الفكري والأمني.

وتتمثّل آثاره في الأمور التالية:

1- نشر المعلومات المغلوطة عن قضايا المسلمين والقضية الفلسطينية بشكل خاص، "وهذا يعمل على ضرب الإسلام من الداخل وإضعاف فاعليته، وعزله عن التأثير في حياة المسلمين"[1]، ولذلك حذّرنا المولى ﷻ من التعاطي معهم في شبهاتهم، وأمرنا بترك موالاتهم فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَ﴾[المائدة: 57].

2- طرح مسائل التقريب بين المسلمين واليهود، وتعطيل قاعدة الولاء والبراء مع الكفار، وإثارة مسائل السلام بين اليهود والعرب، وغيره مما قد يتبنّاه ضعاف الإيمان والنفوس، ومن يبيعون دينهم وذممهم وانتماءهم بالمال والشهوة والمنصب، رغم أنَّ الآيات صريحة في التحذير منهم، قال الله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النساء: 144].

3- تجنيد بعض العملاء والخونة بهدف جمع المعلومات عن أماكن القوة لدى المقاومة؛ بهدف توجيه ضرباتٍ متلاحقة للمجاهدين، ومعرفة طريقة تفكيرهم وإدارتهم للمعركة؛ " فإن الجيوش الجرارة قد تصاب في كبدها من ضعفاء النفوس الذين يشتريهم العدو بالرشوة والمال وأنواع الإغراءات المادية والمعنوية، كما أنها قد تخسر الحرب بسبب جهلها ونقص تكوينها وتقصيرها عن مستوى أعدائها في التخطيط والتدبير والتدرب على استعمال السلاح الحديث"[2]، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾[النساء: 83]، وهؤلاء كانوا إذا سمعوا أمرا يخص الأمة أفشوه وأذاعوه حتى يصل للعدو، وكانت إذاعتهم مفسدة للرأي العام، وتخريب وتهديم داخلي[3].

4- تأثر بعض النخب من المثقفين بالأفكار والشخصيات والكتب الأجنبية، ومحاولة محاكاتها وتبنّي أفكارها، والعجب أنك تجد بعضهم يطرح حلولا للمشكلات العصرية وكأنه يتعمّد تجاهل أو تغييب دور القرآن الكريم والسنة النبوية، ويُغرّدون خارج حدود الشرع وأحيانًا تصطدم أفكارهم

---

(1) صالح الرقب: حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري (ص:36).

(2) الزحيلي: التفسير المنير (182/2).

(3) انظر: الزحيلي: التفسير الوسيط (351/1).

مع النصوص الشرعية، مع أن النص القرآني واضح، قال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: 59].

5- تجزئة المسلمين أرضًا وأمةً وفكرًا، وتشويه صورتهم التاريخية الغابرة والحالية، والحيلولة دون مستقبل مشرق للإسلام والمسلمين[1]، وتشكيك المسلمين في تاريخهم وحضارتهم وعقيدتهم، من خلال التركيز على الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة والمكذوبة، والقصص الواهية والمختلقة، واستغلال المتشابه من الآيات، قال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [آل عمران: 7].

عاشرًا: البعد النفسي والمعنوي.

ويتمثل ذلك فيما يلي:

1- حرب الشائعات والإرجاف.

وهنا يبرز خطر الطابور الخامس من المنافقين والمثبّطين والمرجفين الذين ينفثون سمومهم القاتلة، ويقذفون كلماتهم الخبيثة إما مُخوّفين للشعوب من بطش العدو ومهوّلين لقوتهم، وإما شامتين مستهزئين بالمؤمنين، ومن ذلك يوم الخندق " لما طال الحصار واشتدت الأزمة واستبد الخوف بالرجال قال المنافقون وضعفاء الإيمان، ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ [الأحزاب: 12]، إذ قال معتب بن قشير: يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقًا وخوفًا ما هذا الوعد إلا وعد غرور!!"[2]، وهذه الاشاعات تحزن قلوب المؤمنين، وتفتن الضعفاء، وإذا نظرنا إلى حادثة الإفك وما تبعها من شائعات مغرضة عرفنا شرّها وخطرها، وكيف أن النبي ﷺ مكث مدة وهو مهموم حزين، ولم ينزل الوحي مدة طويلة للفصل في الأمر، فكان الحال صعباً على المجتمع المؤمن كله[3].

2- السخرية والاستهزاء بالمؤمنين.

فقد" كَانَ الظَّالِمُونَ الْمُعَانِدُونَ لِلرُّسُلِ يَسْتَهْزِئُونَ بِدَعْوَتِهِمْ وَيَزْدَرُونَ أَتْبَاعَهُمْ مِنَ الضُّعَفَاءِ، حَتَّى إِذَا مَا كَثُرُوا وَخَافُوا مِنْهُمْ قُوَّةَ الْكَثْرَةِ طَفِقُوا يَصُدُّونَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، أَيِ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى مَا يُحِبُّهُ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ، يَصُدُّونَهُمْ بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ أَسْبَابِ الصَّدِّ كَالْإِهَانَةِ وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّعْذِيبِ لِلضُّعَفَاءِ، وَتَزْيِينِ الْعَصَبِيَّةِ وَحُبِّ الرِّيَاسَةِ وَالْغِنَى لِلْأَقْوِيَاءِ وَيَبْغُونَهَا

---

(1) انظر: صالح دياب هندي: دراسات في الثقافة الإسلامية (ص:30-31).

(2) أسعد حومد: أيسر التفاسير (250/4).

(3) انظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (563/1).

عِوَجًا أَيْ يَطْلُبُونَ جَعْلَهَا مُعْوَجَّةً بِذَمِّهَا وَادِّعَاءِ بُطْلَانِهَا وَضَرَرِهَا... وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمَلَاحِدَةِ وَدُعَاةِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ حَتَّى هَذَا الزَّمَانِ"[1]، قال الله ﷻ حكاية عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ﴾ [هود: 38]، وقال الله ﷻ عن المنافقين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: 65]، وقالوا لهود عليه السلام: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [الأعراف: 66]، فالكفار والمنافقون لن يدعوا أهل الحق بلا لمزٍ أو سخرية، وهذا يؤثّر على نفوسهم أحيانًا، لكن سرعان ما يتذكّروا أنَّ هذا قدر المصلحين فيبصرون الطريق ويمضون عليه.

3- **تخذيل المنافقين بهدف شق الصف المؤمن.**

المنافقون دائمًا يتخلّفون عن صفوف الجهاد، ويَسعونَ لعرقلة سيره، ويُثبّطون العزائم ولا يرغبون في القتال، قال الله ﷻ عنهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾[المنافقون: 4]؛ لأنهم لا يُحبون الإسلام وأهله، قال الله ﷻ عنهم: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ﴾[التوبة: 81]، إضافة إلى خورهم وجبنهم، وشغلهم الشاغل الصيد في الماء العكر من خلال انتظار النتائج واستغلالها لشق الصفّ إذا هُزم المسلمون، ولقد وصفهم القرآن وصفًا دقيقًا وصوّر لنا حالهم، قال الله ﷻ:﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: 13][2].

و"لم تكن مشاركة المنافقين وخروجهم للقتال مع المؤمنين في غزوة تبوك وغيرها خيرًا ومصلحة، وإنما كانت شرًّا ومفسدة، وقد شرح تعالى المفاسد وحصرها في ثلاث: إفساد النظام والعمل، وتفريق كلمة المسلمين بالنميمة، واستدراج فئة من ضعاف الإيمان والعقل والحزم إلى صفوفهم وسماع كلامهم"[3]، ولذلك توعّدهم المولى بالعذاب الأليم لخبث طويّتهم وانحراف فطرتهم، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ۖ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145].

وهناك أمور أخرى تساهم في خنق المحاصرين وزيادة التضييق عليهم مثل:

---

(1) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (186/12)

(2) انظر: الزحيلي: التفسير المنير (152/5).

(3) الزحيلي: التفسير المنير (152/5).

- استهداف المستشفيات والمراكز الصحيّة، والطواقم الطبية ورجال الإسعاف أثناء قيامهم بواجبهم بإخلاء المصابين والجرحى.
- منع دخول المواد الأساسية للبنى التحتية من إسمنت وأدوات ومعدات وغيره.

المطلب الرابع: فكر العدو القائم على الحصار.

في هذا المطلب تظهر حقيقة وفكر أعداء المسلمين في تشديد الحصار على المسلمين، بهدف كسر شوكتهم وإرغامهم على تلبية مطالب الأعداء، وتُجلّي دورهم الخبيث في تأليب العالم على المسلمين، ويتّضح ذلك من خلال الأمور التالية:

أولاً: دور اليهود في تأليب العالم على المسلمين.

قال الله ﷻ: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [المائدة: 82]، وقال الله ﷻ: ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: 64]، إنَّ" مَذْهَب الْيَهُودِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ إِيصَالُ الشَّرِّ إِلَى مَنْ يُخَالِفُهُمْ فِي الدِّينِ بِأَيِّ طَرِيقٍ كَانَ، فَإِنْ قَدَرُوا عَلَى الْقَتْلِ فَذَاكَ، وَإِلَّا فَبِغَصْبِ الْمَالِ أَوْ بِالسَّرِقَةِ أَوْ بِنَوْعٍ مِنَ الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ وَالْحِيلَةِ"[1]،" وفي تقديم اليهود على المشركين إشعار بتقدمهم عليهم في العداوة "[2]، وفكرهم قائم على التحريض ضد المسلمين في كل العالم، "وشعار قَاتِلُوا المُسْلِمِينَ الذي وزعته إسرائيل في أوروبا عند حرب الـ 67، لَقِيَ تَجَاوُبًا لا نظير له في دول الغرب كلها ..."[3]، يقول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه "باثولوجيا الإسلام": "أَعْتَقِدُ أَنَّ مِنَ الوَاجِبِ إِبَادَةَ خُمُسَ المُسْلِمِينَ، وَالحُكْمَ عَلَى البَاقِينَ بِالأَشْغَالِ الشَّاقَةِ، وَتَدْمِيرِ الكَعْبَةِ، وَوَضْعِ قَبْرِ مُحَمَّدٍ وَجُثَّتَهُ فِي مُتْحَفِ اللُّوفِرْ"[4]، ولا ننسى أن الحروب الصليبية على العالم الإسلامي وعلى بلاد الشام وفلسطين كانت بدافع ديني بالدرجة الأولى، حتى أنهم وضعوا إشارة الصليب على أسلحتهم والأمتعة الخاصة بهم[5]، وهذا الدور لعبه اليهود قديما في

(1) الرازي: مفاتيح الغيب (413/12)
(2) الألوسي: روح المعاني (4/4).
(3) جلال العالم: دمروا الإسلام أبيدوا أهله (45/1).
(4) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث (ص:51).
(5) انظر: علي الصلابي: صلاح الدين الأيوبي (ص:25-27).

عهد النبي ﷺ، وعن عُمَر بْن الْخَطَّابِ ﷺ: "أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا»[1].

ثانياً: وعد بلفور وأساس جريمة حصار فلسطين.

عانت غزة منذ زمنٍ بعيد من الغزو والحصار؛ لمكانتها وأهميتها التاريخية، وتوجّهت أنظار الطامعين والغزاة إليها لأهمية موقعها الجغرافي، فقد عانت من الآشوريين، وهاجمها ملوك بابل، واحتلها الفرس واتّخذوا منها موقعاً حربياً، وحاصرها الاسكندر المقدوني حصاراً شديداً في العام الرابع قبل الميلاد، ثم سيطر عليها ابنه بعد موته فانتزعها منه بطليموس الأول من مصر وظلّت تحت سيطرة المصريين حتى هاجمها الرومان في القرن الأول قبل الميلاد، ثمَّ فُتحت في عهد أبي بكر الصديق ﷺ بقيادة أبي أمامة الباهلي ﷺ واستمتعت بحكم الإسلام حتى هاجمها الصليبيون واحتلوها عام 1100م، ثم عادت للمسلمين بعد معركة حطين عام 1187م، ولكنها سقطت من جديد على يد المغول بعد سقوط بغداد بأيديهم عام 1320م حتى هزمهم الظاهر بيبرس في معركة عين جالوت واسترد المسلمون غزة من جديد وعاشت تحت حكم المماليك، ثم الحكم العثماني[2]، ثم حكم الأتراك، وبعدها زحف الإنجليز "البريطانيون" إليها عام 1917 م فصارت تحت حكمهم العسكري، لكنَّ أهل غزة عانوا من حكم الإنجليز فحملوا السلاح وخاضوا معارك مع الاحتلال حتى حاصرها بالدبابات والطائرات[3]، وما لبث أن تبنّت بريطانيا المشروع الصهيوني فأصدرت في الثاني من نوفمبر 1917م وعد بلفور المشؤوم بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وفتحت لهم أبواب الهجرة ودعمت تملّكهم للأراضي، فتمكّنوا تحت حماية البريطانيين من بناء مؤسساتهم الاقتصادية والسياسية والتعليمية والعسكرية والاجتماعية، وأعلن الصهاينة دولتهم "إسرائيل" في مساء الرابع عشر من أيار/مايو 1948م، وتمكّنوا من هزيمة الجيوش العربية التي مثّلت نموذجًا لسوء القيادة وضعف التنسيق وقلة الخبرة[4]، وما زالت فلسطين تُعاني حتى الآن، نسأل الله ﷻ أن يُهيىء لهذه الأمة أمرا رشدا، وقائدا ربّانيا يُصحّح المسار، ويغسل العار، ويُعيد الديار.

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: إِخْرَاجِ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ (ح1767)، (1388/3).

(2) انظر: هارون الرشيد: قصة غزة هاشم (ص:21-45)، ومصطفى مراد الدباغ: وبلادنا فلسطين (593/1)، محسن صالح: الطريق إلى القدس (ص:35-41).

(3) انظر: هارون الرشيد: مرجع سبق ذكره (ص: 53 59).

(4) انظر: محسن صالح: الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية (ص:11،13).

ثالثاً: فكر اليهود في حصار فلسطين وإخراج أهلها.

"أرض فلسطين أرضٌ مقدّسة لدى اليهود، فيعدونها أرضهم الموعودة، ومحور تاريخهم، ومرقد أنبيائهم، وبها مركز مقدّساتهم في القدس والخليل"[1]، و" نجدهم في أسفارهم يُكرّسون عبارات اللعن والشتم والخراب للفلسطينيين، ويخصّون غزة بالكثير من لعناتهم ودعواتهم لها بالخراب ولأهلها بالشتات والأمراض"[2]، ونقلت صحيفة "جيروسلم بوست" الإسرائيلية، في عددها الصادر يوم الاثنين 2016/3/28م، عن الحاخام الأكبر في إسرائيل ومسؤول الحاخامية الكبرى في الدولة العبرية" اسحق يوسف" قوله: إن غير اليهود لا يسمح لهم بالعيش في دولة إسرائيل.. وأنه يتوجب نقل كل من هو غير يهودي، ما أسماهم "الأغيار" وفقا للشريعة التوراتية، إلى المملكة العربية السعودية للعيش هناك في البادية، وأن يحظر عليهم دخول إسرائيل.. وأن القانون يمنع كل من لا يؤمن بتعاليم التوراة المكوث في دولة إسرائيل، فإن رفض هؤلاء الامتثال للدين اليهودي وجب طردهم للسعودية"، وزعم يوسف أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتحقيق الخلاص الذي تنشده دولة إسرائيل"[3]، وهذا يُثبت للعالم أن الحركة الصهيونية حركة عنصرية تقوم على خلفيات دينية وقومية يهودية، وشرط نجاحها مرهون بإلغاء حقوق أهل فلسطين العرب في وطنهم والحلول مكانهم[4]، فهم يعملون على سجن العرب في فلسطين والتضييق عليهم حتى يُكرههوهم على الخروج منها وبذلك تحلو لهم ويتنعموا بها، لكنَّ المسلمين يُجمعون على أهمية فلسطين وقداستها، ويستمدون هذه القداسة من قوله ﷻ: ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: 71]، وقوله ﷻ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الإسراء: 1].

رابعًا: استمرار حصار غزة لكسر شوكة المسلمين.

كثيرٌ من بلاد المسلمين تعاني من الويلات والتآمر الخارجي، والتقسيم الجغرافي، والتشويه الفكري والتأريخي للأجيال، وهموم المسلمين لا تكادُ تنتهي، وإنَّ من أعضل المشكلات وأكبرها

---

(1) محسن صالح: المرجع السابق (ص:7) بتصرف يسير.

(2) هارون الرشيد: قصة غزة هاشم (ص:23) بتصرّف يسير.

(3) إسراء النعّامي: حاخام إسرائيلي: يجب نقل غير اليهود للعيش في السعودية، موقع الإسلام اليوم، 29/3/2016م.

islamtoday.net/albasheer/artshow-12-226474.htm2016

(4) انظر: محسن صالح: مرجع سبق ذكره (ص:10).

مشكلة أكثر من مليون ونصف المليون من المحاصرين في قطاع غزة، الذين تتابعت أجيالهم وما زالوا يرزحون تحت ظلم الحصار الذي تفرضه عصابات الصهاينة ومن خلفهم أمريكا حامية الشر في العالم، ومعها كل الدول الغربية المستبدّة، خاصة أنَّ قطاع غزة المحاصر قد صبر لسنوات طويلة، وفضَّل الجوع وألم القيد على الذل والاستسلام، ولقّن أبناؤه المجاهدون العدوَ الصهيوني دروساً قاسية أثناء احتلاله لغزة وما بعد انسحابه منها عام 2005م، وصارت حكايات المجاهدين والشهداء تُدرّسُ في جامعات ومدارس العالم، وصارت غزة واجهة المسلمين المشرقة ورأس حرب الإسلام في وجه الأعداء، فأراد العدو المجرم أن يطمس معالم البطولة حتى لا تستيقظ الأمة بأسرها، ولكنَّ الله تعالى أبطل كيدهم، فأتاهم من حيث لا يحتسبون، قال اللهﷻ : ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [إبراهيم: 46]، وللأسف ما زالت الدول العربية والإسلامية ترى هذا المكر ثم تروح في صمتٍ عجيب، قال المَقْري[1]:

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلام وإيمانُ[2]

(1) المَقْري: أحمد بن محمد المقري، شهاب الدين المغربي المالكي، نحوي ، ومن مصنّفاه: (التحفة المكية)، و(نفح الطيب)، و(شرح ألفية ابن مالك) وفرغ منها سنة(847)، توفي في مصر سنة(1041هـ). انظر: الأعلام، للزركلي (227/1).

(2) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (488/4).

الفصل الثاني

الجوانب الإدارية لمواجهة الحصار في القرآن الكريم

المبحث الأول

أهمية القصص القرآني في مواجهة الحصار

رغم أنَّ القرآن الذي بين أيدينا هو نفسه الذي تربّى على معينه الجيل الأول في حضرة رسول الله ﷺ إلا أنَّ الأمّة ما زالت مُعطّلة لدورها الريادي والقيادي، وأمسكت عن البناء والتقدّم، والسبب هو غياب التدبّر الذي يُبصِّر الإنسان بطريقه ومكامن قوته، ويُحذّره من كمائن ضعفه وتأخّره، قال الله ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: 29].

وتظهر أهم واجبات الأمة تجاه القرآن الكريم وتلمّس أهدافه وحيويته من خلال ما يلي:

المطلب الأول: أثر الخطاب القرآني في فهم طبيعة الحصار.

أمام هذه الموجات المظلمة في عمق ألم وحصار الأمة، يجب على العلماء والدعاة أن يعيشوا طويلاً مع الآيات تأمُّلاً وتدبُّرا، ليقفوا أمام هداياتها، ويربطوا بين هدايات الآيات ومشاكل المسلمين التي يُعانون منها، ويهتدوا بأنوار السُنَن الربَّانية المستمدة من عزم الأنبياء ومقارعتهم للباطل؛ ففي استنطاقها وتلمُّس إشراقاتها أخذٌ بأسباب النصر والتمكين، ونجاةٌ من التخبُّط والشقاء، وفي تجاهلها تفريطٌ بحبال النجاة، وحرمانُ التوفيق في النظر الصحيح للأحداث، فلا بد من الاستضاءة بهذه السُنن عزمًا لا تواكُلًا، وعملًا لا نظرًا؛ لأنَّ الأحداث الساخنة التي تدور في ساحة المسلمين لا تحتملُ طول الانتظار، ولا كثرة التسويف والأماني، ﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: 159]، ولن تنطفىء جذوة الباطل إلا بتركيز الجهد وإعمال العقل مع السواعد بالحكمة والحزم[1].

وحتى نصل إلى أثر الخطاب القرآني في فهم طبيعة الحصار لا بد من الوقوف أمام عدة مهمَّات وهي:

المهمة الأولى: فهم مفاتيح القرآن ومنهج الاستنباط منه.

لا بدَّ من معرفة عدة أمورٍ قبل الإقبال على هدايات الآيات القرآنية: أولها معرفة مفاتيح وصوارف فهمه، وثانيها أنَّ باب التفسير لا يُغلق ومدده لا ينفد، واستنباط المعاني واستخراج دررها ودروسها لا ينقطع، وثالثها: أنَّ أهل كل زمان سيحتاجون إلى تفاسير جديدة، تعالج مشكلاتهم المتلاطمة وتحلّ قضاياهم المعقّدة، ورابعها أنّ من أقبل على القرآن بقلبٍ صادقٍ هُديَ ووجد ضالته، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ [الإسراء: 9]،

(1) انظر: عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه" (ص:12).

وقال ﷻ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: 89]، وقال الله ﷻ: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: 38]، فإنَّ من شأنه أنَّه هدايةٌ وبيانٌ للعالمين في كل ما يحتاجون من أمور دينهم ودنياهم، وما يقيم شؤون حياتهم، وفيها شمولية القرآن لكل شيء[1]، قال ابن مسعود ﷺ:"أنزل في هذا القرآن كل علم، وكل شيء قد بُيِّن لنا في القرآن"[2].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: 82]، "أي: يُذْهِبُ ما في القلوب من أمراض، من شك ونفاق، وشرك وزيغ وميل. فالقرآن يَشْفي من ذلك كله، وهو أيضًا رحمةٌ يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به، وصدقه واتَّبعه، فإنه يكون شفاءً في حقّه ورحمةً"[3].

المهمة الثانية: ضرورة تنزيل القرآن على الواقع.

فعندما نبحث عن حلولٍ لمشكلات أمتنا، ينبغي علينا ألا نغفل أهمية القرآن الكريم في إيجاد الحلول بعد تشخيص المشكلة، إذ إنَّ القرآن الكريم هو كتاب هداية وإرشاد للأمة في كافة مناحي حياتها، وهذا لن يتأتّى لنا إلا إذا جعلنا إحدى أعيننا على النص القرآني بالنظر والتأمل، والأخرى ترنو إلى جراحات أمتنا وآهاتها، وعندها سنجدُ للقرآن الكريم لذّة خاصة عند تلاوته إذا استشعرنا هذا العمق الذي نزلت من أجله آيات القرآن ، فإنَّ لآيات الصبر والجهاد والثبات مثلاً على أرض فلسطين والبلاد المشتعلة لذّة وتذوّقًا لا يشعرُ بهما إلا من عايش الأحداث، لقد كان أهلُ غزة في أرض المعركة والحصار يُرتّلون آيات سور الأنفال، والتوبة، والإسراء، ومحمد، وغيرها، فيشعرون كأنَّ الآيات تتنزل عليهم الآن، لتربط على قلوبهم ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: 11] ، ولقد كانت آيات سورة الأحزاب من الآية التاسعة وحتى الآية السابعة والعشرين لتصنعُ زلزالًا حقيقيًا في أجساد وقلوب المؤمنين، وكانت العبرات تنزل على الوجنات حرّى فتمتزج بخشوع القلب وتلامسُ شغافه فيثبت القلب مع الجسد، وهي تنفي

---

(1) انظر: سلمان بن عمر السنيدي: تدبر القرآن، (ص:110-111)، وصلاح الخالدي: مفاتيح التعامل مع القرآن (ص:13)، وفهد الوهبي: منهج الاستنباط من القرآن الكريم (ص:62،65)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن (366/1).

(2) الطبري: جامع البيان (634/7).

(3) محمود بن يوسف فجال: القرآن الكريم منهج متكامل (2/1).

خَبَثَ المنافقين، وتُصَوِّرُ المعركة بأعين المجاهدين والمحاصرين، وتعدهم بالنصر المؤزر لهم، وبالهزيمة الساحقة للكفرة والأحزاب، ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 10–11]، هذا حالُ المؤمنين وهم يعيشون مع القرآن بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام، فكيف كان حال أصحاب رسول الله ﷺ الذين كان القرآن يُهيئهم قبل المعركة، وفي الأحداث والمواطن!، وكانت الآيات تتنزّل عليهم وهم يضربون فوق الأعناق، ثم تتنزّل آياتٌ جديدة بعد الأحداث لتعالج الأخطاء وتُسدّد الطريق، وتُذكر بفضل الله ﷻ، فلو عاشت الأمّة بهذا الفهم الرائع واقعًا واستشعرت مراد الخطاب القرآني، وانطلقت للعمل والبناء لتغيّر الحال وسلمت من هجر القرآن كمنهجٍ لا بديل عنه لصلاح الأرض وإخراج الأمة من حصارها وضيقها.

المهمَّة الثالثة: فهم سُنَّة التدافع.

فإنَّ العبدَ إذا فهم سُنن الله ﷻ في الكون، لم يتفاجأ بصولة الباطل على أهل الحق وبغيهم على أهل الأرض، وإذا فهمنا هذه السُنة زال الاستغراب والتعجُّب مما يحدث، وفهمنا حقيقة هذا الحصار والتسلّط والتضييق فهمًا صحيحًا، وعرفنا سبب هذه الهجمات المتلاحقة من أعدائنا ودوافعها، ثم نقف على حِكَم الله الجليلة في وجودها، وبالتالي يكون جاهزًا لاستقبال الابتلاء، ومستعدّا لتقبُّل الأوامر الإلهية والعمل على حماية الحدود وصيانة العقيدة، ومقارعة أهل الباطل وصد هجماتهم؛ إذ إنَّ هذا التدافع سنّة إلهية كونية، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 251]، وقال الله ﷻ:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج: 40]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112]، ولكن جعل الله تعالى الغلبة والظفر في النهاية للمؤمنين ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: 141]، ولم يجعل أهل الباطل ينفردون بالنّاس، بل قيّض أهل الحق يدمغونه حتى يزهق ويخمد، قال الله ﷻ:﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: 18]، وقال

الله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد: 17].

وهذه الآيات تذكّر بضرورة فهم سنة التدافع بين الحقّ والباطل، وأنَّ الذين يطمعون في الإصلاح بدون هذه السُنّة، فإنهم يتنكّبون منهج الأنبياء في الدعوة، ويتركون قولة الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقعون في عناءٍ ومشقّة، لأنهم سيَخلدون إلى القعود عن مدافعة الباطل، وإيثار الحياة الدنيا، وبذلك يُعطّل الجهاد في سبيل الله، ولا نجدُ من يكفُّ شر الكفار وفسادهم عن ديار المسلمين ودينهم وأعراضهم وأموالهم[1].

المهمَّة الرابعة: دراسة قصص الأنبياء واستلهام العبر منها.

وممّا تهدي وترشدُ إليه دروس القرآن الكريم أنَّ الذي يسلك طريق تحكيم شرع الله ﷻ، ويتّبع طريق الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، لا بدَّ أن يتهيأ لاستقبال واحتمال الكيد والصبر على الأذى، والتجهُّز للحصار والتضييق، وهذا كله من صور حصار الدعاة والمصلحين حتى يَملّوا ويستسلموا، فلا بدَّ للدعاة من الوقوف أمام مشاهد صبر وتضحية الأنبياء والمرسلين برويّة واسترشاد، "لاستنباط معالم الأمل بين طيّات الألم، ثم استخراج خطوات العمل والتَّشبُّع بمنهجية استنباط الواجبات التربوية والعملية، والأنس بالعناية الربَّانية لنصل إلى العز والتمكين للإسلام والمسلمين"[2]، قال الله ﷻ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ [الأحقاف: 35]، وهذه رسالة لكل دعاة الحق، وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34]، وقال الله ﷻ تسلية للمؤمنين الصابرين على طريق الحق وأتباع الرسل: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: 195]، ونَخلُصُ دومًا إلى أنَّ الله تعالى لا يخذل أولياءه، وأنَّ نصره حليفُ المؤمنين بشرط العمل والجهاد والصبر والأخذ بالأسباب وعدم الاستعجال.

---

(1) انظر: عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه" (ص:11 15).

(2) صلاح سلطان: سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير (ص:22)، بتصرّف.

المهمَّة الخامسة: استنطاق الآيات واستخراج منهجيات العمل منها.

ومن سُبل فهم الواقع من خلال القرآن الكريم، طريقة مُحاورة الآيات القرآنية ومحاولة استنطاقها، وكأننا نسألها لتجيبنا، ونستفهمها لتخبرنا، فإن فعلنا ذلك وجدناها تخاطب ألبابنا وأفهامنا وتبيّن لنا أنَّ من مهامّنا وأولوياتنا كباحثين عن الحلول لمشكلتنا، أن نفهم أنَّ المطلوب منّا ونحنُ نتعامل مع القرآن أنَّ "منهج القرآن والسنّة هو لفت الأنظار عن التنظير والتجريد إلى التأصيل والعمل، وأنَّ ما ليس تحته عمل لا يُكترث له كثيرًا"[1]، وينبغي ألا نقف عند المُبهمات طويلاً، وأن نُركّز على مهمّات العمل والتفاعل، فنحنُ بحاجة إلى بيان أسباب الظفر والتمكين للعمل بها، وبيان أسباب الهزيمة للحذر منها، وإظهار أهمية تأخير النصر على المسلمين، ولهذا ألهمَ الله نبيه ﷺ للأخذ بها لتقتدي به الأمة، وينتصر هذا الدين[2]، فأينما وَجَدَت الأمَّةُ الخطابَ بالأمر وسارَعَت فثمَّ النصر والفرج، فتأمّل هذه الأوامر وغيرها!:

﴿ ٱعۡمَلُواْ ﴾، ﴿ وَجَٰهِدُواْ ﴾، ﴿ أَنفِقُواْ ﴾، ﴿ وَأَعِدُّواْ ﴾، ﴿ ٱنظُرُواْ ﴾، ﴿ قَٰتِلُواْ ﴾، ﴿ ٱدۡفَعُواْ ﴾، ﴿ ٱمۡشُواْ ﴾،﴿ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾، ﴿ سِيرُواْ ﴾ ، ﴿ وَٱمۡضُواْ ﴾، ﴿ وَسَارِعُوٓاْ ﴾،إنَّ المتدبّر لآيات القرآن ينتابه تطلّع وتشوّف لا يوصف، كشعور المريض بالبحث عن العلاج، أو كشعور الحائر بالبحث عن الدلالة والهداية، ومتدبّر القرآن له حاجة ماسّة لغاية ومقصد، لا يهدأ له بال حتى يظفر بها، وكلما أعاد قراءة الآية تجدّدت له معانٍ قد لا يصفها لسان ولا يكتبها مداد قلم؛ لروعة الخطاب الإلهي وعظمة توجيهه، ولذلك قال المولى ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد: 24]، وقال الله ﷻ:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾[الزمر: 23][3].

المهمَّة السادسة: تحليل منهج القرآن في ذكر خطط الكفار والمنافقين.

إنَّ كشف أساليب الأعداء في محاربة الإسلام سُنَّة قرآنية، وهداية نبوية، ولقد بيّنت الآيات الكثير من خُطط الأعداء التي تضمر الكيد والإضرار بالدعوة وأهلها، قال الله ﷻ:﴿ وَإِن

(1) صلاح سلطان: سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير (ص:47).

(2) انظر: عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه" (ص:23).

(3) انظر: سلمان بن عمر السنيدي: تدبر القرآن (ص:8-9).

كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [الإسراء: 73]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا ﴾ [الإسراء: 76]، وقال الله ﷻ: ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [المنافقون: 4]، والآية التالية تُبيّن لنا خُطَط الأعداء مُقرّرة وفيها وسائلها في معركة تتجمَّع فيها قوى الشرّ في الكون، قال الله ﷻ:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا ﴾ [الأنعام: 112]، يمدُّ بعضهم بعضاً بوسائل الخداع والغواية، ومشهد التحزّب على خُطة مقررة ومتفق عليها من الأعداء جديرٌ بأن يسترعي وعي أصحاب الحق؛ ليعرفوا طبيعة الخطة ووسائلها، وطريقة تفكير عدوهم[1]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: 30]، وهذا يُبيّن طريقة تفكيرهم وتخطيطهم وأهدافهم، وفي حديث ورقة ابن نوفل مع النبي ﷺ قال ورقة: «يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ» فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»[2]، وقال الله ﷻ:﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴾[النساء: 45]، أي:" وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدائِكُمْ منكم، فيخبركم بهم لتجتنبوهم وَكَفى بِاللَّهِ وَلِيًّا حافظا لكم منهم يتولى شؤونكم نَصِيرًا مانعا لكم من كيدهم، أو معينًا يدفع شرهم عنكم"[3].

وفي خبر الصحيفة "فكر الأعداء تفكيرًا جماعيًا جادًا منظمًا ومعتمدًا على التخطيط الدقيق لضرب الحركة الإسلامية، وذلك حينما بدأت قاعدتها في الرسوخ، ونجحت في جذب العناصر القوية إليها، وبدأت تفكر في الحماية الأمنية اللازمة حتى تؤدي رسالتها للعالمين، عندئذ أدرك الأعداء أنه لا بد من القضاء على هذه الدعوة في مهدها، فكانت فكرة الحصار الاقتصادي وسياسة التجويع أملًا يداعب حلمهم ويطفئ ثورة حقدهم"[4].

---

(1) انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن (1191/3).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: التعبير، بَابُ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ (ح6982)، (29/9).

(3) الزحيلي: التفسير المنير (95/5).

(4) المنتدى الإسلامي: مجلة البيان (76/148).

وهناك خُطط اختصَّ بها المنافقون في محاربة أهل الدعوة، أظهرتها الآيات الأول في سورة البقرة، وآيات سورة التوبة التي سماها أهل التفسير بالكاشفة والفاضحة لأنها ركّزت على أخطار وخفايا المنافقين، وكذلك آيات سورة الأحزاب والمنافقون وغيرها، وتُظهِرُ الآيات مجموعة كبيرة من الخطط الشريرة، والتحرّكات المشبوهة، التي حبكها المنافقون ونسجوها في الخفاء، ليخدموا أعداءهم ويُشبعوا شهواتهم وقلوبهم المريضة، من ذلك:

1- العمل على تخذيل المؤمنين وتيئيسهم وتشكيك المجاهدين؛ لردّهم عن المعارك وتخويفهم من القتال، والسخرية منهم، ولاحظ الألفاظ القرآنية في توصيف ذلك: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: 12]،﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ﴾[الأحزاب: 13]،﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾[آل عمران: 167].

2- الحلف الكاذب واختراع الذرائع، بهدف الفرار من القتال، والانضمام للكفار لمقاتلة المسلمين، والتأثير على الرأي العام، وجرّ ضعاف النفوس، وإشاعة الفتنة، وبث روح الضعف والانهزام، فانتبه إلى التصوير القرآني: ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ [الأحزاب: 13]، ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[الأحزاب: 13]، ﴿ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾[آل عمران: 167]، ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾[التوبة: 74]، ﴿عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾[الأحزاب: 15]،﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[المنافقون: 1]، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[البقرة: 11]، ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[المنافقون: 2].

3- الاستكبار عن سماع الحق، والعلو بالإثم والكبر، كما وصفهم القرآن : ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾[المنافقون: 5]،﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: 206].

4- العمل على خنق المؤمنين وتشديد الحصار عليهم، والكلمات القرآنية تُبيّن خبث أقوالهم: ﴿يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾[المنافقون: 7]،﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[المنافقون: 2]،﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾[المنافقون: 8]، ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾، ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [الأحزاب: 19]،

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾[التوبة: 67]، ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ [القلم: 12]، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة: 205] ، "وَقد مَاتَ فِي حصار المدينة أَبُو سِنَانِ بْنُ مِحْصَنِ بْنِ حُرْثَانَ الْأَسَدِيُّ، أَخُو عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ"[1].

5- السخرية من المؤمنين والاستهزاء بهم، قال ﷻ عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[البقرة: 13]، ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾[التوبة: 50].

6- إظهار الإيمان وإبطان الكفر والولاء لعدوهم، ومخادعة الخالق ﷻ والمؤمنين، والتجسُّس على المجاهدين، كحال العملاء والخونة في هذه الأيام، الذين يُراقبون المجاهدين، ويتلصصون عليهم، ثم يُسلمونهم كلقمة سائغة للعدو، تأمَّل: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[آل عمران: 167]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة: 9]، ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ﴾ [الأحزاب: 20].

7- التغطية على نفاقهم بزعمهم المشاركة في القتال، ودقّة الألفاظ تخبرك بفساد نيّاتهم: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾[التوبة: 46]،﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الأحزاب: 18]، ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾[الأحزاب: 20].

8- المسارعة في إذاعة الفتنة وإجابتها والتفاعل معها[2]، ونشر الإشاعات والأكاذيب، والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة، منها: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴾[الأحزاب: 14]، ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾[التوبة: 47]، ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[الأحزاب: 19]، ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ ﴾[التوبة: 48].

وإذا بالآيات القرآنية تفضحهم وتُعرّي غشهم وتستُّرهم بالإسلام، قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[المنافقون: 1]،﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾[المنافقون: 5]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[المنافقون: 7]، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾[البقرة:

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (143/14) بتصرّف يسير.

(2) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير (283/21)، والزحيلي: التفسير المنير (268/21)،

9]، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾[آل عمران: 167]، ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾[التوبة: 46]، ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾[التوبة: 47]، ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة: 8]، ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾[البقرة: 10]، ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: 12].

وهذا جزءٌ صغيرٌ من فضائحهم، وسمومهم أكثر من أن تُحصى، فإنَّ لهم طرقًا وأساليبًا خبيثة تتجدّد بتجدُّد الحاجة، إضافة إلى تحريش الشيطان وإغوائه الذي لا يتوقّف.

أهمية معرفة خطط الأعداء.

وفي هذا المنهج القرآني والسنة النبوية فهمٌ لكثيرٍ من طرق تفكير اليهود والمنافقين في سُبل إيذائهم للمسلمين، وفي هذا فوائد عظيمة منها:

1- معرفة أساليب التعامل معهم بالطرق المناسبة والإدارة القوية، ثم الحزم والحسم، قال الله ﷻ: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[المنافقون:4]، وقال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ ﴾[النساء: 45].

2- " قلة معرفة العدو من أكبر الثغرات التي يؤتى المسلمون من قبلها، فهم ينطلقون من خلال آيات التوكل العامة، ويجهلون عدوهم، وقوته، وتخطيطه، وليس هذا هو المنهج الإسلامي الصحيح...، ورغم أن رسول الله ﷺ إمام المتوكّلين في الأرض، فما كان ليخوض معركةً أو يُقاتل عدوًا إلا والمعلومات عنده كاملة عنه"[1]، فقد كان يُرسِل من يأتيه بالأخبار، ويجمعُ المعلومات، حتى يأخذ بالأسباب ثم يتوكّل على ربّ الأرباب، وعلى هذا سار قادة المسلمين العظماء عبر التاريخ الإسلامي.

3- تطعيم المؤمنين ضد أساليبهم لاختيار العلاج المناسب، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: 173]، فالنتيجة عكسية، فلقد أراد الأعداء إرهاب المؤمنين نفسيًا، فجعل المؤمنون

(1) منير الغضبان: التربية الجماعية (2/523-524).

هذه الحرب لصالحهم بعلاج التوكّل على الخالق ﷻ، فمن توكّل عليه هداه وحماه وكفاه، ولم يكله إلى نفسه[1].

4- حشد الصفوف وجمع الكلمة، لأنَّ التفرق والتنازع أصلٌ من أصول الهزيمة والفشل، قال ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 152]، وقال النبي ﷺ: « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»، أي: بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها[2].

المطلب الثاني: الجوانب الإدارية في القرآن الكريم وعلاقتها بإدارة الحصار.

يمكن تكوين إدارة ناجحة لإدارة الحصار والأزمات من خلال الأمور التالية:

أولاً: تشخيص المشكلة والبحث عن الحلول.

إنَّ سوء فهم الواقع وعدم النجاح في تشخيص المشكلة يضاعف الخلل، ويعمي عن الحلول، والمسلمون اليوم في محنة شديدة؛ بسبب سوء فهمهم لأسباب التأخر عن السيادة والعجز عن النصر، وهذا الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ﷺ كان يسأل النبي ﷺ عن الشر حتى لا يقع فيه فيقول: « كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[3]، وإنَّ من أهم أسباب النجاة من الشرور واجتناب السلبيات أن تعترف الأمة اليوم بعلامات الضعف لتعمل على سد الخلل والنقص وجبر الكسر.

وهذا فاروق الأمة عمر ﷺ زار بلدة من بلدان المسلمين فرأى أكثر الصناعات الاقتصادية في يد غير المسلمين، فعنّفهم أشد التعنيف!، فقالوا كما يقول بعض أغنياء المسلمين: لقد سخرهم الله لنا!، فقال ﷺ كلمة قد لا تصدقون أنه أدرك الحقيقة التي ستعيشها الأمة بعد ألف وأربعمائة عام، فقال: كيف بكم إذا أصبحتم عبيداً عندهم؟.

---

(1) انظر: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي: روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) (271/1).

(2) مسلم: صحيح مسلم، شرح محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب: صفة يوم القيامة والجنة والنار، بَابُ: تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا (ح2812)، (2166/4)

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الفتن، بَابٌ: كَيْفَ الأَمْرُ إِذَا لَمْ تَكُنْ جَمَاعَةٌ (ح7084)، (51/9).
ومسلم: صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، بَابُ: الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر (ح1847)، (1475/3).

ثانياً: وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

ويتمّ هذا من خلال تقديم الكفاءات ووضعها في مكانها الصحيح: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾ [يوسف: 55]، وقال ﷻ حكاية عن ابنة شعيب عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [القصص: 26]، ويُمكِن أن يُقدّم غير المسلم إن كان على كفاءة عالية، وإن كان في مكانه إصلاحٌ للخلل وقوة في الإدارة، مع العمل على صناعة الكوادر العاملة الناجحة من المسلمين لأنَّ المسلم أحمل للأمانة وأوثق، والنبي ﷺ استعان بابن أريقط في الهجرة رغم كفره، لكن النبي ﷺ وصاحبه وثقا به فاستأجراه ليدلهما على الطريق إلى المدينة[1].

ولو نظرنا إلى الدول المتقدّمة صناعيًا وتكنولوجيًا نجد أنها نجحت اليوم لأنّها تُطبّق ما تركه المسلمون من دروس القرآن الإدارية، فهي تُقدّم آراء ومقترحات ذوي الخبرة والمنصب العلمي على أي بعدٍ آخر، وإنَّ على الحاكم أن يحترم الخبرات وأن يُقدّمها وألّا يُقدّم رأيه الشخصي أو رأي حكومته طالما هناك علماء مختصّون يبحثون ويدرسون ويضعون الخطط، وإلا فإن الدول ما وصلت إلا بالعقول العاملة والإدارة الناجحة، وهذا أيضًا منهج القرآن ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴾ [الكهف: 95]، فذو القرنين عنده الخبرة السليمة والإدارة الصحيحة ويحتاجُ فقط للأيدي العاملة، وهي متوفّرة بكثرة، وتنتظر الأوامر للعمل والإصلاح، وما تأخرت دولنا العربية إلا بسبب التسلّط الإداري والغير مُبرّر، وتقديم غير الكفاءات، ثمَّ بسبب المؤامرات والتدخلات الخارجية.

خطر توسيد الأمر إلى غير أهله.

يُعدُّ توكيلُ الأمر ـ من الوظائف والمهام ـ إلى غير أهله من ذوي الخبرة والتخصص فسادًا إداريًّا، وقد مرَّ في التاريخ كيف سقطت بغداد الأولى بسبب هذا الأمر، ورأينا كيف تولّى المناصب العليا في بلاد المسلمين ممّن يفتقر إلى الكفاءات والتقوى، ووصل الكثير بنفوذ القرابة والرشوة والواسطة وقلة الأمانة، ممّا دمّر بلاد المسلمين، وهذا ما حذّرنا منه القرآن الكريم، ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: 72]، "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا

(1) انظر: النمري، الحافظ يوسف بن البر: الدرر في اختصار المغازي والسير (79/1).
وانظر: صفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم (150/1).

ٱلْأَمَانَةَ﴾: الطَّاعَةَ عَرْضَهَا عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْرِضَهَا عَلَى آدَمَ، فَلَمْ تَطِقْهَا، فَقَالَ لِآدَمَ: يَا آدَمُ إِنِّي قَدْ عَرَضْتُ الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، فَلَمْ تَطِقْهَا، فَهَلْ أَنْتَ آخِذُهَا بِمَا فِيهَا؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ: وَمَا فِيهَا؟ قَالَ: إِنْ أَحْسَنْتَ جُزِيتَ، وَإِنْ أَسَأْتَ عُوقِبْتَ، فَأَخَذَهَا آدَمُ فَتَحَمَّلَهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾"[1].

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال: 27]، "فكل رجل مؤتمن على ما فرض الله عليه، إن شاء أدَّاها، وإن شاء خانها، وقال القتبي: الخيانة أن يؤتمن على شيء فلا يؤدي إليه، ثم سمّى العاصي من المسلمين خائناً، لأنه قد ائتمن على دينه فخان"[2].

وفي قصة موسى مع شعيب "عليهما السلام" قالت ابنة شعيب حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [القصص: 26]، وتضييع الأمانة بتوسيد الأمر لغير أهله طامّة كبرى حذَّرنا منها النبيُّ ﷺ، ففي الحديث: « بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ – أُرَاهُ – السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[3]، وفي حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[4]، فالأمر ليس هيّنًا وإنما يتعلّق بصلاح وخراب المجتمعات المسلمة، وإذا رأيتم المراكز تُباع وتشترى وتهدى، وأصحاب الكفاءات يُؤخَّرون، ولا يجلس في مراكز القيادة إلا الجهلة والفارغون والضعفاء، فاعلموا أنَّ نصر الأمة في هذه الظروف مستحيل، ولن يتأتى إلا بعد تعديل الأمور في نصابها، وتسليم الأمر لأهله ممن يجمعُ بين عُمقِ العلم، وصلاح العمل، ونقاء الضمير، وحسن السيرة، والقوة على حمل الأمانة[5].

---

(1) الطبري: جامع البيان (198/19).

(2) السمرقندي: بحر العلوم (16/2) بتصرّف يسير.

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: العلم، بَابُ: مَنْ سُئِلَ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَغِلٌ فِي حَدِيثِهِ، فَأَتَمَّ الحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ (ح59)، (21/1).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، بَابُ: كَرَاهَةِ الْإِمَارَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ (ح1825)، (1457/3).

(5) انظر: راغب السرجاني: التتار (384،385).

ثالثاً: المبادرة في إقامة المشاريع التي يتعدّى نفعها إلى الغير.

والتي تقوم على تبادل المنفعة أو نفع الآخرين وخاصةً في وقت الضيق والحصار والأزمة، وهذا من محاسن إسلامنا الذي دعانا إلى التكافل الاجتماعي، وإغاثة الملهوف، وإغناء الفقير، ومساعدة المحتاج، ولقد ألمحَ لنا القرآن الكريم إلى شيءٍ من هذه القيم، وأعطانا مفاتيح، فمثلاً: في قصة شعيب وموسى عليهما السلام نستمع إلى الحوار بينهما: قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴾ [القصص: 27 – 28]، فبنود هذا الاتفاق تُبيّنُ أن شعيب عليه السلام محتاجٌ إلى رجلٍ قوي أمين حسب الصفات التي ذكرتها إحدى ابنتيه في القصة، وموسى عليه السلام كان في ريعان شبابه، ويحتاج إلى زوجة تؤنس وحشته ويسكن كل منهما إلى الآخر لتصلح بذلك حياتهما، فهذا الاتفاق على الخير يتعدّى نفعه إلى موسى وشعيب ـ عليهما السلام ـ، وإلى ابنة شعيب التي انتفعت بنعمة الزوج الصالح.

وفي قصة الملك الصالح ذي القرنين حيث قام بمشروعٍ تعدّى نفعُه إلى هؤلاء القوم المضطهدين الذين يتعرّضون للظلم والإفساد من قبل يأجوج ومأجوج، ونستلهمُ منه دروساً في المُبادرة وعدم انتظار الأجر أو المقابل إذا كان الإنسان يسعى للخير وتفريج الكربات، والحوار بين ذي القرنين وهؤلاء القوم الضعفاء أسفرَ عن مُبادرة ذي القرنين لمُساعدتهم في مُحاصَرة الشر، وردّ ظلم يأجوج ومأجوج الذين كانوا يفسدون في الأرض ويؤذون الآمنين، قال الله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴾ [الكهف: 93–96].

رابعاً: المسارعة إلى فعل الخير وعدم انتظار المقابل.

وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة على ذلك منها: موقف موسى عليه السلام عندما بادر لرفع الصخرة عن البئر وسقى لابنتي شعيب عليه السلام ولم ينتظر الأجر ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى

ٱلظِّلِّ ﴾ [القصص: 24]، وفي قصة الهدهد عندما نقل خبر قوم بلقيس لسليمان عليه السلام، فهو سارع لخدمة دينه﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[النمل: 22-24] ، وفي قصة الخضر عليه السلام عندما بادر إلى بناء الجدار المتصدّع صيانة لمال اليتيمين ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: 77].

وفي السيرة النبوية مواقف جمَّة كمبادرة عثمان بن عفّان رضي الله عنه عندما اشترى بئر رومة وجعلها صدقة ليشرب الناس، فعمَّ الخير والنفع كل الناس من المسلمين وغيرهم، وكان الصحابي من الأنصار يأتيه أخوه من المهاجرين، فيبادر ويعرض عليه ماله، ويُخيّره في أن يختار إحدى نسائه ليُطلّقها ويتزوجها أخوه المهاجر، ولا تفعلُ هذا إلا النفوس الكبيرة التي تحب الخير وتسارعُ إليه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: 133]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: 9].

المطلب الثالث: التوجيه القرآني الإداري للتعامل مع الحصار ونظائره.

إنَّ دُرر القرآن بمثابة اللآلىء التي تَسكنُ الصَّدف، ولن نستخرج هذا اللؤلؤ إلا إذا فتحنا هذه الأصداف، وعندئذٍ تشعُّ لنا أنواره وقبساته، ويغمرنا هذا الفيض ويتكشّف لنا من علمٍ وخُلقٍ، وعملٍ ودعوة، وحركةٍ وإصلاح[1].

وإنَّ المتأمِّل في آيات سورة الأحزاب التي تحدّثت عن معركة المسلمين مع الأحزاب، والشدّة واللأواء التي أصابت المسلمين؛ ليدرك أنَّ الأمة بحاجة إلى الوقوف على الدروس والتوجيهات القرآنية الفذَة، حتّى تستطيع أن تتعامل إداريًا وواقعيًا مع الحصار لمواجهته ومحاولة كسر مخالبه أو اقتلاعها، وقد مرَّ في السيرة العطرة مشاركة اليهود ودورهم الخبيث في حصار المدينة النبوية، والتخطيط للانتقام من المسلمين، فألّبوا القبائل العربية وحرضوها، فوافقت قريش

(1) انظر: سورة الكهف منهجيات الإصلاح والتغيير (ص:15).

لشعورها بمرارة الحصار الاقتصادي الذي يضربه عليها المسلمون، ووافقت غطفان طمعاً في خيرات المدينة، وتابعتهم قبائل أخرى[1].

ولمَّا كان حصارُ المدينة حدثًا جللًا في تاريخ الإسلام، فقد كشف خُطط الأعداء وأخطارهم، وفضح المنافقين، ونبّه المسلمين إلى أهمية العمل والاستعداد في كافة المجالات، لذلك سنقف مع هذا الحصار علّنا نستلهم منه الدروس المهمة التي تُسعفنا لنهدم أسوار الحصار التي أحاطت بمعصم الأمة اليوم، ولن أسرد الأحداث التفصيلية بقدر ما سأركز على الدروس الإدارية المهمة بعون الله تعالى، قال الله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴾ [الأحزاب: 9-11]، "فالمسلمون مُعرَّضون لأن يغزوا في عقر دارهم وفي عواصم بلدانهم، ومُعرَّضون لأن يتكالب عليهم الأعداء جميعًا، فإن يُسجّل القرآن حادثتي الأحزاب وقريظة فذلك من سمة التكرار على مدى العصور"[2] لكي يستفيد المسلمون من هذه الدروس ماديًا ومعنويًا، والذي يتدبّر حديث القرآن عن غزوة الأحزاب يدرك ملامح هذا التوجيه الإداري في المحطات الآتية:

1- الإدارة التعبدية والروحية.

وهذه مهمتها تذكير الناس بربهم والتوجه إلى الله ﷻ، والإكثار من الدعاء، كحال النبي ﷺ يوم بدر والخندق، فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن أبي أوفى قال: « دَعَا رسول الله ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ عَلَى المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»[3]، فاستجاب الله ﷻ دعاءه وجاء الفرج وانهزم العدو بجنود الله التي اقتلعت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، وقلبت قدورهم، حتى أرسل عليهم الرعب، وجالت الخيول بعضها في بعض[4]، وهنا تبرز مهمة القائد والعالم والإمام في الأزمات بضرورة شحن الجماهير إيمانيًا وربطهم بالله ﷻ، وعدم إغفال دور الدعاء والقنوت، قال الله ﷻ: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[غافر: 14]، وقال الله ﷻ: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ

(1) الصلابي: السيرة النبوية (258/2).

(2) انظر: سعيد حوى: الأساس في التفسير (662/2).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: الدُّعَاءِ عَلَى المُشْرِكِينَ بِالهَزِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ (ح2933)، (44/4).

(4) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (144/14)، والصلابي: السيرة النبوية (273/2).

ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[الأعراف: 56]، وقال الله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾[الأحزاب: 9]، فنجد الهدف الرئيس من هذا "التصوير البديع لما أصاب المسلمين من همٍّ بسبب إحاطة الأحزاب للمدينة"[1] هو ربط هذه القلوب المؤمنة بالله ﷻ، الذي أرسل الريح والجنود، فهزم الأحزاب وحده، وتبقى القلوب على اتّصال دائم بربها، ولا تفزع إلاّ إليه، وهذا حال النبي ﷺ في حياته كلها، "وبذلك تنقطع القلوب من الاعتماد على الأسباب وتتصل برب الأرباب"[2]، لكنَّ هذا لا يتناقض مع سنة الأخذ بالأسباب لفك الحصار وتفريق الأحزاب، وتهيئة المؤمنين نفسياً لمواجهة الابتلاء وغرس الصبر في نفوسهم ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب: 22].

2- **الإدارة العلمية.**

لا بدَّ للقائد من احتواء الأفكار الجديدة التي تظهر والاستفادة من الطاقات الكامنة والشابَّة قدر الإمكان، فقبل غزوة الخندق أدلى سلمان الفارسي ﷺ برأيه الذي أعجب النبي ﷺ، وتمثّل في حفر الخندق، قال سلمان: يا رسول الله، إنَّا إذا كُنَّا بأرض فارس وتخوفنا الخيل، خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن تخندق؟ فأعجب رأي سلمان المسلمين، وتم تحديد المكان الذي يُعتبر ثغرة أمنية وعسكرية مكشوفة شمال المدينة، وبذلك يكون النبي ﷺ هو أول من استعمل الخندق في الحرب في تاريخ العرب والمسلمين، وفاجأ بذلك الأحزاب وأفشل مخططاتهم، وأظهر مستوى السرّية وسرعة الإنجاز، وتشتيت قوة العدو[3]، وكذلك استفاد النبي ﷺ من الخبرة العلمية في التخطيط عند الحباب بن المنذر ﷺ يوم بدر ولم يغفلها أو يعطّلها، فهدم كل آبار الماء القريبة من العدو وأبقى الماء خلف المسلمين ليقطع الإمداد عن المشركين، وامتدح الله ﷻ أهل العلم النافع فقال: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[المجادلة: 11]، وقال ﷻ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت: 43].

---

(1) الصلابي: السيرة النبوية (276/2).

(2) منير الغضبان: التربية الجهادية (187/2). وانظر: فقه السيرة للبوطي (ص:222).

(3) انظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي: المغازي (444/2). وانظر: الصلابي: مرجع سبق ذكره (260/2). وانظر: مصطفى السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر (ص:109).

3- الإدارة القيادية.

وتتمثل في القائد القدوة الذي يكون مع المجاهدين في الميدان، ويشعر بألم الجماهير، ويعيشُ بينهم، فإن جاعوا يجوع قبلهم، فالنبي ﷺ كان نعم القدوة فكان يربط حجرًا على بطنه من شدة الجوع، وكذلك كان أصحابه من بعده، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: 21]، وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: غَلَا الطَّعَامُ بِالْمَدِينَةِ فَجَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْكُلُ الشَّعِيرَ، فَجَعَلَ بَطْنُهُ يُصَوِّتُ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى بَطْنِهِ وَقَالَ: «وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا مَا تَرَى حَتَّى يُوَسِّعَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ»[1].

ومن القبسات الإدارية ألا يتسلّط القائد في قراراته؛ بل لا بد من الشورى، قال الله ﷻ: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[آل عمران: 159]، وقال ﷻ:﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأنبياء: 7]، فهذا النبي ﷺ يقبل رأي أصحابه الخبيرين بالشؤون العسكرية، والآراء الحسنة التي تخدم المصلحة العامة، وصارت هذه سنة تناقلها كل قادة المسلمين في معاركهم وكافّة شئون حياتهم[2].

4- الإدارة الأمنية.

"كان جهاز أمن الدولة الإسلامية على حذر تام من أعدائه، لذا فقد كان يتتبع أخبار الأحزاب ويرصد تحركاتهم، ويتابع حركة الوفد اليهودي منذ خرج من خيبر باتجاه مكة، وكان على علم تام بما جرى بينهم وبين قريش، وبينهم وبين غطفان، وبعد جمع المعلومات دعا النبي ﷺ كبار قادة جيش المسلمين إلى اجتماع لبحث الموقف الخطير"[3]، ولم يكونوا يغفلون الدور الأسود الذي يلعبه خفافيش الظلام من المنافقين، الذين طالما حذّر القرآن منهم، قال الله ﷻ: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ

---

(1) أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، تاريخ المدينة لابن شبة (742/2).

(2) انظر: مصطفى السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر (ص106-107).

(3) الصلابي: السيرة النبوية (259/2).

لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الأحزاب:18-20].

وفي قصة سليمان عليه السلام برز إجراء أمني احترازي، إذ أمر الهدهد أن يذهب بالكتاب ويراقب ﴿ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [النمل: 28]، وفيها دروس أمنية مهمة، انظر ماذا يُخطط لك الآخرون لتحسن التصرف، وراقب تحركاتهم وأفعالهم، كفعل حذيفة رضي الله عنه في الخندق، والحذر من المنافقين والتيقّظ الدائم لمكرهم ومحاولات انقضاضهم وغدرهم، واختبار من يشك القائد في بعض تصرفاته، قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ [النساء: 71]، وقال عز وجل: ﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [النساء: 102]

5- الإدارة العسكرية.

والتي ظهرت من خلال الحزم والقوة مع العدو، والتأهُّب الدائم للمواجهة ولرصد أي تحرك أو هجوم مباغت للعدو، قال الله عز وجل: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: 23].

وفي أحداث حصار الأحزاب للمدينة خرج بعض فرسان الأعداء بقيادة عمرو بن ود وتيمَّموا ثغرًا فاقتحموا منه بخيلهم، فجاءت فرسان المسلمين وحدث نزالٌ بين عمرو بن ود وفارس المسلمين على بن أبي طالب رضي الله عنه، فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة، وتبرز الإدارة العسكرية من خلال وجود القيادة النبوية أثناء الحصار ومتابعته للميدان، وفي حفر المسلمين للخندق توجيهٌ لأن" يُطَوّر المسلمون أساليبهم في مواجهة عدوهم، بحيث تكون مكافئة لها بل سابقة عليها، وهي قضية خطيرة يجب أن يعيها المسلمون تمام الوعي، والاستفادة من الخبرات، والطاقات الكامنة هي السبيل المناسب لذلك"[1].

ورأينا كيف استطاعت المقاومة أن تمرّغ أنف العدو الصهيوني وأن تهزمه ـ بفضل الله عز وجل ـ عندما أداروا المعركة العسكرية بصورة رائعة لمّا أخذوا بأسباب النصر، وحفروا الأنفاق تأسّيًا بالنبي ﷺ، وخرجوا للعدو في قواعده العسكرية وخلف خطوطه، مما أربك إدارة العدو وقيادته ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا﴾[الأحزاب: 26]،

(1) منير الغضبان: فقه السيرة النبوية (ص:321).

وكانت صواريخ المجاهدين تدبّ الرعب في قلوب العدو، حتى صارت مدن الداخل المحتل خالية الشوارع بسبب الخوف.

6- الإدارة الاجتماعية.

كان النبي ﷺ يدرك حاجة الصحابة ويقدّر مصالحهم وحوائجهم، ودليلُ ذلك أنَّ" الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بدَّ منها، يذكرُ ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللحوق بحاجته فيأذنُ له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبة في الخير واحتسابًا له، فأنزل الله ﷻ في أولئك من المؤمنين"[1]: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 62]، ويشهد لذلك أن جابر ﷺ استأذن النبي ﷺ لحاجة له فأذن له النبي ﷺ، وفي هذا رسالة للقيادة الفذّة أن تهتم بتحصين المجتمع بالالتفات لمشاكل الشباب والفقراء والمقبلين على الزواج، ومراعاة ظروف المجاهدين.

7- الإدارة الاقتصادية.

من خلال محاولة التخفيف عن الصحابة ودفع الجوع عنهم، فقد ساهم جابر ﷺ في تخفيف الجوع عن الصحابة المجاهدين، والقصة بطولها في صحيح البخاري، فلما استعان النبي بربه ﷻ أظهر له معجزة البركة في الطعام، فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: «كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ»[2]، وفي قصة يوسف عليه السلام منهجيات واضحة المعالم في كيفية التعامل مع الأزمة الاقتصادية، وسبل التغلّب عليها[3]، ونحنُ في أزماتنا المعاصرة لا بدَّ أن نتعلم فنون الإدارة الاقتصادية وعقد ورشات العمل وتركيز الخطب والدروس في أهمية التوفير والاقتصاد وعدم الإسراف في الموارد، وتقنين استخدام الكهرباء والماء والطعام وغيره.

---

(1) عبد السلام محمد هارون: تهذيب سيرة ابن هشام (ص:172).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المغازي، بَابُ: غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ (ح4101)، (108/5).

(3) انظر: نايف قرموط: الإدارة في سورة يوسف (ص:213-217).

8- الإدارة العملية.

من خلال وجود القائد في الميدان كما كان يفعل النبي ﷺ من خلال مساعدته للصحابة ﷺ وتوجيههم، فقد كان النبي ﷺ يبادر بالعمل ويساعد أصحابه ويضرب الصخور بالمعول، وينقل التراب[1]، "وكانت الخندق فعلًا نهاية ليلٍ طويل ومحنةٍ قاسية، امتدَّت ما ينوف عن سنتين، كان المسلمون فيها في محن متتابعة، وطمعت العرب بهم بعد أحد، إلى أن آذن الله ﷻ بانتهاء هذه المرحلة، حيث بلغت المحنة قمَّتها بعشرة آلاف من الآحزاب، للبدء بمرحلة جديدة حدَّدها ﷺ حِينَ أَجْلَى الأَحْزَابَ عَنْهُ: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»[2]، وأخذ زمام المبادرة لغزو المشركين، في عقائدهم قبل غزوهم في أجسادهم، والانتقال من الدفاع إلى الهجوم"[3] ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:25- 27].

إنَّ حرب الأعداء على دين الله وحصار أتباعه برز منذ فجّ التاريخ، ومرّ المسلمون بسلاسل متواصلة من الحصار والتضييق من شتى الملل والنِحل، فلقد عانت العراق والشام وفلسطين وغيرها من حصار الكفرة وأعوانهم، وممَّا سجله التاريخ من أحداثٍ تشبه ظروف غزة، مدينة ميافارقين[4]، وكانت مدينة حصينة حيّرت هولاكو، ودخلت جيوش التتار الهائلة المدينة بعد حصار بشع استمر عاماً ونصف، لم يستسلم أهلها وإنما صبروا وجاهدوا، دون أن تتحرك نخوة في قلب أمير من الأمراء أو ملك من الملوك، واكتفت الأسماء والألقاب الضخمة بمراقبة الموقف ولم يتحركوا، حتى ألقى التتار القبض على قائد جند المسلمين البطل الكامل محمد الأيوبي وأذاقوه الويل وقطَّعوا جسده قطعةً قطعة حتى لقيَ ربه ﷻ مقبلاً غير مدبر، ثابتًا على وَقفية أرض المسلمين[5].

---

(1) انظر: محّمد سَعيد رَمضان البوطي: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص:213).
وانظر: عبد السلام محمد هارون: تهذيب سيرة ابن هشام (ص:172).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المغازي، بَابُ: غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ (ح4110)، (110/5).

(3) البوطي: فقه السيرة النبوية (ص: 326) بتصرّف يسير.

(4) ميافارقين: مدينة قديمة، تقع الآن في شرق تركيا إلى الغرب من بحيرة "وان"، أي بين سلسلة جبال البحر الأسود في شمال شرق ديار بكر، بين دجلة والفرات. انظر: السرجاني: التتار (ص:174).

(5) انظر: السرجاني: التتار (ص:174).

المبحث الثاني

كيفية التعامل مع العدو في الحصار

إنَّ الحكمة تقتضي اختيار الأسلوب المناسب في التعامل مع العدو حسب الظروف والأحداث، فأحيانًا لا بدّ من أسلوب الحوار وعدم الاندفاع، وأحيانًا لا بدَّ من الحزم والحسم، وأحيانًا قد يضطر المسلمون للتعامل مع العدو عبر وسطاء للوصول إلى مصلحة المحاصرين، ويتّضح هذا أكثر في المطالب التالية:

المطلب الأول: أسلوب الحوار مع العدو.

شغلت الهزيمة النفسية حيّزًا كبيرًا في نفوس البعض ممَّن تولّى توجيه الأمة سياسيًا وفكريًا، فعمد إلى الاستدلال بصلح الحديبية كدليلٍ شرعي يُسلِّم به أرض فلسطين لليهود، وبذل مال المسلمين لتقوية شوكتهم فيها، ولا بدَّ من مكافحة هذا الغزو الفكري والثقافي لضراوة خطره، ولبقاء قوة الأمة ومجابهتها لعدوها حتى يأذن المولى بالفرج، وذلك من خلال توضيح بعض المفاهيم المهمة:

1. لا بدَّ من فهم الظروف التي أحاطت بالمسلمين قبل صلح الحديبية، من حيثُ بيان مكانة مكة في قلوب المسلمين وفي محط أنظار النبي ﷺ وأصحابه لدورها الريادي في قلوب المسلمين، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: 96].

2. تقلقل المكانة العسكرية لقريش بعد غزوة الأحزاب، وبالذات بعد تفكك التواجد اليهودي في المدينة، ففرض المسلمون واقعًا جديدًا لا يمكن أن يغفله الأعداء فصاروا ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: 29].

3. في خروج النبي ﷺ للعمرة فرض على العدو أن يعترف بشرعية الإسلام ومكانته، وأنَّ له الحق كبقية القبائل في زيارة مكة، وهذا ساعد على انتشار الإسلام، وبالتالي إضعاف قريش أكثر لأنها وُضِعت أمام خيارين: إما أن ترد النبي ﷺ وأصحابه فتخسر مكانتها الأدبية والاجتماعية؛ بسبب صدهم هؤلاء عن البيت الحرام، وإما أن يقبلوا دخولهم فتهتزّ مكانتهم العسكرية لأنهم سيُعيّرون بعدم قدرتهم على ردّ جحافل التوحيد.

4. هناك فرق كبير بين هدنة صلح الحديبية وصلح بعض الدول اليوم مع اليهود المغتصبين، فصلح هؤلاء اليوم هو استسلام وإقرار للمغتصب باغتصابه، وتمكين له، وتطبيع سياسي كامل معه، ورضى ببقاء آلاف المعتقلين في سجون العدو، واستمرار المداهمات والقتل ونسف البيوت في فلسطين، ومصادرة الأملاك، وهذا كله ليس صلحاً ولكنه استسلام وخيانة وتفريط في حق

الأمة[1]، وربنا ﷻ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27]، وبلاد المسلمين وحقوقهم جزء من هذه الأمانة، وهي اليوم في أعناق الحكام والساسة، وعليهم أن يحفظوها ويعيدوها إلى مكانتها الحقيقية.

5. " تمثل السيرة النبوية والسنة القولية والفعلية للرسول ﷺ مصدرًا مهمًا لفهم التشريع الإسلامي على مستوى العلاقات الاجتماعية والسياسية، وبخاصة عند تحديد كيفية التعامل مع الأعداء"[2]، لأنَّه من عند الله ﷻ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[النجم: 3 – 4].

6. من الأهمية بمكان "التركيز على الغاية والهدف القريب والبعيد من الهدنة، وعدم إعطاء أهمية قصوى للأمور الشكلية على حساب المصلحة الجوهرية للطرف المسلم"[3]، قال ﷻ: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال: 61].

7. إنَّ" الدراسة المتأنية في شروط الصلح الذي تم بين رسول الله ﷺ وقريش ترشد إلى أمور ينبغي الأخذ بها عندما يواجه المسلمون حالات من عقد صلح أو معاهدات مع أعداء الأمة"[4]، وإنَّ "الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلَ الْبِدَعِ وَالْفُجُورِ وَالْبُغَاةِ وَالظَّلَمَةِ إذَا طَلَبُوا أَمْرًا يُعَظِّمُونَ فِيهِ حُرْمَةً مِنْ حُرُمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، أُجِيبُوا إلَيْهِ وَأُعْطُوهُ وَأُعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ مَنَعُوا غَيْرَهُ فَيُعَاوَنُونَ عَلَى مَا فِيهِ تَعْظِيمُ حُرُمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا عَلَى كُفْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، وَيُمْنَعُونَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ"[5].

8. يجوز لشعبنا أن يحاور العقلاء من الغرب لإثبات عدالة قضية الشعب الفلسطيني، وقد حاور النبي ﷺ معارضيه لإثبات صدق دعوته، وهذا الأسلوب أثبت نجاحه في كثير من القضايا الإسلامية، قال الله ﷻ:﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران: 64]، فإنَّ الحوار معهم

---

(1) انظر: المنتدى الإسلامي: مجلة البيان (8/87)، وانظر: البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب (ح/2731، 2732).

(2) المنتدى الإسلامي: مرجع سبق ذكره، نفس الصفحة. وأبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري (396/5)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري.

(3) المنتدى الإسلامي: مرجع سبق ذكره (14/87).

(4) المرجع السابق (14/88).

(5) ابن قيّم الجوزية: زاد المعاد (269/3).

يستنفر تعاطفهم وتأييدهم وبالتالي يستجلب الدعم السياسي لكسر الحصار والظلم عن شعبنا، وتعتبر هذه الخطوة من الأخذ بالأسباب الذي أُمِرنا به[1].

" ولهذا: لا يجوز الصلح مع الأعداء إذا لم يكن فيه تطلع إلى وضع أفضل للدعوة أو الأمة... وإن من أهم الأمور التي ينبغي الانتباه إليها عند الرغبة في تحقيق هدنة أو صلح لخدمة الأهداف الاستراتيجية للأمة: إشعار الخصم بالقوة والاستعداد والحيطة بقصد إضعاف الجانب النفسي لدى العدو، وهذا من مقاصد ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال: 60]، فشعور العدو بالتفوق والقدرة على تملك زمام الأمور يجعل الصلح يخدم مصلحته...إن الصلح مع العدو إن لم يقترن بالقوة الحامية له ويخدم مصالح الأمة القريبة والبعيدة فإنه صلح محرم شرعًا، وليس له إلزام"[2]، وإنْ قُدِر وصار تفاوض مع أيّ عدوٍ غير مغتصب لأرض وحقوق، فلا بدَّ أن يكون المفاوض شامخًا معتزًّا بدينه، ولا يُفاوض من موقفٍ ضعيف، بل يمسكُ بإحدى يديه قلمه ليُشرّط على العدو، وباليد الأخرى سلاحه المشرع خوف غدرٍ أو خديعة، وهنا تبرز أهمية منهجية ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[النساء: 71]، فطالما غدر الأعداء بالمسلمين بعد أن أظهروا لهم المسكنة والود، ومن ذلك ما فعله التتار بقيادة هولاكو مع الخليفة العبّاسي المعتصم، فبعد المفاوضات السرية التي دارت بينهما وتمخّضت بتنازل المعتصم وبقائه في منصبه في الظاهر، إلا أنَّه رغم إعطاء التتار كل ما أرادوا لكنهم غدروا به وقتلوه قتلة شنيعة بعد أن ذبحوا أولاده وخرّبوا بلاده[3].

وقفة مع قوله ﷻ: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾[الأنفال: 61].

"لا مانع من مهادنة الكفار عند الحاجة، إذا احتاج المسلمون لمهادنتهم لكون المسلمين لا يقدرون على قتالهم ويخشى على المسلمين من شرهم، لا بأس بالمهادنة إلى أن يقوى المسلمون على قتالهم أو إذا طلبوا هم المهادنة ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾[الأنفال: 61] فيهادنون، لكن ليس هدنة دائمة، إنما هدنة مؤقتة مؤجلة إلى أجل حسب رأي إمام المسلمين، لما فيه من المصلحة"[4].

---

(1) انظر: رمضان الزيان: الأساليب النبوية والعصرية في فك الحصار عن الدعوة الإسلامية (ص:517-518).

(2) المنتدى الإسلامي: مجلة البيان (8/87) بتصرف يسير.

(3) انظر: السرجاني: التتار (154-157).

(4) الفوزان: عبد الرحمن بن ناصر البراك: شرح الأصول الثلاثة (للإمام محمد بن عبد الوهاب) (67/1).

وجاء في تفسير الطبري: "القول في تأويل قوله: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[الأنفال: 61]، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإما تخافنّ من قوم خيانة وغدرًا، فانبذ إليهم على سواء وآذنهم بالحرب﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا ﴾، وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحربَ، إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادعة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح ﴿فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ ، يقول: فمل إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه"[1].

المطلب الثاني: أسلوب الرسائل والسفراء.

هذا الأسلوب له مكانته في مرحلة الحصار العصيبة، حيث أنّ المحاصرين يحتاجون إلى كل جهد، ولن تصل التفاصيل الدقيقة للعالم عن أحوالهم إلا من خلال السفراء والرسل الذين يذهبون إلى كل البلاد ويتواصلون مع أصحاب القرار في كل بلد، ويُلخّص الباحث هذا الموضوع في المنهجيات التالية:

أولاً: منهجية التنظير الخارجي.

لا بدَّ أن يسلك العاملون لنصرة قضاياهم كل السبل، وألا يغفلوا دور العمل الخارجي والتنظير لقضايا المحاصرين ومشاكلهم، وإرسال سفراء أذكياء على الدوام؛ ليقنعوا العالم بأهمية قضايانا وصدقها وبعدها الإنساني، ونسج جسور من التواصل مع أناسٍ ومؤسسات وحكوماتٍ تُناصرُ الشعوب المحاصرة والمظلومة، وكسبهم لصالح ديننا من خلال التحرّك الجاد والعمل المُركّز، وأن يستفيد السفراء من دورهم في الدعوة إلى الله ﷻ القائل: ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾[المدثر: 2].

وخلال مرحلة التنظير الخارجي "نلاحظ أن رسول الله ﷺ كان يضرب على الأوتار النفسية التي يخشاها الحاكمون، فكانت رسله تطمئن هؤلاء الحاكمين على ملكهم، وأنه سيُحفظ لهم إذا دخلوا في الإسلام، حتى أولئك الذين عادوا الإسلام وحاربوه، لم يكن الغيظ أو الحقد ليُغير هذه السياسة بل كان إكرامهم هو الأساس بعد دخولهم بالإسلام أو حتى بعد انقطاعهم عن حربه، لقد كانت هذه الرسائل منعطفًا كبيرًا وخطيرًا في تاريخ الإسلام، وسمة عظيمة من سماته، حيث ربطت المسلمين بالعالم كله، بين تأييد أو بيعة أو مواجهة"[2].

وهناك أخلاق يحسن بالسفير المسلم أن يتحلّى بها، من ذلك:

---

(1) الطبري: جامع البيان (40/14).

(2) منير الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية (57/3)، بتصرف يسير.

1- حسن **الاستماع إلى الآخرين.**

سواءً كانوا متفقين مع أفكاره أم مخالفين، وعدم مقاطعة المتحدث حتى ينتهي، وهذا أدب الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: 114].

2- "**أدب الخطاب.**

وخصوصا في مجال الدعوة إلى الله تعالى في مكاتبات الملوك ورؤساء الدول مطلوب شرعا، لذا وصفت بلقيس كتاب سليمان عليه السلام بأنه كتاب كريم، لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعوة إلى عبادة الله عز وجل، وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير أن يتضمن سبّا ولا لعنا، ويؤيده قول الله عز وجل إلى نبيه ﷺ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: 125]، وقوله لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: 44]، والوصف بالكريم في الكتاب غاية الوصف بدليل قوله ﷻ:﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة: 77]"[1].

3- **مدح الرؤساء والقادة والثناء عليهم.**

وأهمية التخلّق بمنهج إنزال الناس منازلهم، والحديث معهم بلطف وأخلاق، قال الله ﷻ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: 83]، وها هو النبي ﷺ يمدح سهيل بن عمرو يوم أن كان من قادة المشركين حينما جاء مفاوضًا عن قريش في الحديبية، فقال للمسلمين: «لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»[2].

4- **حسن الضيافة وتحميل الهدايا.**

فقد قالت بلقيس ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [النمل: 35]، " قال قتادة رحمه الله: ما كان أعقلها في إسلامها وشركها، علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس"[3]، فللهدية سحرٌ في كسب المودة والمحبة، ومحو الأحقاد والضغائن، وإزالة الخصومات[4].

---

(1) الزحيلي: التفسير المنير (19/295-296).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الشروط، بَابُ: الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ (ح2731)، (3/193).

(3) الزحيلي: مرجع سبق ذكره (19/294).

(4) انظر: المرجع السابق (19/297).

ثانيًا: أهمية السفراء والرسائل في المد الإسلامي.

قال الخليل بن أحمد[1]: "والسَّفيرُ: رسول بعض القوم إلى قوم"[2]، والسَّفِيرُ: الرَّسُولُ الْمُصْلِحُ بَيْنَ الْقَوْمِ وَالْجَمْعُ سُفَرَاءُ[3]، و"الرَّسُول هُوَ الَّذِي يُبَلّغ خبر من أرْسلهُ ويتابعه"[4]، وهو من يذهب بتكليفٍ من الدولة أو القائد ليبلّغ أمراً أو يتابع قضيةً، أو لقضاء مهمة، أو يتوسّط في مشكلة أو يُنظّر لطرحٍ أو وجهة نظر.

ولنتأمّل كيف استفاد نبي الله سليمان عليه السلام من هذه المنهجية عندما أرسل الهدهد كسفيرٍ لينقل دعوته إلى قوم بلقيس؛ الذين لم تبلغهم الدعوة ولم يكن عندهم فكرة مُسبقة عن دينه، ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل:28]، وأظهرَ براهين قوية على صدق رسالته من خلال إرسال رسول ورسالة وهو الهدهد، وعدم قَبول الهدايا، ونقل العرش، وغير ذلك ، وكذلك إرسال النبي ﷺ الكتب والسفراء إلى ملوك الدول والآفاق "واختار من أصحابه رسلًا لهم معرفة وخبرة"[5]، فاستفاد المدُّ الإسلامي بذلك حتى بلغ دين الله ﷻ الآفاق.

وفي قصة أصحاب الكهف قال الفتية: ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [الكهف: 19]، وقال ﷻ عن الساعي في الخير في القضايا الخلافية: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [النساء: 35].

وفي قصة موسى عليه السلام، بعد أن حُمل عليه السلام رضيعًا إلى قصر فرعون، وكان فرعون قد فرض حصارًا على النسلِ والذُّرِيّة، فخرجت أخته بأمر أمها، قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[القصص: 11]، فخروجها كان في مهمة تخدمُ الرسالة، ومتابعة لقضية خطيرة، ومضت كسفيرٍ وعرضت خدمات استطاعت من خلالها

---

(1)- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحويّ، ولد ومات في البصرة، وعاش فقيرا صابرا، مغمورا في الناس لايعرف، له كتاب (العين) و(معاني الحروف) و(تفسير حروف اللغة)، و(جملة آلات العرب) وفكر في ابتكار طريقة في الحساب تسهله على العامة، فدخل المسجد وهو يعمل فكره، فصدمته سارية وهو غافل، فكانت سبب موته سنة(170هـ). انظر: الأعلام للزركلي(314/2).

(2) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين (247/7).

(3) زين الدين الرازي: مختار الصحاح (148/1).

(4) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: تحرير ألفاظ التنبيه (52/1).

(5) منير الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية (48/3).

التقرّب للحاشية الملكية، والدخول إلى قصر الملك، ولاحقًا لمَّ شمل الأسرة، واستطاعت إقناع الأسرة الحاكمة بذكائها وهدوئها.

وحاز مصعب بن عمير ﷺ على لقب أول سفيرٍ في الإسلام، لأنه سافر من مكة إلى المدينة ليُعلّم الناس كتاب الله ﷻ، وينقلَ دعوته[1]، وأرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل ﷺ، وأبا موسى الأشعري ﷺ إلى اليمن، وأرسل الرسل إلى الملوك من أتباع الديانات الأخرى في مختلف البلاد سنة ست من الهجرة، وقيل بعد غزوة مؤتة، وعلى كلٍ فقد ابتدأ إرسال الرسل بعد صلح الحديبية، وكان الهدف من ذلك فتح آفاق جديدة للدعوة، والبحث عن مناصرين جدد لدين الإسلام والدعوة إليه[2].

ثالثًا: دور السفير الدائم للدعوة وهموم المسلمين.

ويُقصد بالسفير الدائم العالم أو الداعية الذي نذر حياته ليدافع عن دين الله ولينصر المستضعفين في كل مكان، وذلك من خلال إبراز قضايا وهموم المحاصرين، وتسليط الأضواء على مشاكلهم باستمرار، وكذلك اجتهاده في التنظير لصالح دعوته داخلياً وخارجياً من خلال حثَّ المسلمين على الإنفاق على إخوانهم المحتاجين، ومحاولة الوصول إلى غير المسلمين من أتباع الديانات الأخرى وتبليغهم دين الله ﷻ، وفي قصة الهدهد خيرُ دليلٍ على أهمية استغلال كل جنود المملكة في نشر الدعوة، وألا يستهين القائد بأصغر جندي فلربما كان الفتح والظفرُ على يديه، وقد رأينا في سيرة النبي ﷺ كيف كان السفراء والرسل الذين أرسلهم للملوك والقبائل يستبسلون ويتميّزون في إتمام مهامهم على أكمل وأشرف وجه، حتى لا تكون هناك حجة لأحد، قال الله ﷻ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: 165].

رابعًا: فوائد السفراء والرسائل.

هناك الكثير من الفوائد التي يعود نفعها داخلياً وخارجياً على المحاصرين منها:

1- المساهمة في صمود وثبات المحاصرين مادياً من خلال المعونات والإمدادات التي تأتيهم من الخارج، ومعنوياً من خلال شعور المحاصرين بروابط العقيدة والأخوة ووقوف إخوانهم معهم

---

(1) انظر: خالد محمد خالد: رجال حول الرسول (27/1).

(2) انظر: أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف: خاتم النبيين محمد ﷺ (1031/3). وانظر: محمد بن يوسف الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد(346/11).

في المحنة، قال النبي ﷺ: « الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ »[1].

2- من خلال السفراء والرسالات تنتقل قضية المحاصرين من المحيط المحلي إلى الفضاء العالمي، وتوجّه الأنظار إلى مشكلاتهم وأزماتهم، وهذه قنواتٌ جديدة تساهم في تخفيف الحصار[2]، وهذا منهج النبي ﷺ عندما أرسل الكتب والسفراء إلى الملوك والدول.

3- " إن التحرك السياسي الذي تقوم به الحركة الإسلامية يجب أن يهدف أول ما يهدف إلى تبليغ دعوة الله إلى حكام الأرض وملوكهم، ولو كلفت هذه الدعوة الحركة الإسلامية عنتا وحرجا"[3]، قال الله ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 41] ، وهذا ما تشهد به الرسل على أقوامهم يوم القيامة.

4- جمع الأموال والتبرعات، وحض المسلمين على الإنفاق لصالح الدعوة، ولدعم المجاهدين بالمال والعتاد، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: 39].

5- العمل على إزالة العقبات بين الدول، والتقريب بين وجهات النظر، وإنهاء الخلافات، وتوطيد العلاقات الدبلوماسية والتعاون السياسي بين البلاد، قال ﷻ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

6- الاستفادة من أساليب الدول في طريقة التعامل مع الغير، والانتباه لطريقة تفكير الآخرين وكيف ينظرون إلينا كأصحاب حق وقضايا مسلوبة، فمن ذلك موقف النجاشي عندما جاء وفد قريش ليؤلّبه على الصحابه ﷺ، وقال ممثل وفد قريش عمرو بن العاص ﷺ ما قال وكان لم يُسلم بعد، فلما تكلّم جعفر ﷺ وكان الناطق باسم المسلمين التفت النجاشي إلى المسلمين قائلا: « اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ شُيُومٌ بِأَرْضِي- وَالشُّيُومُ: الْآمِنُونَ- مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبَرًا مِنْ ذَهَبٍ، وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ...رُدُّوا عَلَيْهِمَا

(1) محمد ناصر الدين الألباني: مشكاة المصابيح (ح3475) (1033/2).

(2) انظر: منير الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية (55/3).

(3) منير الغضبان: المرجع السابق (56/3).

هَدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لي بهَا، فو الله مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ»[1].

المطلب الثالث: أسلوب القوة والحسم مع الأعداء.

عند التعامل مع عدو لا يؤمن إلا بالقوة ويجعلها أساس مبادئه، فإنَّ القوة مهمة جدًا، ولذلك كان النبي ﷺ لا يدعُ العدو يلتقط أنفاسه ولو لحظة إلا ويوجّه له الضربة الموجعة، فمن سرية إلى غزوة، إلى فتح حتى يئسوا من إمكانية مقاومة الزحف الإسلامي[2]، وهذا منهجُ القرآن في مقارعة قوى الكفر والعناد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 123]، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التحريم: 9]، وقال ﷻ: ﴿ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنفال: 57]، وهذا ما حدث في بدر والخندق وغيرهما، فإذا فُرضت المعركة فلا تردّد ولا تراجع، وإنما الحسم والتحدي.

وفي الآيات الكريمة حزمة نورانية من الهدايات في كيفية التعامل مع العدو إذا بلغت المعركة مرحلة التلاحم، من ذلك:

1- القرآن الكريم يُعطي المسلمين تصورات واقعية كاملة عن الحياة، ومن ذلك ما يعرف باستراتيجية المعركة، وهي تبين ناحية من الخطة التنفيذية أو ما يسمى بالتكتيك[3]، وهذه القواعد العسكرية تُدرّس اليوم في الكليات الحربية والخطط الهجومية، ومن كان يقاتل ضمن خطة ينبغي ألا يجعل أكبر مهامه الدفاع فقط، بل لا بد من المباغتة والهجوم والحسم في اللحظة المناسبة، وانتبه إلى المنهجيات الحربية في القرآن الكريم، قال الله ﷻ: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[الأنفال: 60]، ﴿ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ﴾[الأنفال: 45]، ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ

(1) جمال الدين، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق السقا (337/1-338).

(2) انظر: منير الغضبان: التربية الجماعية منير الغضبان(525/1-526).

(3) انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن(704/2)،

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ ﴾[محمـــــــد: 4]، ﴿ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ [النساء: 71].

2- عشنا بكل أسف انتشار الغدة السرطانية الصهيونية على أرض فلسطين السليبة، وسمعنا عن فظائع يهود الوحشية في دير ياسين، وحيفا، وقبية، ويافا، وعكا، ورغم ذلك يدّعون الإنسانية لكنهم يعملون عكسها، وإفسادهم مُسطّر في آي الذكر، قال الله ﷻ: ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾[الإسراء: 4]، وما زال إجرامهم شاهداً في غزة من خلال الحروب المتتالية والدمار الهائل والإعاقات والتشوّهات، والأسرى، وتهويد المقدّسات، وتغيير معالم الحضارة والهوية العربية الإسلامية للمدينة القديمة في القدس[1]، ولذلك لا بدَّ من سياسة الحزم معهم، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع بني قريظة وغيرهم، وعدم تمييع العقيدة، وترك الخنوع والاستسلام بما يُسمى بالسلام، فلن يكون سلامٌ مع قتلة الأنبياء وشذاذ الآفاق.

3- ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾: أَمْرٌ بِأَنْ يَكُونَ غَلِيظًا مَعَهُمْ، وَالْغِلْظَةُ يَأْتِي مَعْنَاهَا عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾ ...وَإِنَّمَا وُجِّهَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَى الرَّسُولِ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لِأَنَّهُ جُبِلَ عَلَى الرَّحْمَةِ فَأُمِرَ بِأَنْ يَتَخَلَّى عَنْ جِبِلَّتِهِ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَنْ لَا يُغْضِي عَنْهُمْ كَمَا كَانَ شَأْنُهُ مِنْ قَبْلُ"[2]، "وَالْمَقْصِدُ مِنْ ذَلِكَ إِلْقَاءُ الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ حَتَّى يَخْشَوْا عَاقِبَةَ التَّصَدِّي لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ"[3].

وسياسة الحسم مع الأقرب فالأقرب تفرض الأمن حول حصن المسلمين، وتردعُ المتربّصين، وهذا التوجيه مهم جدًا للحركة الجهادية في عصرنا، ليجد العدو شِدة وعنفًا في المقال والقتال، حتى لا يخدعنا أحد تحت شعاري: الإنسانية أو مراعاة الرأي العام[4].

4- " رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّهُ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ مُنَزِّلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا

---

(1) انظر: مصطفى السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر (ص:111)، ومجلة مجمع الفقه الإسلامي (103/13-104).

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير (267/10).

(3) ابن عاشور: المرجع السابق (62/3).

(4) انظر: سعيد حوّى: الأساس في التفسير (2377/4).

عَلَيْهِمْ »[1]، وَهَذَا يُؤَيِّدُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ مِنْ أَنَّ الْحَرْبَ لَيْسَتْ مَحْبُوبَةً عِنْدَ اللهِ، وَلَا عِنْدَ رَسُولِهِ لِذَاتِهَا، وَلَا لِمَا فِيهَا مِنْ مَجْدِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا هِيَ ضَرُورَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ يُقْصَدُ بِهَا مَنْعُ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ، وَإِعْلَاءُ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ، وَدَحْضُ الْبَاطِلِ، وَاكْتِفَاءُ شَرِّ عَمَلِهِ، بِنَاءً عَلَى سُنَّةِ ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[الرعد: 17]، وَتُسَمَّى فِي عُرْفِ عَصْرِنَا سُنَّةَ الِانْتِخَابِ الطَّبِيعِيِّ.

وَهَذَا الْإِرْشَادُ الْحَرْبِيُّ فِي اسْتِعْمَالِ الْقَسْوَةِ مَعَ الْبَادِئِينَ بِالْحَرْبِ، وَالنَّاقِضِينَ فِيهَا لِعُهُودِ السِّلْمِ، وَالتَّنْكِيلِ بِالْبَادِئِينَ بِالشَّرِّ، لِتَشْرِيدِ مَنْ وَرَاءَهُمْ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ قُوَّادِ الْحَرْبِ فِي هَذَا الْعَصْرِ"[2].

أهمية أسر الأعداء في مواجهة الحصار.

قال ﷻ: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد: 4]، أي: إذا واجهتم الكفار في القتال، فلا تأخذكم بهم رأفة أو تردّد؛ بل احصدوهم بالسيوف، واضربوا رقابهم، بإعمال السلاح فيهم بلا شفقة ولا هوادة حسب طبيعة الحرب، وهذا أمرٌ بجهاد من لم يكن لهم عهد مع المسلمين، من المشركين وأهل الكتاب، إذا توفّر العدوان ومسوغات القتال وإنما يجب إعمال السلاح فيهم، حتى إذا غلبتموهم وأكثرتم فيهم القتل، فضعفوا واستكانوا وصاروا أسرى في أيديكم، فأحكموا القيد عليهم لئلا يفلتوا ، وعندئذ أنتم مخيرون بين المنّ عليهم بإطلاق سراحهم بلا مقابل أو بغير عوض، أو الفداء بمبادلتهم بالأسرى المسلمين الذين عندهم أو بدفع الفداء، وهذه الآية محكمة غير منسوخة[3].

ويكون تبادل الأسرى من باب العقوبة أو المعاملة بالمثل، لأنَّ "الحرب المشروعة عرضة أن يأخذ الخصوم من أبنائي وأنا آخذ من أبنائهم، فلا أطلق أبناءهم إن جاءوا في يدي

---

(1) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، بَابٌ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ أَخَّرَ القِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ (ح2965)، (51/4)، وصحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: كَرَاهَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ (ح1742)، (1362/3)،.

(2) محمد رشيد رضا: تفسير المنار (44/10).

(3) انظر: الزحيلي: التفسير المنير (85/26)، والسعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (784/1)، والطبري: جامع البيان (156/3).

حتى يطلقوا أبنائي الذين في أيديهم، ويصير الأمر إلى المعاملة بالمثل، التي انتهى إليها العالم الحديث وهي تبادل الأسرى"[1].

قال الزحيلي: الفداء والمفاداة: وهو تبادل الأسرى أو إطلاق سراحهم على عوض أو مقابل، لقوله ﷻ: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾[2].

و"ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وَالشَّافِعِيَّةِ، وَالْحَنَابِلَةِ، وَصَاحِبَا أَبِي حَنِيفَةَ، وَهُوَ إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى جَوَازِ تَبَادُلِ الأَسْرَى، مُسْتَدِلِّينَ بحديث عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فُكُّوا العَانِيَ، وَأَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَعُودُوا المَرِيضَ» قَالَ سُفْيَانُ:" وَالعَانِي: الأَسِيرُ "[3].

فيُشرعُ للمجاهدين في أثناء الحروب وعمليات الكر والفر أن يأسروا من العدو وأن يخطفوا من جنوده كما يفعل بأبنائنا ومجاهدينا من باب العقوبة بالمثل، ويجوز مساومة العدو على جنوده الأسرى حتى يُخرج أبناءنا ويرفع الحصار الخانق عن المحاصرين.

---

(1) الشعراوي: تفسير الشعراوي(2221/4)، وانظر: التويجري: مختصر الفقه الإسلامي (ص1104).

(2) انظر: الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته (5917/8).

(3) علي بن نايف الشحود: الخلاصة في أحكام الأسرى (26/1)، والحديث في صحيح البخاري، كتاب: النكاح، بَابُ: حَقِّ إِجَابَةِ الوَلِيمَةِ وَالدَّعْوَةِ، وَمَنْ أَوْلَمَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَنَحْوَهُ (ح5174) (24/7).

الفصل الثالث

منهــج القــرآن في مواجهــة الحصــار

المبحث الأول

منهج القرآن في بشارة الصابرين

المطلب الأول: معنى منهج القرآن لغةً واصطلاحًا، وأهميته في فهم الواقع.

القرآن لغةً.

من "قرأ: تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: 17 – 18]، أي قراءته، فهو مصدر على وزن "فُعلان" بالضم... تقول: قرأته قرءًا وقراءة وقرآنًا، بمعنى واحد"[1].

والقرآن شرعًا.

"هو كلام الله تعالى المُعجِز بلفظه ونظمه ومعناه، المُنَزّل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس، والمتحدى بأقصر سورة منه"[2].

منهج القرآن لغة.

" "المِنْهاجُ": السَّبِيلُ، والسُّنَّة، والطَرِيقُ الواضح من "نَهَجَ" "يَنْهَجُ"[3]، قال الله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، أي:" طريقا واضحا في الدين تجرون عليه "[4].

منهج القرآن اصطلاحًا.

هو طريقة القرآن الكريم وسُنَّته في التعامل مع قضيةٍ أو مشكلةٍ ما، وتقديم تصور كامل عن هذه القضية أو المشكلة، للوصول إلى حلول عملية وواقعية تخدم المسلم في دينه ودنياه وترشده إلى ما يسعده في أخراه.

---

(1) مناع بن خليل القطان: مباحث في علوم القرآن (16/1).

(2) محمد أحمد محمد معبد: نفحات من علوم القرآن (11/1) بتصرّف.

(3) انظر: ابن فارس: مقاييس اللغة: (361/5)، و محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش: إعراب القرآن وبيانه (493/2). وانظر: أبو الحسن المجاشعي بالولاء البلخي البصري الأخفش: معاني القرآن للأخفش (283/1).

وانظر: مجاهد: تفسير مجاهد (310/1) والطبري: جامع البيان (10/ 385).

(4) الزمخشري: الكشاف (640/1).

أهمية منهج القرآن في فهم الواقع.

قبل الإسلام كان العرب في جاهلية يستبيحون كل حرام، ويفعلون كل منكر، وفي حلكة هذا الظلام بعث الله ﷻ نبيّه محمدًا بالهدى والنور، مؤيّدًا له بهذا الكتاب المنير، "لم يترك جانبًا من جوانب الحياة المتعلقة بالإنسان إلا أتى عليه، ورسم له المنهج الصحيح؛ ليسير على هديه، ويستضيء بنوره، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾[النساء: 174]، وقال ﷻ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾[النحل: 89]، لقد رسم القرآن الكريم لبني آدم ما يصلحهم في الحياة الدنيا، ويجلب لهم المثوبة في الآخرة، والقرآن الكريم منهج متكامل، متفرع الجوانب، رَسَمَ محاورَ كثيرةً لإصلاح المجتمع، ومن العسير التطوافُ عليها جميعًا"[1]، وقد لخّص القرآن هذا المنهج في ثلاثة محاور رئيسة وهي: الهدف العام من إنزال القرآن الكريم، وعلاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بمجتمعه، فمن الضروري والمهم قبل أن ينطلق الداعية لمعايشة الناس وسياستهم، أن يعيشَ زمنًا طويلًا مع كتاب الله ﷻ حفظًا وفهمًا وتدبرًا، قال الله ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: 29]، لأنه لن يستطيع أن يفهم واقع الناس ومتطلَّباتهم إلا إذا فهم مراد الله ﷻ، وفهم منهج القرآن وطريقته في الخطاب الإيماني، والترغيب والترهيب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهجه في خطاب المخالفين ومعالجة الأخطاء، ومنهجه في تصحيح العقيدة وفضح أهل الشبهات والأهواء، ومنهجه في مخاطبة كل الطبقات من العلماء والجهلة، ومنهجه في فقه الحياة وتقرير الأخلاق والقيم، ومنهجه في الإنكار على المعاندين وبيان ضلالهم وغيّهم، ومنهجه في التعامل مع الضعفاء، ومنهجه في توجيه الطاقات واستغلال الهمم لصالح الدعوة والدين والدنيا، وكذلك منهجه في صيانة النعم والحفاظ على موارد الأمة الضخمة، وبيان أهمية وحرمة البناء الإنساني وقيمته عند الله ﷻ، ولا يخفى على الحصيف اللبيب منهج القرآن في تشخيص المشكلات وتوصيفها وطريقته في علاج كبرى المشكلات وحلّها، ومنهج القرآن في الدعوة إلى العلم والتفكّر والتعقّل قبل الاندفاع في قيادة الناس بغير رصيدٍ أو فهم، فالقرآن الكريم منهجٌ متكامل من الأخلاق والعقيدة والشريعة.

---

(1) محمود بن يوسف فجال: القرآن الكريم منهج متكامل (1/1) بتصرّف يسير.

قال الله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: 89]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: 54]، وقال ﷻ: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: 2]، وقال ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: 30]، وقال ﷻ: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [النمل: 92]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: 27]،وقال ﷻ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف: 30]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: 22]، وقال ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: 24]، وقال ﷻ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: 21]، وغيرها من الآيات التي تدعو إلى تدبّر القرآن وفهم منهجه لتكون الدعوة إلى الله ﷻ على هدى وبصيرة.

وبعد هذا كله لا بدَّ من فهم طريقة الأنبياء في الدعوة إلى الله ﷻ، كما جاءت في القرآن الكريم: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: 125]، و"إنَّ من أهم الدعائم والمقومات التي يقوم عليها المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله تعالى: العلم النافع، والإخلاص لله وحده، والمتابعة للنبي ﷺ، وترتيب الأولويات، والحكمة، والرفق والحلم، والصبر والاحتساب، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، والصدق في القول والعمل، والعدل، والتواضع، والجود والكرم، والتأني والتثبت وعدم الطيش والعجلة"[1].

(1) حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي: المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله (193/1).

المطلب الثاني: منهجية القرآن في تهدئة النفوس وبعث الأمل.

ممَّا لا شكَّ فيه أنه يمرُّ بأي فرد أو جماعة مرحلة من الألم والتعرّض للأذى، وحتى لا يتحول هذا الألم إلى يأسٍ فيسري في النفوس ويدبّ في القلوب، فقد أرشدنا القرآن الكريم إلى أنَّ هذا الهم الجبليّ ـ بسبب الخوف على مصير الدعوة والحُزن على المنجرفين مع التيار إلى الهاوية ـ ينبغي ألا يحولَ بين الداعية أو القائد وبين مواصلة الطريق، وألا يكون مصدر تأثيرٍ سلبي على أتباع الدعوة وأنصارها؛ بل المطلوب أن يكون شراعًا للسفينة إذا هاج البحر، وأن يكون ضرغامًا مناصرًا إذا كثُر الخصوم، وناصحًا وطبيبًا عند الحاجة، ونبراسًا في الظلام، وأن يعمل على رفع الهمم وتبصير المؤمنين بصوابية وحقيقة الطريق، قال ﷻ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: 216]، وقال الله ﷻ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[النساء: 19].

ومنهجية القرآن في بعث الأمل وتخفيف الألم واضحة، فيكفي أن أول آية في القرآن هي ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة: 1]، وأول كلمة في سورة الفاتحة هي ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: 2]؛ لتشعرك بالسكينة والرضا وجمال الحياة، وتأمّل في وصية رسولنا الكريم ﷺ لصاحبه أبي بكر ﷺ وهما في أصعب اللحظات وأشدّها، وكيف كانت النتيجة!: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: 40]، وفي الحديث أن أبا بكر ﷺ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»[1].

وقال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يوسف: 110]، وكانت رحلة الإسراء والمعراج بالنسبة للنبي ﷺ كقطرة ندى على الزهرة الظمأى، بعد عامٍ من الحُزن والشدّة فقد فيه عضدي نصرته في وجه الباطل زوجته خديجة وعمه أبا طالب، وبعد مشوارٍ من

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المساقاة، بَابُ: الرَّجُلِ يَكُونُ لَهُ مَمَرٌّ أَوْ شِرْبٌ فِي حَائِطٍ أَوْ فِي نَخْلٍ (ح2381)، (1854/4).

مواجهة أعباء وأعداء الدعوة كان هذا التكريم الربّاني لرسوله الكريم ﷺ، وفي غزوة أحد رغم دماء المسلمين التي سالت وجراحاتهم التي لم تندمل بعد إلا أنَّ منهجية القرآن عدّت ما أصابهم نصرًا حيث إنهم تعرّفوا على مواطن الخلل وأسباب الهزيمة، وهذا بحدّ ذاته انتصار وأمل، زيادة إلى استعلائهم بإيمانهم وعدم انكسارهم، فهذا نصر إضافي.

وفي سورة الشرح قال الله ﷻ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾[الشرح: 1 – 8]، "لَمَّا أعاد العُسْرَ الثاني أعادَه بأل، ولَمَّا كان اليُسْرُ الثاني غيرَ الأولِ لم يُعِدْه بـ أل"[1]، وكرّر اليسر مرتين "لتقريرِ معناها في النفوسِ وتمكينِها في القلوب"[2]، وفي قصة موسى ﷺ ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[الشعراء: 61]، فقال الواثق بنصر ربّه، المتفائل بالنجاة: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾[الشعراء: 62].

ونحنُ في ثغر صبرنا في هذا السجن الكبير، لا بد أن نُركّز دومًا على ملامح الأمل في تهدئة نفوس المسلمين، وبعث الأمل والتركيز على الإيجابيات من خلال ذكر الأمثلة الفذّة في تاريخ أمتنا الحافل بالصلاح والرشاد، فعند التأمُّل في كل القصص الرئيسة التي ذُكرت في الصراع بين الحق والباطل مثل قصة طالوت وجالوت، وقصة الصاحبين، وقصة ذي القرنين في سورة الكهف، وقصص الأنبياء جميعًا، وقصة أصحاب الأخدود وغيرها الكثير، نجد أنَّ الحق يبدأُ ضعيفًا مُهدّدًا، لكنه إن أخذ بأسباب النصر مضى قويًّا مُسدّدًا، وأيضًا تذكير المحاصرين والفقراء بمن سبقهم من أهل الابتلاء والأنبياء، ونشر منهج التفاؤل والانسجام والتفاعل مع الحياة، والرضى على قضاء الله وقدره، وألاّ نطيل الوقوف أمام المآسي التي تبعث اليأس والملل، والحزن الذي يؤدي إلى مرضٍ قاتل، وخاصة في أيام الخطوب وشدة الحصار[3]، وعندما نتأمّل مثلاً في قصة يعقوب ﷺ، كيف أنه رغم بعد المسافات وطول السنوات لم يفقد الأمل لحظة واحدة في أنه قريباً سيجتمع بولديه، ووكّل أمره لله ﷻ، ولم ييأس رغم حزنه كأبٍ ملهوف، وكان تعامله مع أولاده الذين حاولوا إحباطه ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ

(1) أبو العباس أحمد بن يوسف (السمين الحلبي): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (46/11).
(2) الزمخشري: الكشاف (771/4).
(3) انظر: صلاح سلطان: سورة الكهف منهجيات الإصلاح والتغيير (ص:37–42).

وَأَخِيهِ وَلَا تَايْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[يوسف: 87]، واشتمَّ رائحة يوسف عليه السلام رغم المسافات الشاسعة؛ لأنَّ الأرواح جنودٌ مجنّدة، والقلب المتّصل بالله ﷻ قلبٌ قريبٌ من الإجابة؛ لأنه عرف الطريق، وصبرَ حتى ارتد إليه بصره، وامتلأ قلبه بالفرح والتفاؤل، ولهج لسان يوسف عليه السلام بذكر ربه وشكر محبوبه على إنعامه وتفضّله عليهم، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[يوسف: 101]، ولا ننسَ أن الحق ﷻ وعد المؤمنين والصابرين بالبشرى والجزاء في الكثير من الآيات، من ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[النور: 55]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[النساء: 141] .

المبحث الثاني

الحلول العملية والوسائل القرآنية لمواجهة الحصار

إنَّ الاهتمام بالحلول العملية والوسائل التي ذكرها القرآن مهم للمسلمين ليس فقط في أزمة الحصار بل في كل مناحي الحياة؛ لأنها تساهم في زيادة وعي المسلمين بالأخطار المحدقة بهم، وكيف يتعاملون معها، وأيضًا يعدُّ من التوكّل والأخذ بالأسباب، وفي المطالب التالية يوضّح الباحث عدة أمور مهمّة، وهي كالتالي:

المطلب الأول: معنى الحلول العملية لغة واصطلاحًا وأهميتها.

الحلول العملية لغة.

حَلّ: حَلُّ العُقْدَةِ: فتحها والتغلّب عليها بإنهائها، وحَلَّ إزاره حَلًّا"[1]، وعَمِلَ: "مارس نشاطًا وقام بجهد للوصول إلى نتيجة نافعة"[2].

الحلول العملية اصطلاحا.

"طريق التغلّب على مشكلة ما"[3]، من خلال الاعتماد على أُسُس وسُنَن قرآنية يتم تنفيذها بدقّة، مما يعمل على معالجة المشكلة بشكل جزئي أو كلي والوصول إلى نتيجة نافعة، حسب الإمكانيات المتوفّرة وإتقان استخدامها، ومناسبتها للواقع.

أهمية الحلول العملية في حل مشكلات الأمة.

تكون بفهم طريقة القرآن لعلاج المشكلات والأخذ بالأسباب، ومن ثمَّ الاستعانة بالطرق المستحدثة والواقعية من خلال مشاورة ذوي الإدارة الناجحة، وأصحاب الخبرة، لأنَّ "من أهم ميادين النصرة التي يغفل عنها بعضهم: النصرة بالرأي والمشورة والتسديد، والنّاسُ أحوج ما يكونون للرأي الراشد، خاصّة عند النوازل وظهور الفتن"[4]، قال الله ﷻ حكاية عن بلقيس: ﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ [النمل: 32].

وطالما بقيت الأفكار حبرًا على ورق كانت كالماء على الصخرة الصماء، فلم ينتفع بها أحد، وتبقى مجرّد أحلام وأماني تذهب مع الزمن ولا ينتفع بها أحد، والمؤمن يقول ويعمل، والمنافق يقول كثيرًا ولا يفعل إلا قليلًا، قال الله ﷻمحذّرًا المؤمنين من القول الذي لا يتبعه عمل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن

---

(1) انظر: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (1287/3).

(2) أحمد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة (1554/2).

(3) أحمد عمر: المرجع السابق (550/1) بتصرّف يسير.

(4) الصويان: جراحات المسلمين (ص:56)

تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: 2– 3]، والإسلام اتصف بشمولية العقيدة التي اعتنت بكل جوانب الحياة، وإذا نظرنا إلى الدعوة الإسلامية وجدنا أن العمل يمثل المحور الدائم لها، والمحرك لكل جوانبها، بل هو جوهرها، فالعبادة عمل دائب حثَّ عليه القرآن وجعله من أرفع درجات ميزان المسلم، "وما كان قائما على الحق والخير، مغروسا فى مغارس الهدى والنور، فهو شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تؤتى أكلها كلّ حين بإذن ربّها"[1]، قال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ [الرعد: 17]، فالتفوّق والغلبة ليس بكثرة المال، ولا بكثرة الكلام، ولا بالطبول الجوفاء والكلمات النارية، وإنما بقدر النفع الذي يعود على الآخرين ويثمر في الأرض، والزبد إنما هو أوساخٌ تبقى على السطح ظاهرة هشة سرعان ما تتلاشى وتذوب بلا نفع، بينما العلم النافع يتجذّر في الأرض ويثمر وينفع، ولذلك نجد أنَّ قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [البقرة: 82]، يؤكّد لنا أنَّ الإيمان إن لم يتبعه عمل يبقى مجرّد ادّعاء، ولن يكون إيماناً كاملًا صادقًا إلا إذا أُتبِعَ بالعمل والحيوية.

فالحلول العملية إذا انتقلت من مرحلة الخُطط إلى مرحلة التنفيذ بدّدت المشاكل، ومحت آثارها، وينبغي على أمتنا أن تستخرج الحلول الكامنة في كتاب الله تعالى، وتبدأ بتطبيقها وتنفيذها لترى أثرها على الأرض، ويظهر أثر هذه الحلول عمليًا في قصة ذي القرنين عندما بدأ بالعمل وساعده أولئك المتضرّرون من يأجوج ومأجوج، فشاركوا بإحضار قطع الحديد، وكان هو يعالجها، ثم يأتون بالقطر ويضعه حسب الموازين العلمية، فكانت النتيجة أن حلَّ لهم مشكلتهم المتمثّلة في وقف شر يأجوج ومأجوج من خلال بناء السدّ المُحكم[2]، قال الله ﷻ: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦ فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾ [الكهف: 94– 97].

ولقد بحث العلماء طويلاً في كل العلوم الكونية، فوجدوا حلولاً لبعض المشكلات، وعجزوا عن إيجاد حلول لمشكلات كبرى فوقفوا طويلاً أمام آيات القرآن، وأدركوا المهمة

(1) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن (427/4).

(2) انظر: صلاح سلطان: سورة الكهف منهجيات الإصلاح والتغيير (ص:69) بتصرّف يسير.

الأساسية للقرآن، وتصوّروا مقاصده وأهدافه العملية التي يريدُ أن يُحقّقها في حياة المسلمين، وتيقّنوا أن الحقائق العلمية لا تتعارض مع كتاب الله ﷻ، وأنّه كتاب هداية في كل المجالات من تشريعٍ وحكمٍ وتربية وعلم ومعرفة وغيره، فوصلوا إلى حلول عملية لمشكلات كبرى منها: مشكلة الفقر وعلاجها في القرآن، ومشكلة ضعف المسلمين في أقطار الأرض، ومشكلة الاختلاف بين القلوب، والمشكلات والقضايا الكبيرة المعاصرة[1]، ولكنَّ المشكلة تكمن في تقاعس الأمة عن البحث والعمل ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء: 66].

المطلب الثاني: معنى الوسائل القرآنية لغةً واصطلاحًا وأهميتها.

يبيّن الباحث معنى وأهمية الوسائل القرآنية، وكيف تساهم في الحلول العملية من خلال ما يأتي:

الوسائل القرآنية لغة.

الوسيلة: من الفعل وَسَلَ، وهي "كلّ ما يتحقَّق به غرض معيّن، يقابلها غاية...أو واسطة لإيجاد مخرج مناسب من صعوبة "أو للخروج من المأزق"[2]،

الوسائل القرآنية اصطلاحًا.

هي أن يتّخذ الإنسانُ واسطة أو طريقة مستمدّة من القرآن الكريم، ليُحقّق غرضًا مُعيّنًا أو يجد مخرجًا من مأزقٍ ما، بشرّط ألا يخرج عن الهدف القرآني، ولا يستخدم النص لغرضٍ شخصي.

أهمية الوسائل القرآنية وعلاقتها بالحلول العملية.

أثبت التاريخ مع مرور الأيام قصور الحلول الإنسانية المجردة عن التوجيهات القرآنية، وقد اصطدمت القوانين الوضعية كثيرًا مع واقع وحياة الناس لأنها جسم غريب دخل ليحلَّ كبديلٍ عن القرآن وأهدافه، وهذا لن ينجح لأنه من عمل الإنسان، وعمل الإنسان لا يرتقي إلى الكمال مهما علا، ولا يستطيعُ أن يُغيّر واقع الأمة والشعوب للأفضل مهما بلغ مدى صلاحه، فكيف إذا كان هذا القانون قد وُضِع أصلاً لإفساد حياة البشرية في ظلال القرآن!، إنه إذاً لشرٌ وليس بعلاج، قال الله ﷻ: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [آل عمران: 154]،

(1) انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق (ص: 10).

(2) أحمد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة (3/ 2441).

و قـــــال الله ﷻ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائـــدة: 50]، و قـــال الله ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: 49]، وإنَّ من يريدُ أن يُقدّم حلولًا عمليَّة إبداعية لأمته وطرقًا للخلاص والنجاة لا بدَّ أن ينطلق من نور القرآن، وينهلَ من معين القرآن ليروي ظمأ الحياة، ويمحو دخان الجاهلية، ويمضي مع القرآن ويبقى معه لحظةً بلحظة، ففي القرآن ما يُغني عن غيره، وإنَّ من أهداف القرآن الكبرى أنه أُنْزِلَ ليُصلح حياة البشرية، وليسترشد به الحيارى، وهو كلام ربّ العالمين الذي خلقَ الإنسانَ وهو عليمٌ بتكوينه وما يُصلحه، ويُعالج أخطاءه، فكان هذا القرآن منهج حياة، ودستور عمل لكل من سعى لسعادة الأرض وأهلها.

فالوسائل القرآنية جاءت كبديلٍ عن فوضى الجاهلية وأحكامها الجائرة التي كانت تتّسم بالظلم والقهر والتّسلط، وامتهان المرأة، واحترام القوي، ويعيبها السلبية والنقص في كثير من الأمور.

والقرآن الكريم علّمنا فقه العمل والأخذ بالأسباب وأن الحلول دائمًا تبدأ بعالم الأفكار، من خلال الإبداع في التفكير الذي يصل للحلول المناسبة، والخطط التي تُنقذُ الأمة والجماهير من كيد أعدائها، وتُخلّصها من مشكلاتها، وكلها منهجيات عملية، وأفعالٌ تبعثُ على العمل والنشاط والعنفوان والطاقة، وترك الدعة والكسل، قال الله ﷻ حكاية عن ذي القرنين: ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: 95]، وقال ﷺ: « احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ »[1]، والعناية بهذا تمنحنا التركيز على المهمة العملية للقرآن، ودوره في استنهاض الأمة للعمل بعد طول التدبّر وإمعان النظر، ومن خلال الاعتناء بالمفاهيم القرآنية التي عاشها الصحابة عمليًا في صدر الإسلام، وهذا الذي جعل بعض الصحابة يأخذ العشر آيات لا يجاوزهن إلى العشر الأخر حتى يتعلمها ويعمل بما فيها، فتعلموا العلم والعمل معًا[2]، وكانوا يُركّزون على الفهم ليعملوا عملًا صحيحًا.

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: القدر، بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ (ح2664)، (2052/4).

(2) انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء (490/1).

ولقد طبّق عمر ﷺ هذا المنهج في حياته لمّا وقف يوماً عند قوله ﷻ: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: 31]، فسأل نفسه أول الأمر: «هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟! ثم عاد سريعًا إلى منهج البحث الصحيح فقال: ويلك!، إنَّ هذا لهو التكلّف يا ابن أم عمر، ماذا لو لم تعرف ما الأب؟، فصرف البحث إلى العمل، حتى لا ينشغل بالجدل»[1].

ولاحظ العمق والدقّة في الخطاب القرآني كيف يدفعنا إلى العمل ولا يكتفي بسياسة التنظير التي لا تشفي من سقم، والأمنيات إن بقيت أفكارًا حبيسة في العقل ولم تخرج لحيز التنفيذ، أو ظلّت حبراً على ورق أصبحت مقدّمة للتخلّف والاتّكال، ولذلك فإننا بحاجة إلى الكوادر البنّاءَة التي تعمل وتحب العمل، وبحاجةٍ إلى من يحتضن هذه الكفاءات ويُشجّعها على العمل ويساعدها ويُقدّم لها الدعم والنصيحة، ويوفّر لها البيئة المناسبة والإمكانيات، بل ويتقدّمها ويُبادِر كما فعل ذو القرنين إذ استغلّ طاقة القوم وأحسن توجيهها.

المطلب الثالث: الحلول العملية لمواجهة الحصار.

إنَّ" الاستقامة على منهاج الله تختصرُ المسافات، وتطوي المراحل، وتُوَفِّر وقت التجارب أمام المؤمنين في أي نوعٍ من أنواع المواجهات والصراعات التي يخوضونها؛ فالتخبط المنهجي، والدخن العقدي، والاضطراب القيمي والسلوكي...، كل ذلك يؤخر النصر ويُعقّد القضايا ويُطيل من عمر الأزمات، ولنا في قضية فلسطين أعظم العظة والعبرة، فليسَ أكثر من الحقِّ فيها وضوحًا، وليسَ أشد من الأعداء فيها ظهورا، وليس أعظم من المتعاطفين والأنصار لها حماسًا وعددًا...، الأمة في حاجة إلى استحقاق العون الإلهي لطلائع الطائفة المنصورة على أرض بيت المقدس ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: 40]"[2].

وينبغي على المسلمين إذا أرادوا تحطيم هذا الحصار الظالم أن يتمسّكوا بسلسلة من العمليات المُركّزة على المستوى الجماعي ـ الأمة ككل ـ، وعلى مستوى الحكّام والقادة، وعلى المستوى الفردي للأمة.

وتبرز أهم معالم هذه السلسلة في السبل التالية:

---

(1)القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (223/19)، وانظر: صلاح سلطان: سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير (ص:47-52).

(2) عبد العزيز كامل: العلمانيون وفلسطين، ستون عاما من الفشل" وماذا بعد؟، (ص:160-161)، بتصرّف.

أولاً: سبل مواجهة الحصار العسكري.

وتتمثَّل في الأمور التالية:

1- **صدق الالتجاء إلى الله ﷻ.**

"وَقَدْ هَدَى الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ إِلَى حَلِّ هَذِهِ الْمُشْكِلَةِ بِأَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَعْدَلِهَا، فَبَيَّنَ أَنَّ عِلَاجَ الضَّعْفِ عَنْ مُقَاوَمَةِ الْكُفَّارِ إِنَّمَا هُوَ بِصِدْقِ التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ بِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ، قَاهِرٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَغْلِبَهُ الْكُفَّارُ وَلَوْ بَلَغُوا مِنَ الْقُوَّةِ مَا بَلَغُوا"[1]، وفي كل المواقف يثبت أن المؤمنين يُنصرون دوماً بصدق الالتجاء وليس بالقوة، ولما اغتروا بقوتهم يوم حنين وركنوا إليها لم تغنِ عنهم قوتهم شيئاً، فولوا مدبرين حتى تداركتهم رحمة الله ونصره.

"فَانْظُرْ شِدَّةَ هَذَا الْحِصَارِ الْعَسْكَرِيِّ وَقُوَّةَ أَثَرِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ، مَعَ أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُقَاطِعُوهُمْ سِيَاسَةً وَاقْتِصَادًا، فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلَاجَ الَّذِي قَابَلُوا بِهِ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ، وَحَلُّوا بِهِ هَذِهِ الْمُشْكِلَةَ الْعُظْمَى، هُوَ مَا بَيَّنَهُ جَلَّ وَعَلَا فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:22]، هَذَا الْإِيمَانُ الْكَامِلُ، وَهَذَا التَّسْلِيمُ الْعَظِيمُ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، ثِقَةً بِهِ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ، هُوَ سَبَبُ حَلِّ هَذِهِ الْمُشْكِلَةِ الْعُظْمَى"[2].

2- **الإعداد العسكري والاستعداد المستمر.**

من خلال بناء البلاد وتحصينها وبناء قوة للمسلمين تعمل على توازن الرعب مع العدو، حتى لا يتجرأ على بيضة الإسلام، قال الله ﷻ: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: 60]، ويكون الإعداد من خلال تحقيق عدة أمور هي:

أ- ﴿ وَأَعِدُّواْ﴾ ماديًّا ومعنويًا" لهؤلاء الذين كفروا بربهم، الذين بينكم وبينهم عهد، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم، أيها المؤمنون بالله ورسوله"[3]، ومن باب أولى أن يُعِدَّ المسلمون للكفار والمشركين لتحرير البلاد المسلوبة كفلسطين، وتشكيل قوة تُرهب العدو.

---

(1) الشنقيطي: أضواء البيان (3/50-51).

(2) الشنقيطي: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(3) الطبري: جامع البيان (14/31).

ب- إن الحق ﷻ لم يقل: (أعدوا لهم ما تغلبونهم به)، ولكنه قال: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾، فأمرنا الله ﷻ بالإعداد لمقاتلة الأعداء حسب الطاقة والإمكان، فالمطلوب هو الإعداد للقوة والعدة المتاحة وليس القوة المكافئة، فالإعداد والتهيئة والإحضار دخل في الاستطاعة هو وكل ما يدخل تحت قدرة الناس مما يمكن اتخاذه من الإعداد، والخطابُ للمسلمين عموماً ولولاة الأمر خصوصًا؛ إذ هم الوكلاء على مصالحها، ونحن مهما أعددنا لنصل للقوة المكافئة ربما لا نستطيع، فنحن مأمورون أن نُعدَّ لهم ما استطعنا فقط، فإن كانت استطاعتنا لا تبلغ القوة المكافئة لهم، فالله سبحانه وتعالى يتولى ترميم النقص، نحنُ علينا أن ندفع ثمن النصر بالإعداد بعد الإيمان بالله ﷻ[1]، فإن "دُرِّب الجيش على فنون الحرب تدريبًا صحيحًا عاليًا، تحقق النصر والغلبة، وإن أهمل الإعداد والتّدريب، أدركته الهزيمة، ومن سار في الأرض، وتعقب أحوال الأمم، وتدبّر التاريخ وعرف الأخبار، يجد مصداق تلك السّنة الإلهية الثابتة وهي الفوز لمن أحسن، والخيبة لمن أساء"[2].

ت- القوة: "أَيْ وَسَائِلِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْقِتَالِ وَالْغَلَبَةِ، وَمِنَ الْقُوَّةِ كَثْرَةُ الْقَادِرِينَ عَلَى الْقِتَالِ وَالْعَارِفِينَ بِأَسَالِيبِهِ"[3]، وجاءت "القوة" نكرة لتشملَ كلُّ أنواع القوة من السلاح والرمي وغيره من آلة الحرب وما يتقوّى به المجاهدون على جهاد عدوّهم، والرمي هو أحد معاني القوَّة ، ويدخل أيضًا في القوة ما استُخدم قديمًا كالرماية بالنبل والرمح، والضرب بالسيف والمنجانيق، والخيول، وما استحدث اليوم في الحروب مثل الطائرات والدبابات والصواريخ بأنواعها، والمدافع، والعبوات، وما أبدع المجاهدون بتطويره مثل الأنفاق، والعمليات الاستشهادية، وغيره، قال الله ﷻ: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ ﴾[التوبة: 111].

ث- المطلوب هو تحقيق الأهداف بـ" أنواع القوى المادية والمعنوية المناسبة لكل زمان ومكان، ومن مرابطة الخيول في الثغور والحدود لأنها منفذ الأعداء ومواطن الهجوم على البلاد، ... وإن كان الدور الحاسم اليوم هو سلاح الطيران، والمدافع، والدبابات، والغواصات البحرية، فصار ذلك هو المتعين إعداده بدلًا من الخيول لأن المهم تحقيق الأهداف، وأما الوسائل والآلات فهي التي يجب إعدادها بحسب متطلبات العصر، ويكون المقصود هو إعداد جيش دائم مستعد للدفاع عن البلاد، ويتم ذلك بالمال المخصص لهذه المهمة، ودعمه بالسلاح الذي ينفق عليه

---

(1) انظر: الشعراوي: تفسير الشعراوي (1412/3)، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (80/4)، وابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير(54/10).

(2) الزحيلي: التفسير المنير (98/4).

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير (264/19)، وانظر: الطبري: جامع البيان (31/14-34).

من المسلمين بحسب الطاقة، وقد خص الله الخيل بالذكر، وإن كانت داخلة في القوة، تشريفا لها، وتكريما، واعتدادا بأهميتها"[1].

ج- "وَالْبَأْسُ: الشِّدَّةُ عَلَى الْعَدُوِّ، قَالَ الله ﷻ: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة: 177]، أَيْ فِي مَوَاقِعِ الْقِتَالِ، وَقَالَ ﷻ: ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ [الحشر: 14] ، وَهَذَا الْجَوَابُ تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِلْحَرْبِ لِلدِّفَاعِ عَنْ مُلْكِهِمْ وَتَعْرِيضٌ بِأَنَّهُمْ يَمِيلُونَ إِلَى الدَّفْعِ بالقوة"[2].

ح- "فائدة الرباط أن يُعْلَم أنَّك لم تغفل عن عدوك، ولم تترك ثغرك، وأنك لن تترك العدة والاستعداد له إلى أن يأتي بالمداهمة، وتكون أنت مستعدًّا لها في كل وقت قبل وقوع الهجوم، وساعة تأتي الأمور الداهمة تنطلق لمواجهتها، فعدوك حين يكون عالمًا بأنك مرابط له ومستعد للحركة في أي وقت يرهبك ويخافك، أما إذا كنت في استرخاء وغفلة؛ فإنه يدهمك، فإلى أن تستعد يكون قد أخذ منك الجولة الأولى"[3]، وأخذك على غرة، وفي هذا قال الله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ [النساء: 71]، "وهذا يعني أنَّ الأمة على استعداد دائم للجهاد"[4]، وأيضًا "هذا يعني: إياك أن تنتظر حتى يترجموا عداءهم لك إلى عدوان؛ لأنهم سيعجلونك فلا توجد عندك فرصة زمنية كي تواجههم، فلا بد لكم أيها المؤمنون من أخذ الحذر لأن لكم أعداء، وهؤلاء الأعداء هم الذين لا يحبون لمنهج السماء أن يسيطر على الأرض"[5]، والمطلوب كذلك "أي لتكن النفرة منكم على مقدار ما لديكم من الحذر، و(ثبات) جمع ثُبَّة وهي الطائفة أي انفروا سَرِيّة بعد سَرِيَّة و(جميعًا): أي اخرجوا كلكم لمواجهة العدو، وعلى ذلك يجب أن نكون على مستوى ما يهيج من الشر، فإن هاجمتنا فصيلة أو سرية، نفعل كما كان يفعل رسول الله ﷺ؛ فقد كان يرسل سرية على قدر المسألة التي تهددنا، وإن كان الأمر أكبر من ذلك ويحتاج لتعبئة عامة فنحن ننفر جميعا"[6].

خ- إنَّ مجرّد "الاتّكال على مجرد الاتّصاف بالإسلام قولًا لا عملًا، وطلب النّصر بخوارق العادات، والأدعية فقط، دون إعداد ولا تحقيق الصفة الإسلامية الحقّة التي اتّصف بها السّلف

---

(1) الزحيلي: التفسير المنير (48/10).

(2) ابن عاشور: مرجع سبق ذكره (19/264-265)

(3) الشعراوي: تفسير الشعراوي (4/1975-1976)، بتصرّف.

(4) الزحيلي: مرجع سبق ذكره (5/152).

(5) الشعراوي: مرجع سبق ذكره (4/2396).

(6) الشعراوي: المرجع السابق، نفس الصفحة.

الصالح، لا يحقق شيئًا من النّصر المرتجى على العدو في فلسطين وغيرها من بلاد الإسلام المعتدى عليها، أو المحتلّة"[1]، وإنما نحتاج للتوكل قرين الأخذ بالأسباب، قال ﷻ:﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾[النمل: 79].

3- **الجهاد في سبيل الله ﷻ.**

وعدَّ العلماء وجود الحصار من الحالات التي يجب فيها القتال لنصرة المحاصَرين، قال ابن عثيمين: "إذا حصر العدو بلدة فإنه يتعين القتال من أجل فكّ الحصار عن البلد؛ ولأنه يشبه من حضر صف القتال"[2]، "وإن كان الغزو والحصار عسكرياً وبالسلاح وجب ردّه بالقوة الممكنة والسلاح"[3].

و" لقد دأب علماء الفقه والاجتهاد على شرح وبيان آيات الجهاد والهدف الذي يرمي إليه هذا الحكم من أحكام الإسلام، فقالوا: الجهاد في سبيل العقيدة لحمايتها من الحصار وحمايتها من الفتنة، وحماية منهجها وشريعتها في الحياة، وإقرار رايتها في الأرض بحيث يرهبها من يهم بالاعتداء عليها، وبحيث يلجأ إليها كل راغب فيها لا يخشى قوة ولا تمنعه فتنة، هذا هو الجهاد الذي يأمر به الإسلام ويثيب عليه ويعتبر من يقتل في سبيله شهيدًا"[4].

فلا بدَّ للأمة أن تأخذَ دورها الريادي في جمع كلمتها وقوة قرارها بقلب الحصار على الأعداء عسكريًّا وإعلان أقصى درجات الاستنفار لنصرة المحاصرين من المسلمين المضطهدين في شتّى أصقاع المعمورة، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾[الصف: 14].

ولنتأمل هذا الربط الرائع بين الآيتين التاليتين: قال الله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ ﴾ [التوبة:73]، وقال الله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:123]، "غير أنه يوجد بين هاتين الآيتين فرق فهم، ذلك أن الآية الأولى أمرت بجهاد الكفار عمومًا القريب منهم والبعيد، بينما الآية الثانية ترشد المؤمنين إلى نوعٍ خاصٍ من الكفَّار الذين يجب البدء بقتالهم بالخصوص، وهؤلاء الكفار الذين تتوجه إليهم الأنظار هم الذين توجد

---

(1) الزحيلي: التفسير المنير (323/9)، بتصرف يسير.

(2) محمد بن صالح بن محمد العثيمين: تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة (380/2) بتصرّف يسير.

(3) عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه"، (ص:15)، بتصرف يسير.

(4) محمود بن عبد الرحيم صافي: الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود صافي (398/2).

مراكـز نفـوذهم السياسـي وقواعـدهم العسـكرية قريبـة كـل القـرب مـن عاصـمة الإسـلام"[1]، وانقضاضهم وشيك، و"في وجودهم بالقرب من عاصمة الإسلام خطر مباشر لا يمكن تجاهله بحال، وفيه نوع من الحصار المضروب على الإسلام؛ حتى لا يتسرب إلى خارج الجزيرة العربية، وينتشر فيما وراءها، وبما أن رسالة الإسلام رسالة عامة إلى كافة البشر، كان من أوجب الواجبات عليه أن يهدم السدود، ويخترق الحدود، ليشق طريقه إلى الشعوب والأمم، آمنًا من الفتنة والاضطهاد، داعيًا إلى إقامة دعائم الصلاح والرشاد، عاملًا على دك حصون الظلم والفساد، وذلك ما دشنه رسول الله ﷺ بنفسه في غزوة تبوك آخر حياته قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وقوله تعالى هنا: ﴿ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ أمر للمؤمنين الذين يشتبكون مع أعدائهم بأن يواجهوا المعركة بما يلزم لها من قوة القلب، وضبط النفس، وتقدير المصلحة العليا، وأن يقوموا بواجب الجهاد كاملا غير منقوص، حتى يمكنوا بجهادهم للإسلام، ويفرضوا هيبته على الأنام، ويرفعوا عنه الحصار المضروب من حوله، ويشقوا له طريق العيش في سلام.."[2].

والجهاد في سبيل الله لا يقتصِرُ على المواجهة العسكرية فحسب، بل يتعدّى إلى أكثر من ذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وَالْجِهَادُ مِنْهُ مَا هُوَ بِالْيَدِ وَمِنْهُ مَا هُوَ بِالْقَلْبِ وَالدَّعْوَةِ وَالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ وَالرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالصِّنَاعَةِ فَيَجِبُ بِغَايَةِ مَا يُمْكِنُهُ وَيَجِبُ عَلَى الْقَعَدَةِ لِعُذْرٍ أَنْ يَخْلُفُوا الْغُزَاةَ فِي أَهْلِيهِمْ وَمَالِهِمْ "[3].

خطر تعطيل الجهاد والتخلّف عنه.

"إنَّ التقاعس أو التشاغل أو التخذيل من القادرين على هذه المدافعات من ضروب الجهاد يُخشى أن يكون من جنس التولّي يوم الزحف، وتقديماً للدنيا الفانية على محبة الله ﷻ ورسوله والجهاد في سبيل الله ﷻ، ولا يَبعُد أن يكون من المعنيين بقوله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: 24]"[4].

---

(1) محمد المكي الناصري: التيسير في أحاديث التفسير (3/36-38) بتصرف يسير.

(2) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(3) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى (5/538).

(4) عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه" ص(16).

" وإن كانت هذه الآية في جهاد الكفار في ساحات القتال؛ فإن ذلك لا يمنع أن تشمل أيضًا القاعدين عن جهاد الكفار والمنافقين بالبيان والمدافعة لأفكارهم الخبيثة وأخلاقهم الرديئة، والوقوف أمام وسائلهم ومخططاتهم المختلفة وتحصين الأمة وتحذيرها منه، فقد قال الله ﷻ آمرًا نبيه محمدًا ﷺ في سورة مكيّة بمجاهدة الكفار بالقرآن قبل فرض الجهاد عليهم بالقتال؛ وذلك في سورة الفرقان، حيث يقول الله ﷻ:﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: 52]"[1].

الاستعانة بغير المسلمين في الحرب.

والصحيح أنه يجوز الاستعانة بالمشركين في الحرب استثناءًا[2]، لقوله ﷻ: ﴿ إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِ ﴾ [الأنعام: 119]، ولكن بشروط معيّنة وهي: تحقُّق المصلحة والحاجة أو رجحانها، وألا تكون على حساب الدعوة، والتوثّق من عدم الخيانة أو الغدر، وأن يكون تابعًا لقيادة المسلمين لا متبوعًا، فإن تحقّقت جاز على وجه الاستثناء، وإلا لم تجز، وذلك بهدف قلب الجبهة الداخلية في معسكر العدو، وعمل رأي مخالف في مجتمع الأعداء مما يُغذّي روح الخلاف بين الأعداء كما حدث في قضية الصحيفة، فلقد أدّى الخلاف بين الأعداء إلى كسر الحصار الظالم وتمزيق الصحيفة، وكذلك يجوز شراء الأسلحة من العدو واستعارتها كما فعل النبي ﷺ في غزوة حنين إذ استعار السلاح من صفوان بن أمية، واستعان النبي ﷺ بعبد الله بن أريقط كدليلٍ في رحلة الهجرة وكان يومذاك كافرًا، وذلك كله على وجه الاستثناء، كما قَبِل جوار المطعم بن عدي له عند رجوعه من الطائف، وكذلك حماية عمّه أبي طالب له[3].

ثانياً: سبل مواجهة الحصار الاقتصادي.

نستطيع أن نقف على أهم السبل لتطويق الحصار الاقتصادي من خلال ما يأتي:

1- الاستعانة بالله وكثرة التوبة والاستغفار.

فعلى المسلم ألَّا يجزع أو ييأس، وليثق بأنَّ الرازق هو الله ﷻ، ويستعين بربه ومولاه فهو كافيه، وليداوم على التوبة وكثرة الاستغفار وسيجعل الله له من كل ضيق مخرجا، ومن كل همٍ

---

(1) عبد العزيز الجليل: مرجع سبق ذكره، ص(17)، بتصرّف يسير.

(2) انظر: مجد الدين أبو البركات، عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الحراني: المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (171/2).

وانظر: عز الدين أبو إبراهيم، محمد بن إسماعيل الصنعاني: سبل السلام للصنعاني(471/2).

(3) انظر: محمد بن إسحاق بن يسار المدني: سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) (162/1)، والصلابي: السيرة النبوية (75/2).

فرجا، ومن يتق ربه ويصبر يرزقه من حيث لا يحتسب، قال الله ﷻ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[نوح: 10–12]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ ﴾[الأعراف: 96]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[هود: 6].

2- **التيقّظ لأساليب الأعداء في ضغط المسلمين اقتصادياً.**

" وأشار تعالى في سورة المنافقون إلى علاج الحصار الاقتصادي وذلك في قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ﴾ وهذا الذي أراد المنافقون أن يفعلوه بالمسلمين هو عين الحصار الاقتصادي، وقد أشار تعالى إلى أن علاجه قوة الإيمان به وصدق التوجه إليه جل وعلا بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾، لأن من بيده خزائن السموات والأرض لا يضيع ملتجئاً إليه مطيعاً له ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: 2 – 3]، وبين ذلك أيضاً ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [التوبة: 28] "[1].

فالكفار والمنافقون" يظنون أن المؤمنين يمكن أن يبيعوا إيمانهم بلقمة وكأنهم نسوا أن الذي يبيع إيمانه باللقمة هو من يُحمل على مبدأ باطل، لكن من يعتنق ويعتقد مبدأ حق يجد حلاوته في النفس، وأجره مدخر عند ربه"[2].

3- **الصبر في البأساء والضراء.**

" مسلك التجويع لصرف الناس عن الأديان، ومسلك رفع الأسعار لصرف الناس عن الأديان مسلك قديم، فعله المشركون لما حاصروا رسول الله ﷺ في شعب أبي طالب... وأكثر مسالك الكفار لها أصولها من عهد المرسلين، فهي مسالك قديمة، وعلاجها أيضًا معروف في كتاب الله ومعروف في سنة رسول الله، ولذلك جاء الحث على الصبر في البأساء والصبر في

---

(1) محمد الأمين الشنقيطي: الإسلام دين كامل (ص26) بتصرف يسير.

(2) الشعراوي: تفسير الشعراوي (2227/4).

الضـراء فـي عـدة آيـات"[1]، قـال الله ﷻ: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ [يوسف: 88]، أي: أصابنا الجوع والعري وسوء الحال من قلة المال والمئونة، فلا بدّ من التربيـة علـى الصـبر، قـال الله ﷻ:﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ [البقـرة: 214]، وقـال ﷻ:﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾[البقـرة: 177]، مسّـتهم البأسـاء والضـراء " قِيـلَ: الْبَأْسَـاءُ: الْقِتَـالُ، وَالضَّـرَّاءُ: الْحِصَارُ، ذَكَرَهُ الْمَاوَرْدِيُّ"[2].

وما فُرض على قطاع غزة هو" حصار شرس فُرض على شعب بأكمله وعلى أرضه ليستجدي الكيلو من الطحين وكيس الخبز؛ لأن الاحتلال قرر إغلاق المعابر وسجن أهل غزة والضفة في جدار أسمنتي وأسلاك شائكة!! رافقه تحالف عالمي مستمر لقطع جميع التحويلات حتى ولو كانت لمسح دمعة أرملة وكسوة يتيم وإغاثة مسكين لا يجد كِسرة خبز!!

ووصل الحال في غزة أن اثني مليون نسمة يعيشون على 1.3% من مساحة فلسطين التاريخية، وأكثر من 80% يعيشون تحت خط الفقر، ومع ذلك تمنع التحويلات عنهم، وتعطل عمل الجمعيات الخيرية ... وصار الموظفون بلا رواتب، واقتحامات واعتقالات وخطف وقتل يومي نال منه الأطفال النصيب الأكبر في الفترة الأخيرة"[3].

4- الاقتصاد وترك الإسراف والتبذير.

إنَّ الحياة لا تمضي على وتيرة واحدة، بل تتغير، وإزاء هذا التغيّر لا بد من وجود إطار معتدل يسير عليه الإنسان، وخاصةً في الظروف القاسية التي قد تلمّ به، ليحافظ المحاصرون على البقاء واستمرار الحياة لأطول فترة ممكنة، والمتأمّل في القرآن يجد حزمة نورانية كاملة من الهدايات الاقتصادية، التي تريد استخداماً مثالياً للموارد دون إسرافٍ أو تبذير، ونظرية كاملة في الاقتصاد وأهميته[4]، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾[الفرقـان: 67]، وقـال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾

(1) أبو عبد الله مصطفى بن العدوى المصري: سلسلة التفسير لمصطفى العدوي (12/64).

(2) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي: البحر المحيط في التفسير (140/2)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: أبو حيان: البحر المحيط في التفسير.

(3) أرشيف ملتقى أهل الحديث "التنصير في العالم الإسلامي"(282/50)، بتصرّف يسير.

(4) انظر: زيدان عبد الفتاح: منهج القرآن في الاقتصاد (ص:5).

[الأنعام: 141]، وقال ﷻ: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[الأعراف: 31]، وقال ﷻ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴾[الإسراء: 26]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾ [الإسراء: 29]، وقال ﷻ:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان: 67].

5- تنمية الاقتصاد الوطني.

ودعم المنتج المحلي، والعمل على تطويره، وزيادة الإنتاج الزراعي والحيواني، واستثمار الثروة السمكية، وتشجيع الصناعات الوطنية والمشاريع الشخصية والصغيرة ماديًّا ومعنويًا، وتنويع مصادر التجارة الخارجية والتعاون التجاري مع الدول والشركات بما يدفع عجلة الاقتصاد، وكذلك التشجيع على العمل والعطاء، قال الله ﷻ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: 10][1]، والمسلم يستشعرُ الأجر والثواب إذا نوى إعفاف المسلمين حتى لو كان يأخذ الأجر، ويتذكّر عظيم الثواب لمن بذل جهدًا أو معروفًا لغيره ولم ينتظر الأجر، قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[2].

6- فهم فقه الإنجاب والاهتمام بصلاح الذُّريَّة.

هناك فرقٌ بين تحديد النسلِ[3]، وبين تنظيم النسل، فلا يحرمُ أن ينظّم الإنسان طريقة الإنجاب وخاصة في الظروف الاستثنائية حتى يستطيع أن يقوم بتربية أبنائه تربية صحيحة ويوفّر لهم ما يحتاجون، ويساهم في تخفيف الحصار، فقد جاء أنَّ الصحابة كانوا يعزلون في زمن رسول الله ﷺ، فعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ ﷺ، أَنَّهُ بَيْنَمَا كانَ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَا

(1) انظر: رمضان إسحق الزيان: الأساليب النبوية والعصرية في فك الحصار عن الدعوة الإسلامية (ص:519-521).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المزارعة، بَابُ: فَضْلِ الزَّرْعِ وَالغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ (ح2320)، (103/3).

(3) (حكم تحديد النسل): لا يجوز تحديد النسل مطلقاً، ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق، يحرم استئصال القدرة على الإنجاب في الرجل والمرأة إلا لضرر محقق. انظر: التويجري: مختصر الفقه الإسلامي (809-810).

رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نُصِيبُ سَبْيًا، فَنُحِبُّ الأَثْمَانَ، فَكَيْفَ تَرَى فِي العَزْلِ؟ فَقَالَ «أَوَإِنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَفْعَلُوا ذَلِكُمْ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ نَسَمَةٌ كَتَبَ اللَّهُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَّا هِيَ خَارِجَةٌ»[1].

وقد نقل الزحيلي عن الدَّورَة الخامسَة لمجلس مجْمَع الفقه الإسلامي المنعقدة الكويت: 1 – 6 جمادى الأولى 1409 هـ/10 – 15 ديسمبر 1988 م ما يلي: قرار رقم (1) بشأن تنظيم النسل، ومما جاء فيه: "يجوز التحكم المؤقت في الإنجاب بقصد المباعدة بين فترات الحمل، أو إيقافه لمدة معينة من الزمان، إذا دعت إليه حاجة معتبرة شرعًا بحسب تقدير الزوجين عن تشاور بينهما وتراض، بشرط أن لا يترتب على ذلك ضررًا، وأن تكون الوسيلة مشروعة، وأن لا يكون فيها عدوان على حمل قائم"[2]، "والعزل جائز بشروطه ولعل من أهمها أن لا يكون الباعث عليه الفرار من المسؤولية وعناء التربية وخوف النفقة؛ لأن هذا يتعارض مع روح الدين الإسلامي القائل"[3] : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: 31]، وضرورة التركيز على أنَّ حاجة الأمة إلى الناجحين والنافعين لدينهم وأوطانهم أشدّ من حاجتها إلى الأعداد الضخمة، لصد عدوان الأمم المتكاثرة، وما انتصرت أمتنا في معركةٍ قط بكثرة العدد والعدّة وإنما بالإيمان ثم بالأخذ بأسباب النصر والتمكين.

7– محاربة الاحتكار والاستغلال.

حتى لا يكون الحصار فرصة لبعض التجار لمصِّ دماء المقهورين والمحاصرين وزيادة معاناتهم؛ باحتكار السلع الأساسية واستغلال السوق نظراً لندرة المئونة، قال الله ﷻ:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: 10]، وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ»، قال محمد عبد الباقي في شرح صحيح مسلم: "الاحتكار من الحكر وهو الجمع والإمساك قال في المصباح احتكر زيد الطعام إذا حبسه إرادة الغلاء والاسم الحكرة مثل الفرقة من الإفتراق، قال النووي: الاحتكار المحرم هو في الأقوات خاصة، بأن يشتري الطعام في وقت الغلاء للتجارة ولا يبيعه في الحال، بل يدخره ليغلو وأما غير الأقوات فلا يحرم فيه الاحتكار، والخاطئ هو العاصي الآثم"[4].

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: البيوع، بَابُ: بَيْعِ الرَّقِيقِ (ح2229)، (83/3).

(2) الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته (5155/7–5156)

(3) البخاري: صحيح البخاري تعليق مصطفى البغا، كتاب: البيوع، بَابُ: بَيْعِ الرَّقِيقِ (ح 2229)، (83/3).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: المساقاة، بَابُ: تَحْرِيمِ الِاحْتِكَارِ فِي الْأَقْوَاتِ (ح1605)، (1227/3).

وعرفه بعض الباحثين بقوله: "الاحتكار: هو حبس مال، أو منفعة، أو عمل، والامتناع عن بيعه، وبذله، حتى يغلو سعره غلاء فاحشاً غير معتاد، بسبب قلته، أو انعدام وجوده في مظانه، مع شدة حاجة الناس أو الدولة أو الحيوان إليه"[1].

و"يظهر من تعاريف الفقهاء للاحتكار: أنهم اتفقوا على أن الاحتكار يكون في حال الضيق والضرورة لا في وقت السعة، وفي البلد الصغير عادة، ومن طريق الشراء والامتناع عن البيع مما يضر بالناس؛ لأن في الحبس ضرراً بالمسلمين"[2]، ولا بدَّ للدعاة والخطباء أن يُبيّنوا للناس في خطبهم ومواعظهم أحكام الاستغلال والاحتكار، وضرورة مراعاة الأوقات العصيبة التي تمرُّ بها الشعوب المظلومة، وتحذير التجار من العقوبة في الدنيا والآخرة، مع التأكيد على أهمية ملاحقة التجار المُحتكرين ومحاسبتهم.

8- ضرورة حث الموسرين على الصدقة والإنفاق وإخراج الزكاة.

فلو قام الإمامُ بتجميع أموال الزكاة وتركيز استخدامها وتوزيعها أفضل من العمل العشوائي، وفي ذلك مصلحة كبيرة للمسلمين، ولفت انتباه المسلمين إلى أنَّ الصدقة أبوابها واسعة، مثل: الزكاة التي هي واجبة أصلاً، والوقف ومجاله واسع ولا يقتصر على بناء المساجد فقط، فهناك مشاريع كبيرة لا بد من ترسيخها في أذهان المسلمين كبناء المستشفيات والمدارس والمعاهد ومساعدة العزاب في الزواج وكفالة الأيتام، "فهذا العمل الخيري ـ ماديًا ومعنويًا وعلى مستوى الفقراء والأغنياء ـ يحمي الفرد والمجتمع من الآفات والجرائم والانحرافات والظلم والاحتكار، ويُؤَمِّن له الضروريات التي تحفظ حقوقه وكرامته، وتعينه على نوائب الدهر"[3]، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: 254]، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: 267]، وقال ﷻ: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴾ [الحديد: 11]، وقال النبي ﷺ: « قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ »، وَقَالَ:

---

(1) فتحي الدريني: الفقه الإسلامي المقارن مع المذاهب (ص: 90).

(2) وهبة الزحيلي الفقه: الإسلامي وأدلته (2692/4)

(3) محمد بن عبد الله السلومي: ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب (ص:51).

«يَمِينُ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[1]، وقال ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»[2]، والشواهد في الصدقة أكثر من أن تُحصى.

و"إذا كان أهل الباطل يبذلون الكثير من المال من أجل باطلهم وفجورهم فما بال الموسرين من المسلمين يمسكون ـ إلا ما شاء الله ـ عن الإنفاق في سبيل الله لنشر الحق، ودعوة الحق ومواساة المعوزين من المسلمين؟ فالبذلَ البذلَ ـ أيها المسلمون ـ وإلا حق فينا قول الحق ـ جل ثناؤه ـ: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: 38]"[3].

تأخير الزكاة وترك الصدقات من أسباب التهلكة.

إنَّ الأغنياء وأصحاب الأموال بكل أنواعها؛ إذا تأخّروا أو تخلَّفوا عن إخراج الزكاة، وتجاهلوا الإنفاق في سبيل الله لمساعدة إخوانهم المسلمين وتقوية عصب المجتمع وتماسكه بإعطاء الفقراء وإقامة المشاريع الخيرية التي تُغذي صمود المحاصرين؛ فإنهم يساهمون في زيادة الحصار.

والقرآن الكريم يوجّهنا إلى الإنفاق في سبيل الله ﷻ لحل مشكلاتنا وإنقاذنا من الضيق والتهلكة، وأن ترك الإنفاق في سبيل الله ﷻ هو التهلكة بعينها. قال الله ﷻ: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [البقرة: 195].

وهنا لا بد من التَرْكِيّز على عقوبة منع الزكاة وضرر تأخيرها:

قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴾[التوبة: 34 – 35]، ومعلومٌ أنَّ سورة التوبة قد نزلت إثر غزوة تبوك، وكان الناسُ بحاجة ماسّة للزاد

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ: الْحَثِّ عَلَى النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ (ح993)، (691/2).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ: ﴿ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ... الآية﴾ (ح1410)، (108/2).

(3) المنتدى الإسلامي: مجلة البيان (76/148).

والعتاد، وأنفق عثمان ﷺ ألف دينار ذهبًا لتجهيز جيش العسرة[1]، "وَمَعْنَى ﴿ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ انْتِفَاءُ الْإِنْفَاقِ الْوَاجِبِ، وَهُوَ الصَّدَقَاتُ الْوَاجِبَةُ وَالنَّفَقَاتُ الْوَاجِبَةُ: إِمَّا وُجُوبًا مُسْتَمِرًّا كَالزَّكَاةِ، وَإِمَّا وُجُوبًا عَارِضًا كَالنَّفَقَةِ فِي الْحَجِّ الْوَاجِبِ، وَالنَّفَقَةِ فِي نَوَائِبِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ وُلَاةُ الْعَدْلِ"[2]، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: « مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ – يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ – ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلاَ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ... الآيَةَ ﴾[آل عمران: 180] [3].

ثالثًا: سبل مواجهة الحصار السياسي.

هناك العديد من السبل لمواجهة الحصار السياسي، من أهمها ما يأتي:

1- فتح خطوط حوار مع الدول التي لها تأثير، وإقناعها على الاعتراف بشرعية الدول المحاصرة بقيادتها المنتخبة من شعوبها، فإنَّ هذا بداية الطريق لكسر الحصار، والاستفادة من قوانين الكفر فيما يعود على الأمة بخير دون التنازل عن العقيدة، أو الوقوع في شراك هؤلاء، وأن نستثمر القوانين الدولية التي تساعد على كسر الحصار، وتجميع جهود من يكره السياسة الغربية تجاه شعوب المسلمين،[4] وكلما كان عدد المعارضين للحصار أكثر، واستطعنا عمل تحالفات سياسية كان أنجع في إجهاض الحصار، ولقد رأينا كيف نجح النبي ﷺ بإرغام الوثنية على الاعتراف الرسمي بدولة الإسلام من خلال توقيع صلح الحديبية، الذي كان يظن بعض الصحابة أنه ليس في صالح الإسلام، لكنه كان بمثابة حجر الأساس لانطلاقة جديدة لطلائع التوحيد، "وهل من هزيمة أعظم من قبول قريش المصالحة وبعثه وفد بذلك، قريش قبل عام واحد تحاصر المسلمين مع من جيشت من العرب، وتأتيهم من فوقهم ومن أسفل منهم وهي اليوم تبعث وفدا للمصالحة مع المسلمين على مشارف مكة، إنه نصر ساحق ولا شك، والنصر الآخر هو أن تقف مكة على الحياد وتقف الحرب في جزيرة العرب وتفتح أبواب الجزيرة أمام المد

---

(1) انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن (1645/3)، وابن عاشور: التحرير والتنوير (176/10).

(2) ابن عاشور: مرجع سبق ذكره (177/10).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة (ح1403)، (106/2).

(4) انظر: رمضان إسحق الزيان: الأساليب النبوية والعصرية في فك الحصار عن الدعوة الإسلامية (ص:514-516)

الإسلامي، إنه نصر ساحق ولا شك، وأن يعود المسلمون في العام القادم ويدخلوا مكة باعتراف رسمي وحماية رسمية دون أن يتعرض لهم أحد بسوء، إنه نصر ماحق ولا شك"[1].

2- من خلال العمل على إقناع الدول الصديقة والشخصيات المقرّبة بالتأثير في إلغاء القرارات الظالمة، وتذكيرهم بضرورة إظهار حق المحاصرين بالحياة وعدم غمطهم حقوقهم، وطلب عدم مشاركتهم في محاصرة المستضعفين، وهذا له أثر كبير كما حدث في أثناء المقاطعة العامة التي أعلنتها قريش، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: 71]، وقال الله ﷻ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [آل عمران: 99]، وقال ﷻ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: 59].

3- إنَّ الناظر إلى معركة السياسة اليوم؛ ليدرك أن القوي هو الذي يتكلم على طاولة السياسة، والدول الضعيفة عسكريًا واقتصاديًا تبقى مهمَّشة منزوية، لا تسمع لها حسًا ولا ترى لها مكانًا بين الدول، ولذلك لا بد من تعاظم قوة المسلمين، وحدة شوكتهم، ليُرغموا أعداءهم على احترامهم والسماع لهم، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [الشورى: 41 – 42].

4- استطاع النبي ﷺ أن يعقد التحالفات مع القبائل التي تسكن في مسرح عمليات المسلمين ضد الكفار؛ حتى يضمن تعاونها أو حيادها على الأقل في الصراع الدامي، وهي خطوة نجح فيها المسلمون في الحصار السياسي لقريش؛ لأن هذه القبائل بينها وبين قريش مصالح دينية في قصدهم للبيت الحرام، ومصالح أخرى تجارية سمَّاها القرآن الكريم الإيلاف في قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾ [قريش: 1 – 2]، ومع إشتراك الجميع في معاداة الإسلام، فإن موادعة هذه القبائل وتحييدها نجاح كبير في الوقوف لقريش في تلك المرحلة من الصراع[2]، وهذا درسٌ مهم في محاولة تحييد الدول الغربية، أو استخدامها في الضغط على العدو لتخفيف الحصار على المسلمين.

---

(1) منير الغضبان: التربية الجماعية (34/3).

(2) انظر: محمد بن مصطفى الدبيسي: السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية(445/1).

رابعاً: سبل مواجهة الحصار الاجتماعي.

خلق الله ﷻ الإنسان وجعله ينزع إلى الحياة مع الآخرين والالتقاء بهم، إذ إنه لا يستطيع أن يعيش منعزلاً بمفرده عن بني جنسه، يستوي في ذلك الأفراد والجماعات والأمم والدول، ومن أهم الإضاءات التي يمكن أن تساهم في مواجهة الحصار الاجتماعي ما يلي:

1- **إحياء سنن الزيارة وصلة الأرحام.**

ويكون هذا من خلال زيارة المسلمين لإخوانهم ومواساتهم ومجاملتهم بحضور مناسباتهم، فهذا سبيلٌ لمواجهة الحصار الاجتماعي، بالتواصل المستمر، إذ أنَّ قطيعة الأرحام إضعاف للنسيج الاجتماعي، وإفسادٌ في الأرض وهجرٌ بين المسلمين، وهذا يُعطي ذريعة للأعداء بزيادة التضييق، قال الله ﷻ: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾ [محمد: 22]، وقال الله ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾[النساء: 1]، ويكون التكافل الاجتماعي بالمواساة بالمال والعطاء والمساندة وغيرها، وهذا ما سعى النبي ﷺ إلى تحقيقه كعملٍ من أهم الأولويات التي قام بها في المدينة النبوية، والذي عُرِف في السيرة بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، "ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد أزر بعضهم ببعض"[1].

2- " **تنمية الروابط الأسرية والاجتماعية.**

ومن حكمة الزواج تنمية الروابط الأسرية، وتعزيزها، وتوسيع دائرتها، لأن المصاهرة تنشئ علاقات جديدة بين الزوجين، وأهليهما، وهذه سنة من سنن الله تعالى في العائلات والمجتمعات"[2]، وكان "من عادة العرب قديما أنهم يُزوّجون بناتهم للقبائل التي يعرفونها ويقف بعضهم عن تزويج من ليس من قبيلة يعرفها، وهذا باقٍ في الناس"[3] وموجودٌ حتى يومِنا هذا، فوضَعَ القرآن أساسًا نسيرُ عليه فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات:13]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ﴾ [الفرقان:

---

(1) جمال الدين، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية لابن هشام ، طه عبد الرؤوف سعد (108/2).

(2) الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: مجلة البحوث الإسلامية (302/33).

(3) المرجع السابق: (115/32).

54]، وتوسيع الآصرة الاجتماعية يفرض على العدو كثرة التنقّل والحركة بين المدن وفي هذا كسرٌ للحصار الاجتماعي، وتحدّي للعدو بأحقيّة المحاصرين في بلادهم.

3- **الإصلاح ونشر الألفة بين الأفراد والجماعات.**

ولا يخفى على ذي لبٍ خطر الخصومات والنزاعات في هدم حصون المجتمع، وضعفها في مواجهة التحديات والأزمات، فلا بدَّ من القضاء على التحريش بين العوائل والأفراد، والتقريب بين الأحزاب والجماعات لنكون جسدًا واحدًا في مواجهة الأعداء، قال الله ﷻ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾ [الأنفال: 1]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾ [النساء: 128]، فعلى الدعاة أن يحرصوا على التئام لحمة الفرقاء وتقريب وجهات النظر، والاعتناء بنشر الألفة والود عناية فائقة[1].

خامسًا: سبل مواجهة الحصار الفكري.

من أهم سبل مواجهة الحصار الفكري وأخطاره، الأمور التالية:

1- **غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة.**

لا بدَّ من تبسيط دراسة العقيدة الإسلامية قدر الإمكان في كل المستويات التعليمية، قال الله ﷻ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد: 19]، والعمل على التعبئة الفكرية السليمة، مع ضرورة التركيز على دور المساجد والبيوت والقدوة في عملية التربية؛ لتحصين الأجيال من أخطار الانحراف الفكري، ونشر الوعي بين الأهالي بعدم تسجيل أبنائهم في مرحلة الطفولة في المؤسسات التعليمية التابعة للنصارى لأنها تُشكّل خطراً على عقيدتهم، وبيان ضلالهم وانحرافهم، وهذا ما يدلّ عليه قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[التوبة: 30 – 31]، ثم توجيه المسلم إلى العقيدة الصحيحة، قال الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

(1) انظر: سعيد بن علي بن وهب القحطاني: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري (1071/1).
وانظر: رمضان إسحق الزيان: الأساليب النبوية والعصرية في فك الحصار عن الدعوة الإسلامية (ص:523).

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: 285]، فمن تحصّن بالعقيدة الصافية لا يُخشى عليه من التلوث الذهني والانحراف الفكري.

2- **تجديد الصحوة بالمنهج الإسلامي الأصيل.**

إنَّ سيل التحديات الذي يواجه الأمة لا بد أن يدفع الصحوة الإسلامية إلى تأسيس فكرها على مصادر الإسلام الصحيحة من كتاب وسنة، وأن تدعو في قوة وأصالة إلى تحرير الفكر الإسلامي والعقل الإسلامي من التبعية في كافة المجالات﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾ [النساء: 89]، وانعتاق القلب الإسلامي من الولاء لغير الله ﷻ، وبعد ذلك لا بد من الاستعانة بالمنهج الإسلامي الأصيل في وضع الحلول للقضايا اليومية، ومقاومة خطة اليأس وانتقاص الإسلام ولغته وتاريخه وقيمه[1].

3- **تنقية التاريخ والفكر الإسلامي من التشوّهات والشوائب.**

بعد أن عمد المستشرقون إلى السخرية من الإسلام ونشر فكرة إغضاء الطرف عن الماضي البالي ـ كأسلوب من أساليب الانتقاص والتشكيك لحياة السلف ـ، وامتدّت الحملة إلى القرآن الكريم وسيرة النبي ﷺ، فتناولته بالتزييف والمغالطة والقدح في شخص النبي ﷺ، وأخضعوا البحث العلمي للأهواء والظنون، والمقصد من هذا كله إفساد الصورة المشرقة والحية للإسلام وبطولاته وأمجاده في نفوس أهله وأتباعه[2]، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [آل عمران: 100-101]، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: 149]، وقال الله ﷻ: ﴿ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [الممتحنة: 2].

---

(1) انظر: أنور الجندي: كيف يُحطّم المسلمون قيد التبعية والحصار (ص: 97).

(2) انظر: أنور الجندي، المرجع السابق (ص: 75-76).

4- العمل على تنمية انتماء الأفراد للوطن.

من خلال الندوات، والبرامج التربوية والإرشادية، والبعد عن التطعيم الحزبي والفئوي الذي يجعل ولاء الفرد للحزب والتنظيم أكثر من ولائه لدينه ووطنه وأسرته، ممّا يؤدي إلى زيادة مساحة الخلاف والافتراق، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 92] ، وقال النبي ﷺ: «إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ[1].

5- ضرورة توفير فرص عمل للخريجين والعاطلين.

واحتواء الكفاءات وعدم تركها ضحية للهجرة، من خلال عمل مشاريع متنوعة تحتويهم، وتضمن لهم حياة كريمة، وضرورة إبراز مخاطر الهجرة وتحصين عقول الشباب؛ لأنَّ الخاسر الأكبر هو الوطن، ولذلك ينبغي عدم إغفال معالجة الانحرافات الفكرية حتى لا تتفشّى في المجتمع، ويظهر هذا في الحوار الذي دار بين عبد الله بن عباس والخوارج[2]، وصبر الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن لأنه كان يُعالج انحرافًا فكريًا سيؤثر سلبًا على عقيدة المسلمين في القرآن وعلى طلبة العلم إن لم يتداركه[3].

سادسًا: سبل مواجهة الحصار الأخلاقي.

1- أول السبُل وأهمها على الإطلاق: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ إنه صمّام أمانٍ للمسلم من الانحراف، وللمجتمع من التفكك، قال الله ﷻ: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: 116].

2- لا بدَّ أن ينبري المصلحون والدعاة والمربّون؛ لفضح المفسدين وأساليبهم الخبيثة، وكشفها للناس، قال الله ﷻ: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: 62 ، 63]، وإنَّ الأمة بحاجة إلى عقد مؤتمرات كبيرة لموضوعٍ

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الصلاة، بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي المَسْجِدِ وَغَيْرِهِ (ح481)، (103/1).

(2) انظر: البخاري: المرجع السابق، كتاب: تفسير القرآن، بَابُ: قَوْلِهِ: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ ... الآية﴾ (127/6)، وابن حجر العسقلاني: فتح الباري (557/8-558).

(3) انظر: أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر (190/1-191).

خطير كهذا؛ لمواجهة هذا السيل الجارف من الغيِّ والإفساد، يُستدعى فيها كل شرائح وتوجّهات المجتمع؛ إذ لا يكفي جهود طائفة معيّنة.

3- الخروج بخطة صيانة للسلوكيات البالية، وتجديدها وعمل لقاءات توعوية يرافقها مقاطع تربوية هادفة ونشرات تطويرية، والتواصل مع الجماهير انطلاقًا من خلال المساجد والبيوت والمؤسسات التعليمية، مع التركيز على المساجد لدورها الريادي في رفعة الأمة وقوتها، قال الله ﷻ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ [النور: 36]

4- حذّرنا النبي ﷺ من اتّباع هؤلاء الكفار ومجاراتهم في انحلالهم وسقوطهم، وتقليدهم في سفورهم، فقال في الحديث الشريف: « لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ»[1].

5- ضرورة تشفير القنوات الفضائية التي تسعى لنشر الرذيلة، لا سيما بين الأطفال والمراهقين والحذر من القنوات التي تنشر الإلحاد والانحراف، أو التنصير أو التشيّع وغيرها من الانحرافات الفكرية والأخلاقية الخطيرة، وفلترة مواقع الإنترنت وتحديد سن مُعينة للأطفال لاستخدام وسائل التواصل والاتصال الحديثة بالتعاون مع المرشدين التربويين، قال الله ﷻ مُحذّراً المؤمنين من تركيز الكفار على الشهوات ومحاولة سحب المسلمين إلى مستنقعها: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 27].

6- أخلاق الإسلام هي الوسيلة الكبرى لانتشاره، وقد تحقق هذا عمليًا من خلال حسن تعامل المسلمين مع أعدائهم في الحروب، مما فتح الآفاق لانتشار الإسلام، قال الله ﷻ: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 151]، وقال الله ﷻ مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم: 4]، وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخلاق»[2]، ومن أهم هذه الجوانب: العفو عند المقدرة، والوفاء بالعهود والمواثيق، وتقديم العقيدة على الذات، وصدق الحديث والكرم، وهذه الأخلاق هي التي سارعت بإسلام الناس في فتح مكة، وفي كل الآفاق التي بلغها الإسلام[3].

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» (ح7320)، (103/9).

(2) محمد بن إسماعيل البخاري: الأدب المفرد، بَابُ حُسْنِ الْخُلُقِ (ح273)، (104/1).

(3) انظر: منير الغضبان: التربية الجماعية (527/1-529).

سابعًا: سبل مواجهة الحصار الإعلامي.

يُعتبر الإعلام من أهم الأسلحة الحاسمة في المعارك، لأنَّه كفيلُ بتوجيه الرأي العام، وقلب الحقائق، وتوثيق كافة الأحداث، والعمل على تغيير بعض الثقافات والقناعات، وتكمن سبلُ مواجهة هذا النوع الذي يستخدمه الأعداء في الملامح التالية:

1- يجب التحذير من" التلبيس والتضليل الشديدين الذين يمارسهما إعلام الكفار والمنافقين، مستغلين ضغط هذه الأحداث في إضلال الناس وحرفهم عن الصراط المستقيم، مستخدمين في ذلك وسائل الإعلام المختلفة في إثارة الشبهات والحرب النفسية، وسعيهم في زعزعة الثوابت وأصول الاعتقاد في نفوس الناس، قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾[فصلت: 26]، بهدف خلط المفاهيم، وتشويه الفطرة، ونسف أصول العقيدة الصافية، وأيضا لتضليل الجماهير التي تبحث عن الحق، حتى أصبحنا نُفاجأ بتغيّرات في المفاهيم والمواقف عند كثير من الناس"[1]، قال الله ﷻ مُحذّرًا من خطرهم: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ [محمد: 16]، "وذلك أن النبيّ ﷺ خطب الناس يوم الجمعة، وعاب في خطبته المنافقين، فلما خرجوا من عنده، قال بعض المنافقين لعبد الله بن مسعود، وهو الذي أوتي العلم: ماذا قال آنفاً؟ يعني: الساعة، على جهة الاستهزاء"[2].

2- الإصرار على "النجاح في كسب الإعلام الخارجي وتعاطف العالم مع الانتفاضة من خلال استخدام الوسائل السلمية والارتقاء بها، والإبداع بها ونقل صورة مايجري على الرغم من الحصار الإعلامي اللامسبوق"[3]، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾[النمل: 30-31]، وكان هذا هدي النبي ﷺ عندما أرسل الرسل والكتب للملوك، فدعاهم إلى الإسلام واستفاد من تعاطفهم مع الدعوة كما حدث مع النجاشي ملك الحبشة[4].

3- "إذا كان الحصار بسلاح الكلمة والكتاب والمجلة والوسائل الإعلامية الخبيثة بأنواعها المقروءة والمسموعة والمشاهدة منها ـ التي يُباشر الكفار بعضها وينيبون إخوانهم من المنافقين

---

(1) عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه"، ص(23).

(2) السمرقندي: بحر العلوم (301/3).

(3) علي بن نايف الشحود: نصائح وتوجيهات على الطريق (395/1) بتصرّف.

(4) انظر: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (359/1).

في بعضها. فإنَّ الجهاد بالبيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمدافعة والتحصين يصبح واجبًا عينيًا على كل قادر من المسلمين كلٌ بحسبه"[1]، قال الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110].

4- " إنَّ الحق يستنير ويَتَّضح، إذا قام الباطل يُصارعه ويُقاومه بكل ما يملك، فإنه ـ حينئذٍ ـ يتبيّن من أدلة الحق، وشواهده الدَّالة على صدقه وحقيقته، ومن فساد الباطل وبطلانه، ما هو أكبر المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون"[2]، قال الله ﷻ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18]، وهنا " كان لزاماً على كل مقتدرٍ من أهل العلم وطلابه مواجهة هذا التلبيس وكشفه عن الناس، وردّ شبهات المشبِّهين وضلالات المُضلِّين"[3].

5- الاهتمام بالتعبئة الإعلامية بجميع أنواعها، وعدم إغفال دور البيان والخطابة، والأناشيد الجهادية والحربية، التي تبعث على الهمم، وتحضُّ على النشاط والجهاد والدعوة، ففي حديث البراء بن عازب ﷺ قال: « لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ ، رأيته ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عني التراب جلدة بطنه ـ وكان كثير الشعر ـ فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب يقول:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا»[4].

و"عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: جَعَلَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الخَنْدَقَ حَوْلَ المَدِينَةِ، وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ، وَيَقُولُونَ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الإِسْلاَمِ مَا بَقِينَا أَبَدَا،

---

(1) عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه" (ص:15)، بتصرّف يسير.

(2) المرجع السابق (ص:29).

(3) المرجع السابق (ص:23) بتصرّف يسير.

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المغازي، بَابُ: غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ (ح4106)، (110/5)، وانظر: إبراهيم بن محمد العلي: صحيح السيرة النبوية (266/1).

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُجِيبُهُمْ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ، فَبَارِكْ فِي الأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ»[1].
وعَنْ عَدِيٍّ وَهُوَ ابْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ: «اهْجُهُمْ، أَوْ هَاجِهِمْ، وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»[2].
فهو يُثبّتُ المؤمنين، ويبثُّ الرعب في قلوب الأعداء، ويُشعرهم بقوة المسلمين.

المطلب الرابع: الوسائل القرآنية لمواجهة الحصار على المسلمين.

القرآن الكريم حافلٌ بالوسائل والطرق التي تُسهّل على الباحثين والمتأملين استنباط ما يصلح لحل مشكلاتهم، وفي هذا المطلب تظهر بعض الوسائل القرآنية التي تساهم في مواجهة الحصار، وذلك في الأمور التالية:

أولاً: أهمية الحصار العكسي" حصار المسلمين للأعداء".

وهدفه قلب السحر على الساحر، قال الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ [الحشر: 2 – 3]، ولم يكن هذا الجلاء وهذا الإخراج لليهود إلا بعد حصارهم، "وَلَوْ لَمْ يُعَاقِبْهُمُ اللَّهُ بِالْجَلَاءِ لَعَاقَبَهُمْ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ لِأَنَّهُمُ اسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ، فَلَوْ لَمْ يَقْذِفْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ حَتَّى اسْتَسْلَمُوا لَعَاقَبَهُمْ بِجُوعِ الْحِصَارِ وَفَتَحَ دِيَارَهُمْ عَنْوَةً فَعُذِّبُوا قَتْلًا وَأَسْرًا"[3].

وكانت غزوة بدر بسبب نية المسلمين فرض حصار اقتصادي على كفار قريش بعدما كمنوا لمهاجمة قافلة قريش التي كانت تحمل أموالهم وتجارتهم، وليُعوّضوا بعض ما فقدوه من أموالهم وتجارتهم في مكة بعد أن هاجروا وتركوا أموالهم وملاعب صباهم وبيوتهم.

وعندما فرض المسلمون الحصار على بني النضير " أمر النبي ﷺ بقطع نخلهم وإحراقه، حتى لا يبقى لهم تعلق بأموالهم، ونادوا يا محمد: قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيب من

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: حَفْرِ الخَنْدَقِ (ح2835)، (25/4).
(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، بَابُ فَضَائِلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ (ح2486)، (1933/4).
(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير (73/28).

يصنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟! فنزل قوله تعالى كما تقدم: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الحشر: 5]، والنخيل الذي قطع وأحرق هو البويرة، لأن رسول الله ﷺ لمَّا حاصرهم، أمر بقطع نخيلهم، إهانة لهم، وإرهابًا وإرعابًا لقلوبهم. وقد تمّ قطع النخل بأمر الله ﷻ ومشيئته، ولإذلال اليهود الذين كفروا بالله تعالى ورسوله ﷺ وكتبه"[1]، ولو أنَّ المسلمين في زماننا على كثرتهم قاموا بهذا الحصار على الأعداء عسكرياً وسياسياً وقاطعوهم اقتصادياً، وأنفقوا أموالهم نصرة للمستضعفين، وتسليحاً للمجاهدين لاستطاعوا أن يُخلّصوا المسلمين ومسجدهم الأقصى من براثن الأعداء، ولكنهم للأسف غثاءٌ كغثاء السيل، وكأَّنهم لم يسمعوا قول الله ﷻ: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: 38].

ثانيًا: أهمية الإنفاق في مواجهة الحصار.

لا بدَّ من فهم فقه الإنفاق في سبيل الله، وعدم إغفال المُحصرين الذين يتعرّضون لظروف اقتصادية صعبة، فيحتاجون إلى عناية وإغناء حتى تتماسك الجبهة الداخلية للمجتمع، وتظهر هذه المعاني في الإضاءتين التاليتين:

1- ضرورة إغناء المُحصَرين في سبيل الله.

قال الله ﷻ: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 273]، وهذه الآية نزلت في أهل الصّفّة، وهم أربعمائة من المهاجرين، أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا.

"وأما قَوْله: ﴿ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فِيهِ ثَلَاثَة أَقْوَال:

- أحدها: قَالَ ابْن عَبَّاس: يَعْنِي: حَبسهم الْعَدو والفقر عَن سَبِيل الله وَالْجهَاد، فصاروا مَحْصُورين عَنهُ.

- وَقَالَ سعيد بن الْمسيب: أَرَادَ بِهِ: أَنهم خَرجُوا إِلَى الْحَرْب، فَأَصَابَتْهُمْ جراحات، فصاروا محصرين عَن الْجِهَاد بِسَبَب الْجِرَاحَات.

---

(1) الزحيلي: التفسير المنير (28/71-72) بتصرّف يسير.

– وَقَالَ قَتَادَة – وَهُوَ أحسن الْأَقْوَال –: مَعْنَاهُ: أَنهم حبسوا أنفسهم على الْجِهَاد فِي سَبِيل الله، وَتركُوا الْخُرُوج للتِّجَارَة والمعاش، ووقفوا أنفسهم على الْحَرْب"[1]، وقصروها على طاعة الله من جهاد وطلب علمٍ وغيره.

فهم مستعدون لذلك محبوسون له، وهؤلاء من أحقِّ الناس بالصدقة؛ إذ لو اشتغلوا بالكسب والتجارة كغيرهم لتعطلت المصالح العامة، فهم فداء الأمة وحماتها وقادتها المجهولون المُوَجِّهون لها في وقت السّلم والحرب، وفي الشدّة والأزمة أو المحنة، قال الله ﷻ: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾[الأحزاب: 23].

وإنَّ المسلم ليغبط طائفة من المؤمنين قائمةً في الثغور، حبسوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله في الإعداد المتواصل لمجاهدة الكفار، ومعظم هؤلاء من الفقراء الذين ينبغي أن تُوجّه أنظار المسلمين من إخوانهم إلى ضرورة كفايتهم وأهلهم لأنهم أُحصروا في سبيل الله، ولا يعرفهم إلا من بحث عنهم لأنهم يترفّعون عن السؤال من شدة تعفُّفهم وصدق صبرهم، يعملون بصمتٍ على ظاهر الأرض وفي باطنها، في ثغورهم وأنفاق إعدادهم، ويحتاجون للنفقة حتى يعفوا أنفسهم وأولادهم، ويكفي الأمة أنهم ينوبون عنها في الجبهات والنزال[2].

ومثلُ هؤلاء في الأحقية بالصدقة: الذين "لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ أي لا يتمكنون من القيام بالسفر أو السّير في البلاد للتجارة والكسب، والضرب في الأرض: هو السّفر، وعجزهم لأسباب عديدة منها: الكبر والشيخوخة، ومنها المرض، ومنها الخوف من العدو، ونحو ذلك من الضرورات"[3]، والمسكين هو ضعيف الكسب.

ومثلهم أيضًا: المتعفّفون من عامة المسلمين، وهؤلاء حقوقهم تقع على ولي الأمر الذي يجب عليه أن يتفقّد أحوالهم ولا يغفل عنهم مهما كانت الظروف، وخاصةً إغناءهم في أوقات

---

(1) منصور بن محمد السمعاني: تفسير القرآن (276/1–277).

(2) انظر: إسماعيل حقي: روح البيان (434/1)، وإبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (104/4)، والطبري: جامع البيان (24/5–25)، والدر المصون (314/2)، والسعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (116/1)، والزحيلي: التفسير المنير (74/3).

(3) الزحيلي: مرجع سبق ذكره (77/3).

الحصار والأزمات وعدم تمييز غيرهم عنهم، لقول النبي ﷺ: « كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ»[1].

وإن تعجب فعجبٌ ممن ولاّه المسلمون أمرهم ثم هو يتخلّى عن أمورِ نفقاتهم رغم غناه، وإن أعطى انتقى وفرّق ولم يعدل، والأعجب ممن يُشدّد على رعيته ويمنعُ عنهم المئونة والمدد حصاراً وتضييقاً، ويُساعدُ عدو الأمة والدين في حبسهم والتحريض عليهم، وكأنَّ هؤلاء لم يتدبّروا قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾[الممتحنة: 13].

وقد جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»[2]، وقال ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[3]، وقال ﷺ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ»[4].

2- فهم فقه الإنفاق في سبيل الله ﷻ.

فإنَّ الحكمة تقتضي فهم الظروف الاستثنائية الصعبة التي تمرُّ في حياة الفرد والجماعة ـ مع التأكيد على أهمية وفضل الإنفاق في سبيل الله ـ، قال الله ﷻ:﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ [البقرة: 219]، "والْعَفْوَ: هو ما ينفقه المرء دون أن يجهد نفسه وماله، ونحو هذا هي عبارة المفسرين، وهو مأخوذ من عفا الشيء إذا كثر، فالمعنى أنفقوا ما فضل

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: العتق، بَابُ كَرَاهِيَةِ التَّطَاوُلِ عَلَى الرَّقِيقِ، وَقَوْلِهِ: عَبْدِي أَوْ أَمَتِي (ح2554)، (150/3).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، بَابُ: فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ (ح1828)، (1458/3).

(3) المرجع السابق، كتاب: الإيمان، بَابُ: الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ (ح21)، (1460/3).

(4) مسلم: مرجع سبق ذكره، كتاب: الإيمان، بَابُ: الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ (ح22)، (1460/3).

عن حوائجكم ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة"[1]، "فأمرهم أن ينفقوا العفو، وهو المتيسر من أموالهم، الذي لا تتعلق به حاجتهم وضرورتهم، وهذا يرجع إلى كل أحد بحسبه، من غني وفقير ومتوسط، كل له قدرة على إنفاق ما عفا من ماله، ولو شق تمرة، ولهذا أمر الله رسوله ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس وصدقاتهم، ولا يكلفهم ما يشق عليهم"[2]، ونفهمُ "أَنَّ الْمَرْءَ لَيْسَ مُطَالَبًا بِارْتِكَابِ الْمَآثِمِ لِيُنْفِقَ عَلَى الْمَحَاوِيجِ، وَإِنَّمَا يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ مِمَّا اسْتَفْضَلَهُ مِنْ مَالِهِ وَهَذَا أَمْرٌ بِإِنْفَاقٍ لَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ وَهَذَا أَفْضَلُ الْإِنْفَاقِ، لِأَنَّ مَقْصِدَ الشَّرِيعَةِ مِنَ الْإِنْفَاقِ إِقَامَةُ مَصَالِحِ ضُعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ... وتَضَافَرَتْ أَدِلَّةُ الشَّرِيعَةِ وَانْعَقَدَ إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ إِنْفَاقٌ إِلَّا النَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةَ وَإِلَّا الزَّكَوَاتِ"[3]، وهذا من الفقه الحسن للحاكم في وقت الضيق والحصار بألا يثقل على الرعية في الضرائب والالتزامات المالية حتى يضمن لهم التقوّي على أيام الحصار وشدَّته، وروي أن النبي ﷺ: قال: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[4]، فَإِنَّ الْبَدَاءَةَ بِمَنْ يَعُولُ ضَرْبٌ مِنِ الْإِنْفَاقِ، لِأَنَّهُ إِنْ تَرَكَهُمْ فِي خَصَاصَةٍ احْتَاجُوا إِلَى الْأَخْذِ مِنْ أَمْوَالِ الْفُقَرَاءِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»[5].

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: 254]، ولا بدَّ من ميزان التَّوَسُّطِ لِعَامَّةِ النَّاسِ، كَمَا بَيَّنَهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء: 29]، وَكَمَا امْتَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمًا بِالِاعْتِدَالِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: 67].

و"لذلك أمر سبحانه وتعالى المؤمنين بأن يستعدوا للقتال بالإنفاق في سبيل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ أي أنفقوا في سبيل الله، فالإنفاق في سبيل الله هو الإنفاق في سبيل الحق، وسبيل كل خير في هذا الوجود، فكل ما ينفق في سبيل الفضيلة

---

(1) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (295/1)

(2) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (98/1).

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير (351/2-352)

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، بَابُ لاَ صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غِنًى (ح1426)، (112/2).

(5) المرجع السابق، كتاب: الوصايا، بَابُ: أَنْ يَتْرُكَ وَرَثَتَهُ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَكَفَّفُوا النَّاسَ(ح2742)، (3/4).

من إعطاء لليتامى والمساكين وابن السبيل، وإقامة دعائم الاقتصاد الفاضل، والعمران الشامل هو مما ينفق في سبيل الله، وأقواها مما ينفق في سبيل حماية الحوزة، والدفاع عند الاعتداء.

ولن تستطيع الأمة أن تدافع عن نفسها، وترد كيد أعدائها إلا من خلال عنصر القوة المتمثّل في المال لثلاثة أسباب:

- أولها: أن المال عدة التسليح، ولا قتال من غير سلاح.
- وثانيها: أن الإنفاق في سبيل إقامة العمران رفع لمستوى الأمة الاقتصادي، وهل الحرب اليوم إلا على الاقتصاد والتضييق التجاري!.
- وثالثها: أن الإنفاق على ضعفاء الأمة يجعل منهم سواعد قوية تحمي الديار، وتُحصِّن الجبهة الداخلية.

والإنفاق في هذه الآية واجب، بدليل الوعيد الذي تضمنه الطلب، ولذا قال كثير من المفسرين إن الإنفاق المطلوب في هذه الآية هو الزكاة، إذ يُنفق منها في الجهاد وللفقراء والمساكين وابن السبيل والغارمين، فتتحقق بها قوة الأمة من كل نواحيها.

فالإنفاق المطلوب في هذه الآية إنفاق واجب؛ ولكنه أعم من الزكاة، فليس الإنفاق الواجب مقصورًا على الزكاة، بل إنه في الحرب عندما تشتد الخطوب، ولا يكون في بيت المال ما يكفي يكون واجبًا، والإنفاق على الفقراء إذا لم تكف الزكاة يكون واجبًا؛ فالقصر على الزكاة ليس بصحيح[1].

وقال الله ﷻ: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: 7]، وفي الآية دليلٌ على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس يسرًا وعسرًا، فمن ضُيّق عليه رزقه فكان دون الكفاية فلينفق على مقدار طاقته، وما آتاه الله من المال، فلا يكلف الله أحدًا إلا قدر طاقته واستطاعته، فالفقير لا يكلف مثل الغني[2].

ثالثًا: تجفيف منابع الخونة والحذر من الخطر الداخلي.

"الموضوع الرئيسي الذي تعالجه سورة التوبة هو بيان ما يجب أن تكون عليه علاقات المسلمين بغيرهم من المشركين والمنافقين وأهل الكتاب، وإبراز ما كانت تنطوي عليه نفوس المثبطين والمتخلفين والمتثاقلين، حين استنفر رسول الله إلى غزوة تبوك في السنة التاسعة من

---

(1) انظر: أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى: زهرة التفاسير (2/926-928).

(2) انظر: محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير (3/378).

الهجرة، بغية فك الحصار الذي كان يضربه الروم إذ ذاك على الدعوة الإسلامية ناحية الشام، وتمهيدا لخروج هذه الدعوة السماوية من جزيرة العرب، وانتشارها في بقية أرجاء العالم"[1].

قال الله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: 60].

"وَالْمرَاد بالآخرين مِنْ دُونِهِمْ أَعْدَاءٌ لَا يَعْرِفُهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِالتَّعْيِينِ وَلَا بِالْإِجْمَالِ، وَهُمْ مَنْ كَانَ يُضْمِرُ لِلْمُسْلِمِينَ عَدَاوَةً وَكَيْدًا، وَيَتَرَبَّصُ بِهِمُ الدَّوَائِرَ، مِثْلَ بَعْضِ الْقَبَائِلِ، فَقَوْلُهُ: لَا تَعْلَمُونَهُمُ أَيْ لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَهُمْ قَبْلَ هَذَا الْإِعْلَامِ، وَقَدْ عَلِمْتُمُوهُمُ الْآنَ إِجْمَالًا، أَوْ أُرِيدَ: لَا تَعْلَمُونَهُمْ بِالتَّفْصِيلِ، وَلَكِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ وَجُودَهُمْ إِجْمَالًا مِثْلَ الْمُنَافِقِينَ"[2].

"﴿ وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ ثُمَّ لَمَّا حَقَّتِ الْحَقَائِقُ وجَدَّ بِهِمُ الْحِصَارُ وَالْقِتَالُ، تَخَلَّوْا عَنْهُمْ وَأَسْلَمُوهُمْ لِلْهَلَكَةِ، مِثَالُهُمْ فِي هَذَا كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ سَوَّلَ لِلْإِنْسَانِ – وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ– الْكُفْرَ، فَإِذَا دَخَلَ فِيمَا سَوَّلَهُ تَبَرَّأَ مِنْهُ وَتَنَصَّلَ، وَقَالَ: (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)"[3].

ومن خفايا المنافقين التي ينبغي التيقّظ لها: محاولة إغتيال القيادات، و"العمل على تثبيط الهمم وبث الإشاعات في الصف المسلم، وسلق المسلمين بالألسنة الحداد فيما بينهم حين يستخفُّون بالقرآء صالحي الأمة، ويتّهمونهم بالكذب والجبن، واليقظة إلى كل مُخطط أو تآمر يمكن أن يقع منهم، ومتابعة أبعاده وملاحقتها بعينٍ ساهرة... وفضح كل كلمة أو تصرّف أو محاولة يمكن أن تمس الصف المسلم"[4]، قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾[الأنفال: 47].

رابعًا: تعاون المسلمين ووحدة الكلمة.

الأمة المتفرقة لا يمكن أن تنتصر، و" إن من أصعب الأمور الجسام في زماننا توحيد الأمة وتوجيهها نحو هدف واحد لغياب كثير من المفاهيم، وكانت هذه المشكلة من أهم القضايا التي واجهها النبي ﷺ في بدء الدعوة الإسلامية، واستطاع بإلهام من الله ﷻ وحكمة وتوفيق أن

(1) محمد الناصري: التيسير في أحاديث التفسير (355/2).
(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير (54/10)، بتصرف يسير.
(3) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (75/8).
(4) منير الغضبان: التربية الجماعية (533/2).

يتغلب على هذه المعضلة، وأن يجعل من القبائل العربية أمة موحدة الصف، قوية البنيان، تتجه نحو هدف واحد وعدو واحد، ولقد وصف الله تعالى طريق الوصول إلى وحدة الأمة"[1]، قال الله ﷻ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[الأنفال: 46]، وبكل أسى فنحن "نرى الآن الخلاف والشقاق يدب بين كل بلاد المسلمين تقريبًا، وقلما تجد قطرين إسلاميين متجاورين إلا ووجدت بينهما صراعا على حدود، أو اختلافا على قضية، فقد انشغل المسلمون بأنفسهم، وتركوا الجيوش المحتلة تعربد في ربوع العالم الإسلامي، وجعلوا همهم التراشق بالألفاظ والخطب، وأحيانا بالحجارة والسلاح مع إخوانهم المسلمين، ولا شك أن التنازع بين المسلمين قرين الفشل، كما ذكر ربنا ذلك في كتابه بوضوح فقال ﷻ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[الأنفال: 46]، ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران: 103]، فهذا مرض من الأمراض الخطيرة التي نراها بأعيننا، وهي تفسر لنا تمكُّن الأمريكان وغيرهم من بلاد المسلمين"[2]، وقال ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[الحج: 78]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[الصف: 4]، وقال ﷻ:﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾[آل عمران: 105].

خامسًا: سُنَّةُ الأخذ بالأسباب.

في سورة الكهف يبدو جليًا في قصة موسى والخضر عليهما السلام، أنَّ الله تعالى ألهمَ الخضر أن يخرق السفينة، وأن يقتل الغلام، وأن يبني الجدار، أراد المولى سبحانه أن يُرسي منهجية أو قاعدة "الوقاية قبل العلاج"، وسُنَّة الأخذ بالأسباب، في ثلاثة مشاهد في ذات القصَّة من السورة:

- المشهد الأول: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ ﴾ [الكهف: 71]، فلم ينتظر أن تمرَّ السفينة على الملك الغاصب ويستولي عليها، ثم تبدأ المفاوضات للبحث عن حلٍّ لأزمتهم مع الملك، فكانت المبادرة الوقائية سبيلاً لتدارك ذلك.

---

(1) الزحيلي: التفسير المنير (816/1) بتصرّف.

(2) السرجاني: التتار (ص: 378).

- وفي المشهد الثاني: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ [الكهف: 74]، لم يترك الغلام حتى يترعرع ويكبر ويفسق ويفجر ثم يستغيث الأبوان من سوئه وانحرافه، وهذا المشهد لتقريب الأفهام وليس للعمل لأنَّ فعل الخضر كان بأمرٍ إلهي لعبرة، وهو درس للأمة لتستلهم منهجية وسنة الأخذ بالأسباب.

- وفي المشهد الثالث: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: 77]، هل سيبقى يُشاهد الجدار حتى يسقط ثم يأتي البخلاء واللصوص من أبناء القرية ينهبون مالَ الأيتام، ثم تذهب المسألة للقضاء والأحكام، وتضيع الحقوق بين الأنام!! ويبدأ رحلة العلاج!لا. فكان التصرّف الرشيد هو المبادرة إلى الوقاية قبل العلاج، والاحتياط قبل الوقوع[1].

لا يكفي التنظير بل لا بدَّ من العمل، وإنَّ الأخذ بالأسباب توجيهٌ ربّاني ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3]، وسنة نبوية عمليّة تتلخّص في كلمتين : (اعقِل وتوكّل)، وقد ربط النبي ﷺ البراق في الحلقة مع أنها دابة مأمورة، ليُعلّمنا هذا المنهج الأصيل"بالاحتياط في الأمور وتعاطى الأسباب، وأن ذلك لا يقدح في التوكل، إذا كان الاعتماد على اللَّه تعالى"[2].

وينبغي على ولي أمر المسلمين أن يحتاط للشدة بعمل الخطط وإيجاد وسائل التخزين للمواد الغذائية، والمحافظة على زيادة مدروسة في المواد الأساسية، والاستفادة من دروس القحط والجدب في سورة يوسف عليه السلام، ومن قصة نوح عليه السلام لما علمَ أنَّ الماء سيُغرق كل شيء أخذَ بالأسباب وجهّز السفينةَ وأخذَ معه ما يحفظُ استمرار الحياة بعد الطوفان.

---

(1) انظر: صلاح سلطان: سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتغيير (ص:73).

(2) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (211/2)، وسيُشار إلى هذا المرجع حين وروده لاحقا هكذا: النووي: شرح صحيح مسلم.

المبحث الثالث:

مسئولية الأمة في مواجهة الحصار

الأمة القوية تعتمد على نفسها في تحصين قوتها، والمسلم الحقيقي هو الذي يهمه أمر إخوانه من المسلمين، ويستشعر أنه مكلّف بنصرتهم، فيتعاون الحاكم مع المحكومين في سبيل عزة الأمة، وقد بيّن الباحث هذه المعاني في المطالب التالية:

المطلب الأول: التكليف الربّاني لنصرة المسلمين لإخوانهم.

إنَّ نصرة المسلمين لإخوانهم واجب شرعي وتكليفٌ ربّاني، فالمسلم يتألّمُ لمصاب إخوانه من باب الشعور بالأخوة الإيمانية، ويغتمُّ لحال المستضعفين والمحاصرين وينشغلُ بهمومهم، ويدعو لهم ويعملُ على نُصرتهم، فيحرّك لسانه مُحرّضًا على كسر حصارهم، ويبري قلمه مساندةً لهم، وينفق ماله مؤازة لفقيرهم، ويُشهر سنانه دفاعًا عن بيضة دينه، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾[الأنفال: 72]، ونحنُ ننظرُ إلى مآسي المسلمين في فلسطين والعراق وسوريا وغيرها، وما يتعرَّضون له من ويلات الحروب والحصار والتجويع ومحاولات التشويه لقضاياهم المسلوبة، فنجدُ أنَّ معظم أهل الأرض قد تخلّى عنهم، ولذلك وجبَ على كلّ مسلمٍ أن يكون له ثغرٌ لا يفارقه، ويعمل كل جهده وطاقته لرفع الظلم والحصار عن إخوانه، ويكون ذلك بالأمور الآتية:

أولًا: مراعاة الوشائج الإيمانية بين المسلمين وإخوانهم المحاصرين.

" البيئة العربية كانت بيئة نخوة تثور لصاحب الحق الذي يقع عليه الأذى، رغم أنهم كانوا في جاهلية، وإنَّ احتمال المسلمين للأذى وصبرهم على عقيدتهم، كان أقرب إلى استثارة هذه النخوة في صف الإسلام والمسلمين، وهذا ما حدث بالقياس إلى حادث الشِّعب وحصر بني هاشم فيه، فقد ثارت النخوة ضد هذا الحصار، ومزقت العهد الذي حوته الصحيفة، ونقضت هذا العهد الجائر"[1]، فهذه النخوة كانت قبل مجيء الإسلام، وتميّزت في صدر الإسلام عندما تعانقت هذه القيم الحسنة مع مبادئ الإسلام، وينبغي أن تستمرّ هذه النخوة وفاءً لهذا الدين، وتمسُّكاً بهذه الأخوة الفذّة، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ ﴾ [الحجرات: 10]، وقال النبي ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن (3166/5).

يَوْمَ القِيَامَةِ»[1]، والأخوة هنا أخوة الإسلام لا أخوة النسب، وأخوة الإسلام توجبُ على المسلم حماية أخيه والدفع عنه ونصرته في محنته، والخذلان يكون إذا استعان به في دفع ظلم فترك نصرته وإعانته رغم قدرته ولم يكن له عذر شرعي[2].

وهذا يتطلّبُ من كل مسلم حُرٍّ أن يستثير هذه النخوة الأصيلة في نفوس الشعوب والحكّام، وأن يستنفر هممهم ويوجّه طاقاتهم لتحطيم هذا الحصار الظالم الذي يُشارك فيه جمعٌ كبيرٌ من الأحزاب التي تُحادّ الله ودينه على وجه الأرض، إما بالفعل أو بالمساعدة للعدو، أو بالقعود والتخاذل مع القدرة على النصرة للمسلمين.

لقد تحرّكت النخوة والحميّة في بداية مشوار الدعوة في قلوب أناسٍ لا يعرفون الله تعالى، فقد جاء أنَّ هشام بن عمرو الكافر والكفار الذين معه لم يأتهم نوم؛ لأن المسلمين يعذبون؟ وعادوا قريش دون مصلحة شخصية، وتحرّكت النخوة في قلوبهم، نخوة لم نرها في كثيرٍ من المسلمين الذين يرون المشاهد المفزعة لملايين المسلمين المضطهدين، ومن عنده إنسانية لا يرضى أن يُعذّب إي إنسان تجويعًا وظلمًا حتى لو كان كافرًا، فهذا يستدعي أن تتحرك ضمائر المسلمين تجاه إخوانهم، قال الله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: 29].

ثانيًا: قيام العلماء وأهل الرأي بواجباتهم تجاه مآسي المسلمين.

العلماءُ هم أهل الحلّ والعقد في ديار المسلمين، وهم الذين يثبّتون عروش الحُكَّام وهم الذين يخلعونهم، وبكلمةٍ حقٍ منهم تقوم الجماهير التي تتطلّع إلى علمائها وحكّامها لتسير حيث يوجهونها للإصلاح والبناء، وإنَّ التكليف الموكّل إلى العلماء والقادة ثقيلٌ أمام الشعوب والأمة، وأمانة الدين والبلاد التي استُؤمِنوا عليها، وتُوسِّمت فيهم الجماهير المسلمة الصلاح ليأخذوا بأيديهم إلى التغيير والنهوض، وسيادة الأرض التي استخُلِفوا فيها بعبادة الله وإقامة دينه، وأنهم موقوفون ومسئولون قبلَ ذلك بين يدي الله ﷻ: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل: 111]، وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المظالم والغصب، بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ (ح2442)، (128/3).

(2) انظر: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك: شرح صحيح البخاري لابن بطال (308/8)، والنووي: شرح صحيح مسلم (120/16).

يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: 159]، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: 187]، ونفهم من الآيات أهمية و" أمانة الاعلام الديني، فإنَّ من أقدس واجبات العلماء في الدين أن يكونوا أمناء على ما يعلمون من الكتب الإلهية، لإبلاغها للناس والعمل بها، فلا يكتمون شيئًا منها، لأنها أحكام الله وشرائعه التي أنزلها للإصلاح والإسعاد، وتحقيق الأمن والسلام وصون الحقوق العامة والخاصة، وهذا يعد عهدًا مؤكدًا على أهل العلم مثل العهود والمواثيق التي يعقدها الناس فيما بينهم، والعهد واجب الاحترام والتنفيذ"[1]، وهو دليل على أنه يجب على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه، وألا يكتموا منه شيئًا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة، وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم، أو لجرِّ منفعة من حطام الدنيا، أو دفع أذية، أو لبخل في العلم[2].

وكلُّ مسلم مسؤول بحسب مكانته عن كل نفسٍ مسلمةٍ تُزهَق إذا لم يعمل على تخليصها، ولا يجوز التمييع والمداهنة في حقوق الناس ولا الاكتفاء بالشكليات والكلمات.

وإن كارثة حصار غزة وغيرها من البلاد التي تُعاني، إنما هي محطُّ اختبارٍ لإدارة الأمة وقيادتها وإرادتها، بل ولقدرتها ووجودها وكرامتها؛ حتى يقوموا بجميع الوسائل وعلى كل المستويات في هيئات الإفتاء، والمجامع العلمية الفقهية، وعلماء الأزهر الشريف، والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ومنظمة التعاون الإسلامي، وغيرها، لكسر هذا الطوق الظالم، وتحطيم كل المؤامرات التي تُكبّل المستضعفين وتعمل على تركيعهم وتجويعهم، وكذلك إبطال الخطط الصهيونية، والمخطّطات المُزوّرة تجاه المقدّسات والأراضي المنهوبة، وكل هذا يحتاج لبيانٍ وقولةٍ للحق واضحة وإلا باء من كتمها بالإثم ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ [البقرة: 283].

ثالثًا: تعريف المسلمين بقضية فلسطين وخطر حصارها.

وهذا يقعُ على العلماء والحكّام والمسؤولين والمعلّمين والآباء، وكل مسلمٍ في مكانه، لأنَّ قضية فلسطين هي القضية الأولى بالنسبة للمسلمين، فهي قضية إيمان، وقدسها وجهة القبلة الأولى، وإليها تُشدُّ الرِّحال، ولها مزية مضاعفة أجر العبادة، قال النبي ﷺ: « لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ

---

(1) الزحيلي: التفسير الوسيط (270/1) بتصرف يسير.

(2) انظر: عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (319/1)، وإسماعيل حقي: روح البيان (142/2)، وسعيد حوّى: الأساس في التفسير (953/1).

إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى »[1]، ومنها بداية المعراج نحو السماء، وفلسطين التاريخية تمثّل بؤرة الصراع العقدي بين الحق والباطل، وميدان التنافس الحضري بين الأمم، فهي قضية تستحق التضحية والعمل لاستعادة أمجاد الأمة المسروقة.

ولقد جاء في عدة آيات إشارةً إلى فضلها وبركتها، ويكفي أنَّ رحلة الإسراء بالنبي ﷺ كانت من مكة أرض الرسالة إلى القدس أرض الإسراء، وأرض الحشر والنشر، من ذلك قوله ﷻ: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: 1]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 71]، إذ أنَّ الأرض المباركة هي بلاد الشام وفلسطين هي جزء من بلاد الشام[2].

فينبغي على العلماء نقل هذا الشعور للمسلمين في أصقاع الأرض؛ بأهميَّة وقداسة وتاريخ هذه الأرض المباركة، وبيان واجبنا تجاهها وتجاه أهلها.

رابعًا: المهام العملية للمسلمين تجاه إخوانهم المحاصرين.

إنَّ المستضعفين منزوعي الحقوق والإرادة بسبب الظلم المحيط بهم، ولذلك يُعلّقون الآمال على إخوانهم المسلمين بعد الله ﷻ، ويتشوّفون إلى نصرتهم من خلال ما يأتي:

1- **تطبيق منهج الولاء والبراء:** "المسلمون أمّة واحدة والولاية والتّناصر بينهم واجب، والكافرون أمّة واحدة، ولا ولاية بين المؤمنين والكافرين"[3]: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾ [التوبة: 71]، وقال الله ﷻ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ [المجادلة: 22].

وهنا منهجية مهمة تشدُّ الانتباه في سير الدعوة وأهل الحق وهي منهجية تخذيل الأعداء عن المسلمين وعدم مساعدة أهل الباطل وإظهارهم على المستضعفين، قال الله ﷻ حكاية عن موسى عليه السلام بعد الذي حدث معه في نصرته للإسرائيلي على القبطي: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، كتاب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، بَابُ: فَضْلِ الصَّلاَةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ (ح1189)، (60/2).

(2) انظر: القاسمي: محاسن التأويل (205/7)، وأحمد بن مصطفى المراغي: تفسير المراغي (56/17).

(3) الزحيلي: التفسير المنير (239/9).

عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [القصص: 17]، "فالظهير، هو المعين الذي يسند ظهر غيره.. والكافر بكفره، وبانتظامه فى صفوف الكافرين المحاربين لله، هو يظاهر على الله، ولا يظاهر لله"[1]، فقد دلّت الآية على أنه" لا يجوز معاونة الظلمة والفسقة، قال عطاء: فلا يحل لأحد أن يعين ظالما، ولا يكتب له، ولا يصحبه، وأنه إن فعل شيئا من ذلك فقد صار معينا للظالمين"[2]، ومثلها قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [هود: 113].

وتظهر أهم معالم الولاء والبراء في الصور التالية:

أ- نصرة المسلمين ومعاونتهم بالمال والنفس والسلاح والغذاء، ومشاركتهم الأفراح والأحزان، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الأنفال: 72]

ب- الحرص على محبتهم وإسداء المشورة لهم في حال السلم والحرب، قال الله ﷻ: ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الشورى: 38].

ت- عدم التجسس عليهم، وعدم نقل أَخبارهم وأَسرارهم إلى عدوهم، وكف الأَذى عنهم، وإصلاح ذات بينهم، لحديث النبي ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»[3].

ث- نصرتهم بالدعاء والعمل على تخليصهم والتحريض على أعدائهم لينكسروا، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنفال: 72].

ج- بغض الشرك والكفر وأَهله، وعدم اتخاذهم أَولياء وعدم موادّتهم، ومفاصلتهم مفاصلة كاملة؛ حتى لو كانوا من ذوي القربى، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الممتحنة: 1].

ح- عدم المداهنة والمجاملة والمداراة للكفار والمشركين على حساب الدين، وعدم التحاكم إليهم، أَو الرضى بحكمهم، وترك اتِّباع أَهوائهم، وعدم مشاركتهم مناسباتهم أو مناصرتهم أو مدحهم، وتركهم ومتابعتهم في أَيِّ أَمرٍ من أمورهم؛ لِأَنَّ متابعتهم تعني ترك حكم الله ورسوله، قال الله

---

(1) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن (47/10).

(2) الزحيلي: مرجع سبق ذكره (78/20).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المظالم والغصب، بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ (ح2442)، (128/3).

ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: 9][1].

2- مقاطعة الأعداء.

وهذا السلاح من أنجع وأنجح الأسلحة التي تفلّ سطوة العدو وتُخمد ناره، وتعود بالخسارة والهزيمة على العدو قال الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: 120]، وفي خبر ثمامة بن أثال ﷺ حين أسلم فقطع تجارة الحنطة عن قريش التي كانت تأتيهم من اليمامة، أنه قال: « وَلاَ وَاللَّهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ »[2]، فينبغي توجيه المسلمين إلى عدم استثمار أموالهم لدى دول تدعم الأعداء، وعدم السماح للصهاينة وأعوانهم من الاستثمار في الدول العربية والإسلامية؛ لأنهم بذلك يمتصّون خيرات بلاد العرب والمسلمين، ويقتلون إخواننا بهذا المال، وهذا الاستثمار يؤثّر سلبًا على الاقتصاد الوطني، ويُعدُّ من التطبيع الاقتصادي الغير جائز شرعًا[3]، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: 73]، وضرورة إقناع رجال الأعمال والشركات العربية والإسلامية بضرورة الاستثمار في البلاد العربية والإسلامية وخاصةً الفقيرة منها والمحاصرة؛ لأنَّ هذا الاستثمار يُحقّق أهدافًا كبرى منها: العمل على كسر الحصار، وتوفير فرص عمل لعدد كبير من المحتاجين، ورفع مستوى الاقتصاد المحلي، وتوفير منتجات وطنية منافسة وبديلة عن المستوردة، والاستغناء والانفصال عن العلاقات التجارية والاقتصادية مع التجار الأعداء، والإضرار بالمصالح الاقتصادية للعدو وإضعافها.

هذا على المستوى الاقتصادي، فكيف إذا هبّت الأمة هبة رجلٍ واحد وأعلنت مقاطعتها للعدو في شتى المجالات، وعلم أنها لن تتعامل معه ألبتَّة إلَّا إذا ترك المحاصرون يعيشون

---

(1) انظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري: الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) (138-140)، وعلي بن نايف الشحود: مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة (475/1).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المغازي، بَابُ: وَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ، وَحَدِيثِ ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ (ح4372)، (170/5)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: رَبْطِ الْأَسِيرِ وَحَبْسِهِ، وَجَوَازِ الْمَنِّ عَلَيْهِ (ح1764)، (1386/3).

(3) انظر: حسين شحاته: المقاطعة الاقتصادية وذلك أضعف الإيمان (ص:3-4).

ويمارسون حياتهم الطبيعية!، فلا بدَّ من إقناع قادة الدول العربية والإسلامية بضرورة مقاطعة الأعداء نصرة للمستضعفين، وإقناع الشعوب بمقاطعة المنتجات التي يُصدّرها الأعداء ويشترون بها سلاحاً لإبادة المسلمين والتضييق عليهم.

ويعدُّ بيع السلاح أو ما يُقوّي العدو، ونقله إليهم، ومساعدتهم على حرب المسلمين، كل هذا جريمة في حق فاعله، قال الله ﷻ: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: 52]، فترى المنافقين يُهرولون إلى أعداء الأمة يلتمسون رضاهم، فيتودّدون إليهم بمعاونتهم على المسلمين ونقل أخبارهم[1]، وقال الله ﷻ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: 5]، فهو أمرٌ بمعالجة جميع أنواع القتال مع العدو والتضييق عليهم، باغتيال قادتهم، وحبسهم لئلا يتبسّطوا ويتقلّبوا في البلاد ويتصرّفوا فيها، وإلجائهم إلى الاستسلام[2]، وينبغي حجز هذا المدد بشتى أنواعه عن العدو، كما فعل عمر بن عبد العزيز ﷺ إذ منع حمل الخيل إلى الهند باعتبارها بلدًا للمشركين[3].

3- القيادة الخارجية.

وهدفها تكوين نواة صلبة وقيادة حرَّة طليقة قادرة على مراقبة العدو، ومتابعة أحوال المحاصرين، وتوفير مستلزمات الصمود والنصر، ومراسلة الدول والقيادات، وتغيير السياسة الخارجية لتعامل الدول مع المحاصرين، والعمل على مواجهة الحصار وإدارته من الخارج، وأن يستمعوا بآذان قلوبهم صرخات المعذّبين واستغاثاتهم، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟

---

(1) انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (323/1).

(2) انظر: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري: لطائف الإشارات (8/2)، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (71/3).

وانظر: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (43/4).

وانظر: علاء الدين علي بن محمد الشيحي، المعروف بالخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل (337/2).

(3) انظر: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي: عمر بن عبد العزيز (ص: 305-306).

وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾ [الأنفال: 72]، "أي: إن وقع بينهم وبين الكفار قتال، وطلبوا معونة، فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين"[1].

4- سلاح الدعاء.

قال الله ﷻ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: 62]، هذه القاعدة الإلهية تكشف لنا القبلة الحقيقية للمؤمن إذا زاد الخطب وعزَّ النصير، والتي تتمثّل في التوجه الخالص لمن يقدر على الإعانة وصلاح الحال ﷻ، ولفت الانتباه إلى أنَّ الأخذ بالأسباب لا يكفي وحده، بل لابدّ من الدعاء الصادق الخالص لتكتمل حلقات التوكّل على الله ﷻ، "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ ذُو الضَّرُورَةِ الْمَجْهُودُ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: الَّذِي لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ، وَقَالَ ذُو النُّونِ: هُوَ الَّذِي قَطَعَ الْعَلَائِقَ عَمَّا دُونَ اللَّهِ"[2]، فالكل مطلوبٌ منه أن يدعو، الإمام، والقائد، والشيخ العجوز، والمرأة والصبي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»[3]، والدعاء يكون في الرخاء ويزيد في الشدة مع استشعار روحانيته وأهميته، والاقتداء في ذلك بالنبي ﷺ في جهاده ومواجهته الشدائد والمحن، فعن "عُمَر بْن الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴾ [الأنفال: 9]"[4]، ويكون الدعاء في قيام الليل، وفي القنوت عقب الصلوات، وعندَ التحام الجيوش، وفي سائر الصلوات، وفي الأوقات التي هي مظنَّة الاستجابة.

---

(1) سعيد حوّى: الأساس في التفسير (2204/4-2205).

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (223/13).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، بَابُ: فَضْلِ الضُّعَفَاءِ وَالْخَامِلِينَ(ح2622)، (2024/4).

(4) مسلم: المرجع السابق، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ (ح1763)، (1383/3).

المطلب الثاني: مسؤولية الحاكم في مواجهة الحصار.

وتمرُّ مسؤولية الحاكم في كسر الحصار بعدة مهام وهي:

1- مهمة تشكيل لجنة طوارئ دائمة.

لا تُحل إلا بكسر الحصار، وتكون فعّالة وقوية لتحريض المجتمع الدولي والاستفادة من حادثة تمزيق ورقة الحصار وكسره في عهد النبي ﷺ ، وإرسال الوفود والسفراء إلى كل العالم باستمرار، وبكل لغات أهل الأرض، وشحن العالم ولفت أنظاره لقضيتنا، والإفادة من البعد الديني والعقدي المتمثّل في حب الناس للقدس وفلسطين من كل الديانات، ويحسُنُ أن تعلن الحكومة سياسة التقشّف الطارئة في كافة أجزائها، وعدم إهدار المال العام، والإنفاق على الأمور الطارئة فقط، لأنَّ إهدار الأموال في غير محله من شأنه أن يُعطّل الخدمات، ويؤلّب الرعية المُنهكة على الحاكم، وما أحوجنا في كل ما سبق إلى الهدي القرآني الرشيد، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[النساء: 66- 68].

2- مهمَّة إطعام الجائعين وتوفير المأوى للمشردين بفعل الحصار والإبعاد.

واحتواء كل الشعب والبعد عن الفئوية والحزبية في توزيع المساعدات والمشاريع الخيرية، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8]، حتى لو كان غير مسلم ويعيش في كنف الإسلام وتحت مظلَّة الدولة، لإعادة ثقة الشعب في حاكمه وجمع كلمته قدر الإمكان، وتعديل بعض القوانين التي تكبّل المواطن المقهور لاسيما فيما يخص الباعة المتجولين، وأصحاب البيوت التي تُهدم في مشاريع توسعة الطرق وليس لديهم بديل، وكذلك عدم إهدار الأموال على المهرجانات والمناسبات أو المبالغة في تشييد المساجد على حساب الفقراء والمحتاجين، ألا يرى المسئولون أن الفقراء يَسْتَجْدُون العالم ويموتون جوعاً بسبب سوء الإدارة في بلادنا والإنفاق والاستنزاف الغير مبرّر وفي غير محله!!، وينبغي الالتفات لمن ليس لهم رواتب ومعاشات منتظمة، وتوفير الرعاية الصحية والاجتماعية لهم[1].

---

(1) انظر: بشير كمال عابدين: السياسة المالية والاقتصادية لعمر (ص:83)، وعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي: عمر بن عبد العزيز (ص: 283).

3- مهمة فرض الأمن.

ونشر الوعي الأمني وإصدار قوانين تُنشر للمواطنين تتلاءم مع طبيعة الوضع لردع العابثين وإشعار المواطن بالأمن، وعدم إغفال قمع المنافقين في هذه المرحلة، ولخطرهم الجسيم فقد حذّر المولى ﷻ منهم فقال: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء: 83]، وهذا الأمن يُعتبر من الاجتهاد في حماية الأرواح وتجنيب المدنيين مناطق القتال[1]، وتأمين بيوت النازحين من اللصوص والمعتدين، والانتباه للخونة والعملاء الذين يتربّصون بمكامن قوة المسلمين ونقلها للعدو، كما ينبغي الإشارة إلى خطر برامج التواصل الاجتماعي وشبكة الإنترنت في العبث بأمن المقاومة والمجتمع، إما بسبب السبق الإعلامي لنشر أعمال المقاومة، أو استهدافات العدو، أو جهلًا بغير قصد، وكلاهما مرّ يكشف المقاومة للعدو بنشر معلومات مجّانية تخدم العدو وتضر بالمقاومة وأمن البلاد، فلا بدّ من ضوابط وإرشادات توجه للمواطنين من خلال حملة إعلامية مركّزة بالتعاون مع وزارة الأوقاف والداخلية والتربية والتعليم، لبيان كيفية التعامل مع هذه الظروف والأحداث.

4- مهمَّة لمّ الشمل والحوار الشامل.

مع كل الأفكار العاملة من فصائل وجمعيات ومؤسسات وتقاسم الأدوار والاتفاق على منهجية سليمة لبذل الأموال الطائلة التي تنفق أحياناً كثيرة على أمور هامشية كالاحتفالات والمهرجانات وغيرها وليتحمّل الجميع مسئوليته في خدمة وطنه وشعبه، قال الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: 2]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ [البقرة: 130]، وقال ﷻ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: 103]، وفيها تحذير من التفرقة، والبعد عن الحق وأهله، ونحن بحاجة إلى الاجتماع على الحق والانطلاق من خلاله، والتآزر والتناصر والتناصح للوصول إلى رفعة الإسلام ونصرة المستضعفين، قال النبي ﷺ: «ستكون بعدي هنَّات وهنَّات فمن رأيتُموه فارقَ الجماعة أو يريد أن يفرِّق أمر أمة محمد كائنًا من كان فاقتلوه، فإنَّ يد الله مع الجماعة وإنَّ الشيطان مع من فارق الجماعة يركُض»[2].

---

(1) انظر: راغب السرجاني: أخلاق الحروب في السُنّة النبوية (ص:118).

(2) الألباني: صحيح الجامع (ح3618)، (677/1).

5- مُهمَّة متابعة المنحرفين فكريًّا وعلاجهم.

من خلال الاستفادة من حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود ومع قومه، وتفنيد حججهم بالبراهين القوية والأدلة العقلية التي يؤمنون بها أكثر من إيمانهم بالله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: 258]، وقال عن حواره مع قومه: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: 66 – 67]، وقال الله ﷻ لموسى وهارون وقد أمرهما بإنذار فرعون ودعوته للإيمان بالله وحده: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: 43 – 44]، هذا وهو كافر بربه ﷻ، فكيف بخطاب الموحّدين!.

والقرآن حافل بحوار الأنبياء لأقوامهم وإبطال معتقداتهم الفاسدة، وعلاج ظاهرة الغلو من خلال قصة عيسى عليه السلام، وتأليه النصارى له، وقصة هارون عليه السلام وعبادة بني إسرائيل للعجل، وخاصةً بعد غياب القائد المتمثّل في شخص موسى عليه السلام، وعلاج أزمة غياب القائد، وهذا ما حدث مع أبي بكر رضي الله عنه مع مانعي الزكاة والمرتدين بعد أن التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى.

وينبغي التحلّي بالحوار الهادئ والأسلوب المقنع مع المنحرفين فكريًا، وتجنّب الجمود والتشدّد، قال الله ﷻ: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: 34]، وهذا منهج النبي ﷺ وخلفائه في حوار المخالفين، حتى لو كانت عروضهم غير مقبولة عقلاً أو شرعًا، وسار على منهج النبي ﷺ الصحابة والتابعون كعبد الله بن عباس وعمر بن عبد العزيز والسلف، في محاورة الخوارج بالمجادلة بالتي هي أحسن، طالما لم يفسدوا على الأئمة ولم يقطعوا سبيلًا للمسلمين[1].

(1) انظر: راغب السرجاني: أخلاق الحروب في السُنّة النبوية (ص: 264)، وعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي: عمر بن عبد العزيز (ص: 128،331).

6- الوقاية من الفساد الإداري والمالي.

وتبرز هذه الدروس المهمة في حياة عمر بن الخطاب ﷺ وعمر بن عبد العزيز ﷺ، وغيرهما من قادة المسلمين الأفذاذ، لتحقيق السلامة من الفساد الإداري والمالي، بتحقيق قاعدة ومنهجية الوقاية قبل العلاج، وسد المنافذ على السموم الإدارية والمالية مثل: الكذب والخيانة والرشوة والهدايا للمسؤولين، والظلم والجور للرعية، والإسراف في ممتلكات الدولة وإهدارها، ومنع الولاة والعمال من ممارسة التجارة، وهذه بعض أهم جرعات الوقاية من منزلقات الفساد والترهُّل:

أ- عدم إرهاق الاقتصاد والشعب بالضرائب.

بحجة التقوي على قتال الأعداء، وتحميلهم فوق طاقتهم، قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، وقد رفض الإمام النووي أن يعطي فتوى للظاهر بيبرس في الأخذ من مال الرعية حتى يبيع ممتلكات الدولة من مماليك وذهب، وقال له إذا نفذت ولم تكفي أفتيتك بأخذ المال من الرعيّة[1].

وقد حدث أنَّ بعض الخلفاء الأمويين قبل خلافة عمر بن عبد العزيز ﷺ أرهق المزارعين بالضرائب، فهجروا الأرض فخربت وأضرَّ ذلك بمالية الدولة، فألغى كل الضرائب المخالفة للشريعة، ولم يكن اهتمامه بالكم بل بالكيف، وقد ساهمت إصلاحاته في إنعاش الاقتصاد وخزينة بيت المال[2]، وعمل صلاح الدين الأيوبي على إلغاء المكوس والضرائب غير الشرعية في جميع البلاد التي فُتحت، واكتفى بالموارد الشرعية من زكاة وخراج وغنائم وعشور التجارة[3].

ب- ترشيد الإنفاق الحربي والإداري.

بحيث يكون هناك توازن فلا يطغى جانبٌ على جانب في إدارة البلاد، ولا يطغى الجانب الحربي أو الإداري على الجانب الاقتصادي والاجتماعي وغيره، حتى تستقر الأوضاع الداخلية، وينمو الاقتصاد الوطني، وتتحسّن أوضاع الطبقة الفقيرة والمحتاجة، وهذا يكون بحثّ الولاة والموظفين على الاقتصاد في أموال المسلمين، وتعويدهم على صيانة ممتلكات الدولة

---

(1) انظر: أحمد فريد: مواقف إيمانية (ص:155-156).

(2) انظر: بشير كمال عابدين: السياسة الاقتصادية المالية لعمر (ص: 52)، وعمر بن عبد العزيز، للصلابي (ص: 271-273).

(3) انظر: علي محمد محمد الصلابي: صلاح الدين الأيوبي (ص: 339-340).

وعدم اسغلالها في المصالح والمناسبات الشخصية[1]، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: 27]، الآية عامّة، فمال الدولة وأسرارها أمانة، والمنصب أمانة، وكل عمل مُوكّل إلى شخص فهو مؤتمن عليه، ونقض أي منها يعتبر خيانة واستحقاق للعذاب الوبيل[2].

ت- **عدم إستغلال السلطة وإمكانياتها في تثبيت الحزب والتنظير لأفكاره.**

وإنما يكون كل همّه، التمكينُ للإسلام، وخدمة الشعب، وأن يضع كل إمكانيات الدولة في خدمة المحاصَرين، ويتمثّل دومًا قوله تعالى: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] ، وهي رسالة إلى كل ملك أو أمير أن يترك طريق فرعون وقارون وهامان والنمرود، ومَلِك أصحاب الكهف، والمَلك الغاصب لكل سفينة، وليكون قدوته ذي القرنين وسليمان ﷺ والرسول محمد ﷺ، والخلفاء الراشدين في إدارة الدولة الإسلامية[3].

7- **مهمَّة التقييم والمصارحة.**

وإشراك الجماهير في اتخاذ بعض القرارات وعدم تغييب دور العلماء المهم والريادي، وليس هناك أخطر من الغرور والكبر في هذه المرحلة، بل لا بدَّ من الوضوح وعدم تحميل المحاصرين فوق طاقتهم، أو السير بهم إلى الخطر، والحذر من الاستبداد السياسي والفساد المالي، قال ﷻ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: 6 – 7]، ولقد شرع الله ﷻ لنا المشورى كمبدأ من مبادئ ثبات الدولة الإسلامية فقال ﷻ: ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: 38]، ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، فالاعتماد على تقييم أهل الاختصاص ومشاورتهم في الأمور الكبيرة مهم؛ لقدرتهم على التحليل والاستنباط، وهذا هو التفكير المنهجي السليم الذي يوافق مراد القرآن الكريم، الذي يقودنا للحل والخروج من نفق الأزمات المظلم.

---

(1) انظر: وعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي: مرجع سبق ذكره (ص: 287-288).

(2) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (41/4)، والسعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (319/1).

(3) انظر: صلاح سلطان: سورة الكهف منهجيات الإسلاح والتغيير (ص:86-87).

8- مهمَّة معالجة الأخطاء.

والجرأة في ذلك وعدم الخوف من لوم اللائمين، فنحنُ بشر نصيبُ ونخطئ، نمشي ونتعثّر، وعلينا أن نتقبّل النقد والنصح بصدر واسع، ونكفلُ حق النقد للجماهير في حدود الأدب والنصح للحاكم، والاستفادة في ذلك من السيرة، وتكون هذه المهمّة للموكَّلين بالرقابة والمتابعة، وتوثيق الأخطاء وتحليلها، ورد الحقوق لأصحابها، وعزل الولاة والموظّفين الظالمين وتعيين الصالحين، وانتقاد المعوجّين وتقويمهم، مع ضرورة التثبّت وحسن الظن، والرفق في موطن الرفق والشدّة في موطن الشدة، قال ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[1]، ولا بدَّ من التفريق بين الخطأ الكبير والصغير، وبين الخطأ المتعمّد والعفوي، والمشكلة التي تتكرر والمشكلة الطارئة، واعتماد نظام المعالجة ومنهج﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: 125]، ومنهج «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا »[2]، وعدم التسرّع بالتخطئة؛ بل لابد من الحكمة في العلاج، إضافةً إلى أهمية التفتيش المفاجئ لرصد الأخطاء ومعالجتها، فقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يتابع الولاة ويراجع الشكاوى ويحاسبهم، وقد استحدث مسؤولية المفتش العام وأولَاها لمحمد بن مسلمة ﷺ لمقابلة الناس والتحقّق من الشكايات، ونقل آراء الناس عن الولاة لأمير المؤمنين، وكان موسم الحج فرصة ليستقي أخبار رعيته ويستطلع الآراء، ويأتي العمال بأنفسهم لتقديم كشف حساب عن أعمالهم، وقال عمر ﷺ: لئن عشتُ إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولًا، فإني أعلم أنَّ للناس حوائج تقطع دوني..، وكانت تصله الشكاوى بحق الولاة وينظر فيها ويراجعهم، وينزل العقوبات فيمن يستحقها، ويعزل من يرى أنه يستحق العزل أو يخفض رتبته من والٍ إلى راعي غنم، وأحيانًا يوبّخ بعض الولاة شفويًا أو كتابة، كل هذا لمتابعة ومعالجة الأخطاء[3].

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، بَابُ: فَضْلِ الرِّفْقِ (ح2594)، (2004/4).

(2) المرجع السابق، كتاب: التفسير، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ (ح6467)، (98/8).

(3) انظر: علي محمد محمد الصلابي: عمر بن الخطاب شخصيته وعصره (ص: 377-391)

المطلب الثالث: دور المحاصرين في كسر الحصار.

ويمرُّ دور الرعية في كسر الحصار بعدة مهامّ وهي:

1- مهمَّة التكافل وبناء النسيج الاجتماعي.

وحض ذوي الأموال على إنشاء مشاريع تحتضن العاطلين وإطلاق المشاريع الصغيرة المؤقته؛ لتقليل جرائم السرقة والاعتداء والطلاق والقتل وغيرها، والتي تضخّمت بفعل الحصار، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾ [القصص: 77]، ويكون هذا بالإحسان إلى خلق الله بصلة المساكين، وذوي الحاجة، والإنفاق في وجوه البر[1]، قال الله ﷻ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 261]، وقال النبي ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[2].

2- مهمَّة مساعدة الحاكم في كسر الحصار.

ويكون ذلك بالنصيحة والتعاون والطاعة وعدم الشذوذ عن الجماعة، وعدم مخالفة الرأي، وعدم إظهار عصا المخالفة، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: 59]، وتقديم الرأي والمشورة، والدعاء للحاكم بالتوفيق في حمل الأمانة، ومساعدته في التجهيز الحربي وقت الشدة والحاجة بالمال والمستلزمات.

3- مهمَّة بذل الأغنياء وسد الخلل بأموالهم.

وقد رأينا بذل الصدّيق ﷺ للدعوة يوم الهجرة وغيرها، وشراء عثمان ﷺ لبئر رومة الذي يُعتبر أول مشروع وقف خيري في الإسلام لسد حاجة المسلمين، وكانت ليهودي يبيعُ ماءها لأهل المدينة ليشربوا منها، فلمّا هاجروا إلى المدينة، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ،

---

(1) انظر: الزحيلي: التفسير الوسيط (3/ 1938)، وسعيد حوّى: الأساس في التفسير (7/ 4112).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، بَابُ: تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (ح2586)، (1999/4).

فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلاَءِ المُسْلِمِينَ» فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ ﷺ[1]، وقوله: « دلوه فيها كدلاء المسلمين» أي: "يوقفها ويكون نصيبه منها كنصيب غيره من المسلمين دون مزية"[2].

4- مهمَّة الاقتصاد في الإنفاق.

فلا يُسرف المسلم ولا يقتر بل يجعل طريقة عيشه وإنفاقه وسطًا ليستمر أطول فترة مُتاحة للعيش بدون مشاكل، وهذا من سنة الأخذ بالأسباب، والتوفير قدر الاستطاعة، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: 29]، وقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67].

وقد أوضح القرآن أصول الاقتصاد وأرجعها إلى أصلين اثنين هما:

- "الأول: حسن النظر في اكتساب المال.
- الثاني: حسن النظر في صرفه في مصارفه"[3].

الهدايات التربوية والمنهجيات العملية المستفادة خلال البحث.

أولًا: نتائج العمل بالمنهجيات العملية والتربوية.

1- يتكوّن عقل سليم، وتفكير مُركّز يدفعُ إلى الإيمان بالله، وكثير من الآيات ترشد إلى أهمية العقل واستخدامه في التفكير النافع، منها قوله ﷻ: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: 24]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرعد: 3]، فتفكير يصحبه نية صالحة وعمل مدروس يثمر أمة ناجحة قوية.

2- نحصلُ على دراسة دقيقة لحالة المجتمع المسلم، وعندها نضع الخطط المناسبة بإشراف ذوي الخبرة والاختصاص، يتبعه عمل دءوب، ووضوحٌ للأهداف، فيتحسَّن وضع الأمة على كل الأصعدة، فتعود الأمة إلى صدارة المشهد، قال الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110].

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المساقاة، بَابٌ: فِي الشُّرْبِ، وَمَنْ رَأَى صَدَقَةَ المَاءِ وَهِبَتَهُ وَوَصِيَّتَهُ جَائِزَةً، مَقْسُومًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مَقْسُومٍ (109/3).

(2) تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري (109/3).

(3) محمد الأمين الشنقيطي: الإسلام دين كامل، (ص:18).

3- العمل بروح الجماعة والفريق الواحد، والتعاون والمشورة، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: 103]، وقال الله ﷻ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: 146]، وبذلك نُبطِل مخطَّطات العدو المتربّص بالأمة ومصادر قوّتها.

4- القدوة الصالحة تستغلّ الكوادر والعقول المنتجة، قال الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 21]، وقال الله ﷻ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90]، فإذا اتّبعنا القدوة الحسنة نستمر في البناء، ونبني حضارة قوية، وتنشأ أجيال صالحة تتربّى على معين القرآن والسنة وهدي سلف الأمة.

ثانيًا: نتائج الإعراض عن المنهجيات العملية والتربوية.

1- يصبح لدينا مجموعة كبيرة من المسلمين عالة على الإسلام، أجساد بلا أرواح ، تسوقهم الشهوات، ويعبثُ بهم الهوى والشيطان، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: 179]، وعندها تظل الأمةً ضعيفةً متخلّفة، ويبقى الجيل يحبو خلف الشهوة والضياع.

2- يظل العمل عشوائي متخبّط وغير مدروس؛ بسبب سوء التخطيط، وعدم وضوح الرؤية والأهداف، قال الله ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: 46]، والحصاد الخاسر تردّي الأمة وتيهها وسط سراب الأماني، وعدم وصولها لمبتغاها.

3- تنتشر القدوة السيئة التي تنشر الرذيلة والانحطاط، قال الله ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 27]، وعليه يتخرّج جيل أسيرٌ للمنحرفين، مشوّه الأفكار، قدوته الفاشلين والساقطين، ليس لديه رؤى للإصلاح والبناء.

ثالثًا: المنهجيات العَملية والتدبُّرِيَّة.

1- منهجية مراعاة الظروف الاقتصادية.

أوقف عمر ﷺ إلزام الناس بالزكاة في عام الرمادة وأخّر جمعها، لشدة ما لاقى الناس، ولمّا انتهت المجاعة وخصبت الأرض جمع الزكاة عن عام الرمادة والعام الذي بعده، حتى يسد العجز لدى المحتاجين، ويبقى رصيد في بيت المال[1].

"إنَّ شدة عزائم الجيش واندفاعه في خوض المعركة، وفرحه بلقاء عدوه مما يزيد القائد إقداماً في تنفيذ خطته وثقته بالنجاح والنصر كما حدث في غزو بدر"[2].

2- منهجية الوحدة وإنهاء الإنقسام.

كسر الحصار بشكل كامل لا يمكنُ أن يتم إلا بعد إنهاء الانقسام والتوحد في خندقٍ واحد، وقد بيّن لنا القرآن الكريم خطر التفرّق والشقاق وأنَّ نتيجته الطبيعية الفشلَ والهزيمة، قال اللـــه ﷻ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: 46].

3- منهجية فقه الإنفاق.

أن يفقه المسلم أنَّ استدانة المال لنفقته على أمور هامشية وتافهة في حياته، إنما هو مجاراة للسفهاء، وتبذير غير محمود، وخاصة إذا كان سينفقه على أمور محرّمة كالحفلات والمنكرات، والسفيه هو الذي لا يحسن التصرّف صغيرًا كان أو كبيرًا، قال ﷻ: ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ [النساء: 5].

4- منهجية استثمار اختلاف الأعداء.

الاستفادة من تناقضات القوى المضادة بشكل مباشر أو غير مباشر واستثمارها لتوفير بعض الحماية للدعوة وقيادتها وأن يخفف من حدة التحديات لها[3].

يقول الأستاذ منير الغضبان: "الحركة الإسلامية تحتاج في مسارها الطويل إلى فن التعامل مع الجاهلية، بحيث تنتزع منها كل من يمكن أن يساندها وتستفيد من كل من يدعمها

---

(1) انظر: علي محمد محمد الصلابي: عمر بن الخطاب شخصيته وعصره (ص 260)، وسالم البهنساوي : الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية (ص:166).

(2) مصطفى السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر (ص101).

(3) انظر: الطيب برغوث: منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة (ص:358).

ويحفظ لها حريتها، وتستغل كل عناصر الخلاف في صفوف هذه الجاهلية، ولا يتعارض هذا أبدًا مع تميزها ومع المفاصلة، فليس التفاصل إذن دائمًا لمصلحة الدعوة والحركة"[1].

5- منهجية الأمن والتلطّف في الإعلام.

من الأخطاء التي يقع فيها قادة العمل الإسلامي وتتكررُ كثيرًا نشرُ الأفكار الوليدة والناشئة أولاً بأول قبل أن تصبح لبنات، فيُجهز عليها الأعداء قبل أن ترى النور، ويضعون الخُطط لإفشالها، وفي هذا تعطيل من المسلمين لمنهجية الأمن، قال الله ﷻ: ﴿ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النساء: 71]، والأفضل ترك التصريح على الإعلام إلا بكلام مُحدّد يُعرض على ذوي الاختصاص حتى لا تكن كل الخطط والأفكار مكشوفة للأعداء، ولقد علّمنا القرآن الكريم منهجاً أمنيا مُهما، وهو الحفاظ المشترك بين الراعي والرعية على مصلحة وسمعة الأمة، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء: 83]، وقال الله ﷻ حكاية عن يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام وهو يقص عليه رؤياه: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يوسف: 5]، وقال ﷻ عن نصيحة أصحاب الكهف لأحدهم لمّا ذهب لجلب الطعام، فقالوا: ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ [الكهف: 19]، ولفت النبي ﷺ أنظارنا إلى أهمية الحفاظ على الكتمان في الأمور المهمة، وهو منهج إسلامي قرآني ونبوي أصيل، معناه: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان"، وحتى لا يستغل العدو تصريحاتنا في حصارنا إعلامياً من خلال تحريض الرأي العام علينا من خلال كلماتنا التي يأخذونها ويوجّهونها للعالم على أننا قتلة ونصنعُ الفوضى فنكون ساعدناهم في حصار أنفسنا، وكشفنا أسرارًا تضرَّ بمصلحة وسمعة الدولة، ألا نرى كيف نجح النبي ﷺ في فتح مكة عنوة، إذ دخلها على غرة لأنه سار إليها بهذه المنهجيات، ولم ينكشف الجيش رغم أعداده الضخمة التي مضت في ظلال تعتيم إعلامي ناجح[2].

ولقد ابتليت الأمة بالمنافقين والثرثارين الذين يُفشون أسرار المسلمين ويُقدمونها قرباناً للأعداء أولاً بأول، ويتعمّدون ذلك لكشف وهزيمة المسلمين، فوجب العمل على تحصين وغمر

---

(1) منير محمد الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية (ص:87)، وانظر: نعيم الصفدي: الصبر والثبات في مواجهة الحصار (ص:473).

(2) انظر: أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة (477/2).

الأسرار التي تضرُّ بالدولة، وتنبيه الصحافيين والإعلاميين على عدم نشر المعلومات إلا من المصادر المسؤولة، وعدم ملاحقة السبق الإعلامي لمخاطره وأضراره.

6- منهجية الإعلام الدعوي.

يعتبر الإعلام من أهم أدوات الأمة داخليًّا وخارجيًّا، فهو الذي يعكس حقيقة الأوضاع السياسية والفكرية، ويوجّه الرأي العام في الداخل نحو التماسك الاجتماعي، قال الله ﷻ: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: 83]، وهذا يتطلب ضرورة الوصول إلى برنامج عام متميز يحقق إبراز رموز الأمة وحَمَلة الفكر فيها، وخاصة لأمة تحمل فكراً وعقيدة ورسالةً تسعى لنشرها وتبليغها رغبةً في إيصال الأصلح لحياة البشرية، قال الله ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: 125]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ ﴾ [إبراهيم: 4].

وهناك محاولات إسلامية تمثَّلت في المجلات والصحف ثم التلفاز بعد ذلك لتحمل صُوَرًا توجيهية وبرامج تتعلق بالدعوة الإسلامية، غير أنها اتسمت بقلة الإمكانات المادية نتج عنها ضعف في الإخراج، رغم ما يحتويه بعضها من معلومات طيبة، مما جعلها ضعيفة في مواجهة المنافسة الشرسة مع الوسائل الحديثة، وهنا تظهر حاجة الأمة إلى إعلام ملتزم يحمل شمولية الدعوة وحيويتها، بعيدًا عن التقليد والتكرار المُمِلّ[1].

7- منهجية السفير الدائم.

كلُّ مسلمٍ يمكنُ أن يعمل كسفيرٍ لدينه وينصر قضيته حسب طاقته وعلمه، بالحجة والبيان، والسماحة والأخلاق، ليكون محاميًا ناجحًا يُدافع عن دينه وهموم أمته، مثل الهدهد والنملة في قصة سليمان عليه السلام، ومصعب بن عمير رضي الله عنه، وغيرهم ممن طار برسالة دينه مبلّغاً ومنذرًا، وما انتشر الإسلام في بلاد الصين والهند والسند وغيرها إلا بأخلاق وسمت التجار المسلمين الذين كانوا خير سفراء لدينهم، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: 33]، وقال النبي ﷺ: « فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[2].

---

(1) انظر: المنتدى الإسلامي: مجلة البيان (38/109).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ وَالنُّبُوَّةِ، وَأَنْ لاَ يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ (ح2942)، (47/4).

8- منهجية فقه الأولويات.

لا بد في العمل الإسلامي من عملٍ مرتب ومنظّم، تقدّم فيه الأولويات، ويُقدّم الأهم على المُهم، وتوزّع فيه الأدوار حسب الخبرة والطاقة العملية، من خلال إعداد جيل إعلامي شرعي متميّز، بعيد عن الانهزامية والرضوخ لأهواء الناس، وألا يكون العمل الإعلامي سببًا في انشغالنا عن أنفسنا وتربيتها بتربية غيرنا[1].

9- منهجية الاكتفاء والاحتواء.

لمواجهة أمواج التجهيل والحصار يقترح الباحث على حكومة قطاع غزة إنشاء مدينة تعليمية صناعية للتربية والتدريب العملي للطلبة والخريجين، وتكون قادرة على الانتاج بحيث تخدم القطاع العلمي والقطاع الاقتصادي والانتاجي، فيستفيد المتدرب خبرة، ويستفيد المواطن منتج محلي وبسعرٍ جيد.

10- أهمية الصلاة في حل المشكلات.

قال الله ﷻ: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[البقرة: 45]، كان النبي ﷺ إذا كُسفت الشمس يصلي، وإذا انشقَّ القمر يصلي، وكان إذا حزبه أمر يصلي[2]، وعند النوازل يُشرع القنوت في الصلاة، فإذا كانت الصلاة تحل مشكلات عالمية وتُحصّن منها، فإنها حلٌ عملي لكل مشكلاتنا الشخصية والجماعية.

11- منهجية القضاء على الإشاعات.

لا بدّ من مكافحة الإشاعات والأخبار الكاذبة: قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[النساء: 83]، فالأمة المتماسكة في جبهتها الداخلية أمة قوية وواعية، وأما الأمة المفككة تبقى ضعيفة مهزومة، وقد حذرنا القرآن من التمزق بسبب الإشاعة والأخبار الكاذبة والدعايات المغرضة التي تفرق ولا تجمع، وتخدم العدو وتحقق أهدافه الخبيثة، ولا بد حينئذ من وعي شامل، وقيادة حازمة، لنتتجاوز مرحلة الضعف والانهزام الداخلي، وذلك بالإقدام على استئصال وتجفيف أنشطة المتخاذلين الذين ينافقون لأمتهم في السر والخفاء، فأرشدنا القرآن إلى

---

(1) انظر: عبد العزيز الجليل: "ولو شاء ربك ما فعلوه"، ص(288).

(2) انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (172/3).

ترك الحديث في أمور الخوف والأمن إلى القائد أو الرئيس، أو لأهل الحل والعقد، فهم أدرى بذلك[1]، وقال النبي ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[2].

12- منهجية الاستنارة بأفكار الجماهير.

يقترح الباحث على الحكومات المحاصَرة أن تُخصّص صفحة إلكترونية لمشاورة وأخذ رأي الشعب بكل مستوياته باستمرار والاستفادة منها، من خلال تعبئة استبانة تَطرح قضايا شائكة ومهمّة والاستنارة والاسترشاد بآراء الناصحين والمنتقدين حتى يُسدّدوا ويقاربوا، ويعملوا بمبدأ الشورى، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[الشورى: 38].

13- منهجية التركيز على الإدارة والخبرة.

من أعظم أسباب التأخر في الوقت المعاصر سوء القيادة وضعف التنسيق وقلة الخبرة لدى الكوادر الحكومية العربية، وتدخّل الطابع الفئوي في الوظائف والقرارات، وعدم الانفتاح على الأفكار الآخرى التي قد تساهم في حلّ المشكلات الكبرى، وربما تهميش الآراء الأخرى أحد أسباب تبلور التكتلات المخالفة فكريا، ولحل هذه الإشكاليات لا بد من التعاون في إيجاد ذوي الكفاءة، قال ﷻ حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55]، وقال ﷻ حكاية عن ابنة شعيب عليه السلام: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص: 26]، وبمثل هذه المنهجيات والقواعد تصلح إدارة البلاد.

14- منهجية المسئولية الجماعية في حلّ الأزمات.

يقترح الباحث على حكومة غزة وقيادات الشعوب المحاصرة، أن يقوموا بعمل مؤتمر شعبي كبير يكون بعنوان: (مسؤولية الجميع في حل الأزمة)، يجمع بين الذكاء السياسي، والخبرة الإدارية، والمرجعية الشرعية، والحصافة الأمنية، والقوة المتاحة، ولا يختص المؤتمر بشريحة أو حزبٍ أو فئة مُعيّنة، بل يُترك العنان لكل من يحمل الهمَّ أن يُبدع ويُفكر، بشرط أن تخرج نتائج المؤتمر - التي تُمثّل خلاصة مشاورات مطوّلة - إلى العلن، ويتحمّل الحاكم مسؤولية تنفيذها بصدق وشفافية، فإنَّ مشكلة أمتنا اليوم انفراد فئة باتّخاذ القرارات المصيرية دون مشاورة بقية الأطراف، وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران: 159].

---

(1) انظر: الزحيلي: التفسير الوسيط (1/351-352).

(2) مسلم: صحيح مسلم، بَابُ: النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ (1/10).

رابعًا: الهدايات التربوية.

1- تهيئة شكل الإنسان ومفاصله.

خلق الله الإنسان على هذا الشكل، لتتناسب صورته مع ما خُلِق من أجله من كثرة الركوع والسجود لله ﷻ، الذي خلقه في أحسن تقويم، ويظلُ متيقّظًا على الدوام أنه خُلِق لعبادة الله ﷻ، وهذا يقتل الغرور الذي يصيب بعض النفوس البشرية، ويظلُّ العبدُ ينظرُ دومًا تحت قدميه وإلى هذا التراب الذي يدوسه بقدميه إذ هو أصل تركيبه، وأنه إليه عائد، فيتربّى بذلك على دوام الانكسار لله ﷻ، وكلما همّت نفسه بأن ترتفع وتعلو على الآخرين بالظلم والإيذاء يتذكّر أنَّ الله ﷻ أقوى وأكبر وأقدر منه عليه فيرتدع وينزجر، قال الله ﷻ: ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢ ﴾ [عبس: 17–22].

2- تفضيلُ الإنسان على غيره.

مّما يدعو الإنسانَ إلى التأمُل طويلاً لماذا هو المُفضّل بالذات على غيره في الصورة والعقل والتكليف!، قال الله ﷻ: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ﴾[التين: 4]، إنَّ هذه الآيات وغيرها لتهزُّ بنيان الإنسان ليصحو من رقاده ويتَنبّه من غفلته ليأخذ دوره الطليعي في الرِّيادة وينتقلُ من مرحلة التنظير والقول إلى مرحلة العمل البنّاء والجاد؛ لتخليص البشرية من الجهل والضياع، وصيانة الأرض ممن يريد أن يحرفها عن مسارها بعد أن انحرفت فطرته، "ولِذَلِكَ كَانَ خَلِيقاً بِهِ أَنْ يُقَدِّرَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَسْتَعْمِلَ عَقْلَهُ وَحَواسَّهُ فِي الخَيْرِ، وَفِي فِعْلِ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ"[1].

3- نعمة العقل وشكر المنعم ﷻ.

من أراد أن يستشعر عظيم نعمةَ العقلِ وآثار هذه المِنَّة فلينظر إلى المجانين أو من يُردون إلى أرذل العمر فتضيعُ عقولهم؛ بسبب الهرم وفقدان الذاكرة فلا يعلمون من بعد علمٍ شيئًا، أو لينظر إلى غيره من البهائم البهمَاء والمخلوقات الخرساء التي لا تعقلُ، وإذا علت أصواتها لا تُفهِم؛ ليعلم أن كلَّ ذلك من إنعَام الله ﷻ ومن فيض عطاياه﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: 13].

---

(1) أسعد حومد: أيسر التفاسير (5714/1).

4- قيمة ولادة الإنسان على الفطرة.

الفطرة هي الْإِسْلَام وَالِاسْتِقَامَة[1]، وهُنَا تتأكدُ "حقيقةُ الفطرةِ القويمةِ التي فَطرَ اللهُ الإنسانَ عليها، واستقامت طبيعتها مع طبيعة الإيمان، والوصول بها معه إلى كمالها المقدور لها"[2]، قال ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الـــــــروم: 30]، "وتخصيصُ الإنسان هنا وفي مواضع قرآنية أخرى بحسن التركيب، وحسن التقويم، وحسن التعديل.. فيه فضل عناية بهذا المخلوق"[3]، وأنَّ له شأنًا عظيمًا عند الخالق ﷻ وقدرًا لا يعرفه إلا ذووا الألباب.

5- تسخير العقل لخدمة الإسلام والبشرية.

فعلى الإنسان أن يسعى لتطبيق معادلة النجاح في الحياة، وهي التركيز على قيمة العقل وأنها لم تأتِ من فراغ، واستغلال هذه الطاقة العقلية الضخمة فيما يعود على النفس وعلى الأمة ككل بالقيم والتخطيط من باب ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: 2]، وعدم إتلافه وإضعافه بالمحرّمات والمُسكرات، أو حرفه عن مساره الصحيح في التفكير.

6- تحقيق مبدأ الشورى.

"المشاورة أمر رشد في كل شيء عام أو خاص، ما لم يكن سرًا لأنها تحقق نفعا بالتوصل إلى أصوب الآراء ، وخصوصا في الحروب والمصالحات وقضايا الأمة العامة، وما تشاور قوم إلا هُدوا لأرشد أمورهم وكان رسول الله ﷺ أكثر الناس مشاورة، قال الله له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، ومدح الله تعالى الفضلاء بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: 38]، والمشاورة نهج قديم، وبخاصة في الحرب، قالَتْ بلقيس لقومها: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: 32]، قالت ذلك لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وحزمهم في أمرهم، وربما كان في استبدادها مكمن الخطر والضعف والسقوط في النهاية"[4].

---

(1) انظر: النووي: شرح صحيح مسلم (212/2).

(2) سيد قطب: في ظلال القرآن (3933/6).

(3) سيد قطب: المرجع السابق (3933/6).

(4) الزحيلي: التفسير المنير (297/19) بتصرف.

7- معية الله مع المؤمنين.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: 38]، إنَّ الله ﷻ لن يتخلّى عن أهل الحق، وإن حاصر الأعداءُ أجسادهم فلن يستطيعوا حصار قلوبهم، وإن أغلقوا دونهم أبواب الأرض فأبواب السماء مفتوحة لا تُغلق، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186]، والقلوب على اتّصال دائم مع خالقها ومولاها ﷻ، قال ابن تيمية لتلميذه ابن القيّم: "ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إنَّ حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القاعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله ، وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه"[1].

8- استشعار الضعف البشري.

" وقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: 33]، إشارة إلى الحصار الإلهي المضروب من حول خلقه، أقوياءً وضعفاء، أغنياء وفقراء، مرؤوسين ورؤساء، فلا سبيل لهم إلى الإفلات من قبضة الله، ولا مفر من الوقوع بين يديه، والانتهاء في نهاية المطاف إليه، وإذا أصبح في إمكان الإنسان أن يجول بين بعض ﴿أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، وداخلها فإن ذلك لا ينفي أنه عاجز كل العجز عن أن يتجاوزها ويفارقها ويخرج منها بالكليَّة، وذلك هو" النفاذ منها "[2].

9- خطر حصار الذنوب.

من أخطر أنواع الحصار على النفس، وأحوجها إلى مواجهة حقيقية: حصار الذنوب للقلوب، إذ أنها تتراكم فتضعُف القلب والبدن، قال ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: 14]، وهذا الحصار للقلب سببه الخلود للدنيا، وحبُّ الدنيا رأس كل خطيئة، وسبب ورود الموارد والمهالك، وإذا لم يتدارك العبد قلبه ربما يفقده في أي لحظة.

---

(1) ابن قيّم الجوزية: الوابل الصيب (48/1).

(2) أبو حيان: البحر المحيط في التفسير (141/4).

الخاتمـــة

الحمد والفضل والمِنَّة لله وحده على الإعانة والتَّمام، والصلاة والسلام على من أوذي في الله فصبر، وجاهد رغم الكيد والعنت، فنصره مولاه ﷻ وهزم أعداءه، وبعد:

توصّل الباحث إلى أهم النتائج وأبرز التوصيات من خلال دراسته لموضوع الحصار في القرآن، وهي على النحو التالي:

أولًا: أهم النتائج:

1- من أظهر أسباب فساد الأرض وأهلها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مُبرّر لتسلُّط الظلمة، وانعدام الأمن، وظهور الجهل، واستحقاق اللعن الإلهي وحرمان استجابة الدعاء.

2- الابتلاء سنة إلهية، ومقارعة الباطل لا تنتهي ما دامت السموات والأرض، ومن عرف هذا لم يتفاجأ من صولة الباطل وجولات الصراع مع الأعداء وإن تغيّر شكل المعركة مكانًا وزمانًا، فلا بدَّ من التربية على الصبر والاحتساب.

3- الحصار نوعٌ من أنواع القتال، يحتاج إلى قوة مقابِلة وإعدادٍ مُستمر، ويأتي بمعنى الحبس والإمساك والإحاطة والسجن والمنع والتضييق والحظر، وكلها مصطلحات حربية تلتحم لتشكّل سلسلة من الأذى والألم للمُحَاصَرين.

4- لن تنجح أمة تعطي التبعية والولاء لغير دين الله، ولن تتحرّر من حصارها إلا إذا زرعت أرضها بأيدي أبنائها، وصنعت سلاحها بخبرتها، وكان قرارها من رأسها.

5- يسعى أعداؤنا إلى نسف منظومة الأخلاق والقِيَم على الدوام من خلال الحرب الإعلامية واللاأخلاقية، التي تستهدفُ الجيلَ وتنفثُ سمومًا من القنوات والصفحات الهابطة، وهذا يتطلّبُ تجييش كل الطاقات وصناعة قوة مضادة على الدوام وتوفير البدائل حتى لا يتصدّع بنيان المسلم وأخلاقه.

6- أهمية عملية تحصين المفكّرين والمُثقّفين المسلمين حتى لا يتأثّروا عند قراءتهم في كتب غير المسلمين، أو احتكاكهم بالعلماء أثناء الدراسة والمؤتمرات العلمية.

7- للتعامل مع العدو علاج لكل مرحلة، فلا ينفع السلاح والحسم في كل ميدان، بل بعض الميادين بحاجة للسياسة والدهاء، وبعضها لا دواء له إلا السيف والقوة، وعلى الأمة تجهيز الأفذاذ لكل موقف لتُحسن التصرّف والمناورة.

8- ينبغي على الدعاة والمصلحين عدم إغفال الوسائل العملية والعلمية والنظرية التي نستنبطها من القرآن الكريم، ويُحسنوا ربطها بالواقع والاستفادة من العلوم الماديّة فإنَّ لها أثرًا في تنمية قوة الأمة وتجديد الصحوة وتنقية الفكر الإسلامي من التشوّهات والشوائب.

9- الوصول لحلِّ أي مشكلة يبدأ بخطوات مهمة: الأولى الاعتراف بوجود المشكلة، والثانية: تشخيص المشكلة، والثالثة: عرضها على القرآن والبحث عن حلولها من خلال الفهم الصافي لقواعد القرآن في التعامل مع المشكلات، والاستفادة من السيرة النبوية، وحياة السلف ولا نغفل الحلول الواقعية.

ثانيًا: أبرز التوصيات:

1- يوصي الباحث الدعاة والعلماء باتّباع أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة في دعوة المسلمين وغيرهم، والبعد عن التنفير والشدة مع المدعووين حتى يأنسوا بديننا ويستسلموا لشريعة ربنا ﷻ بالفهم والمحبة.

2- يوصي الباحثُ وليَ الأمر والحكومة بأهمية اتباع منهجية السفير المسلم الدائم، حتى يُنظّر لدينه، وينصر قضيته، ويبحث عن حلول للحصار.

3- يُنبّه الباحث القائمون على الإعلام بضرورة توفير إعلام عصريّ قوي وهادف لنقل صورة مشرّفة عن ديننا، وفي نفس الوقت نُصرة قضايا المحاصرين والمستضعفين أمام العالم وفي المحافل الدولية، وينجح في كشف زيف الأعداء الذين يزوّرون الحقائق.

4- يوصي الباحث طلبة العلم والمسلمين بالبحث عن الحلول لكل مشكلاتهم في كتاب الله ﷻ ففيه هداية وإرشاد لكل أزماتنا، وكلما أبحرنا أكثر في معانيه استطعنا أن نتوحّد في وجه عدونا، ونكتشف خططه وأفكاره وبذلك نسلُّ سمومه ونأمنُ شروره.

5- يوصي الباحث بضرورة تقديم الكفاءات حتى لو كان من غير المسلمين ـ بشرط أمن مكره ـ ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ومحاربة الرشوة والواسطة والمحسوبية وتوسيد الأمر إلى غير أهله لدوافع حزبية واعتبارات القرابة والصداقة وغيره؛ لأنها من أسباب الفساد التي تُضعف الأمة والشعوب.

6- يلفت الباحث انتباه ولاة الأمر في كل الميادين أن يُبادروا بإقامة مشاريع يتعدّى نفعها إلى أكبر قدر ممكن، فتغيث الملهوف، وتغني الفقير، ويتكافل المجتمع، ويتطوّر الجيل، فنبني في كل المجالات ونحصّن مجتمعنا فنفّشل الحصار.

7- وأوصي كل المسلمين بضرورة العمل بسنة الأخذ بالأسباب من خلال فهم قصص القرآن والوقوف على هداياتها، ومعرفة الدور الرّيادي لكل مسلمٍ في ثغره لنصرة دين الله ﷻ، وكسر الحصار عن المستضعفين، وتخفيف مآسي المسلمين.

8- الاستفادة من الهدايات والمنهجيات العملية في آخر البحث إذ فيها الكثير من التوجيهات والعلاجات النافعة بإذن الله تعالى.

وأخيرًا فهذا جهد المقل، ولا ادّعي الكمال، وعذري أنني بذلت قصارى جهدي ومداد قلمي لأُجلّي قضية شائكة من قضايا أمتنا، وجرحًا غائرًا، سائلًا ربي ﷻ أن يغفر الزلل وأن يجبر النقص والخلل، وأن يُثيبني على شرف المحاولة وطلب العلم النافع لعلّي أُحشرُ مع أهله، ولسان حالي كقول القائل:

أسيرُ خلفَ رِكابِ النَّجبِ ذا عَرَج مُؤمِّلًا كشفَ ما لا قيتُ مِن عَوج
فإن لحقتُ بهم من بعدِ مَا سبقوا فكم لربِّ الورى في ذاكَ من فَرجِ
وإن بقيتُ بظهرِ الأرضِ منقطعًا فما على عَرجٍ في ذاكَ من حَرَجِ

اللهم اجعل عملي هذا في رضاك، اللهم إني أسألك التوفيق والسداد والإخلاص والقَبول، ثم حسن الخاتمة والرضا يوم ألقاك، يوم يتقبّل الله من المتّقين أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم.

وختامٌ أُعطّرُ فيه أنفاسي بالصلوات الزكيّات المباركات على أشرف وأسعد البريات قرة عيني محمد ﷺ ، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

" **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**"، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، عام النشر 1415 هـ، 1995 م.

" **التيسير في أحاديث التفسير**"، محمد المكي الناصري (ت: 1414هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1405 هـ - 1985 م.

" **الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديمقراطية** "، المستشار سالم البهنساوي، دار اقرأ للنشر والتوزيع، 1900م.

" **الدرر في اختصار المغازي والسير**"، للنمري، الحافظ يوسف بن البر، المحقق: الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1403هـ.

" **السيرة النبوية، قراءة لجوانب الحذر والحماية**"، للدكتور إبراهيم علي أحمد، سلسلة دورية تصدر عن وزارة الأوقاف قطر، الطبعة الأولى 1417هـ/1996م.

" **المفردات في غريب القرآن**"، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ.

" **المنهج التربوي للسيرة النبوية، التربية الجهادية**"، للدكتور منير الغضبان، دار الوفاء – الأردن، الطبعة السادسة 1426هـ-2005م.

" **تفسير الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل**"، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

" **تفسير القرآن**"، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ- 1997م.

" **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**"، شوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: 573هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله،

دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.

" **مجاز القرآن**"، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209هـ)، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة1381 هـ .

" **مجلة المنار**"، لمحمد رشيد بن علي رضا، ومجموعة من المؤلفين، مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا (ت: 1354هـ) .

" **مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي**"، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة جـ 1، 2/ الثانية، 1424 هـ - 2003 م، جـ 3/ الأولى، 1424 هـ - 2003 م، جـ 4/ الأولى، 1425 هـ - 2004.

" **مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة**"، علي بن نايف الشحود، الطبعة الأولى، 1433هـ - 2012 م.

" **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

"**أخلاق الحروب في السُنّة النبوية**"، للدكتور راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ، الطبعة الأولى، 1431هـ - 2010م.

"**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**"، **المسمى بـ: تفسير أبي السُّعود**، لأبي السُّعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، دار إحياء التُّراث العربي – بيروت.

"**إعراب القرآن وبيانه**"، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : 1403هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، دار اليمامة – دمشق – بيروت، دار ابن كثير – دمشق – بيروت، الطبعة الرابعة، 1415هـ.

"**إلا تنصروه فقد نصره الله**"، ناصر بن سليمان العمر، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، الطبعة الأولى 1429هـ، 2008م.

"**الإدارة في سورة يوسف** عليه السلام"، للباحث نايف شعبان قرموط، إشراف الدكتور: عصام العبد زهد، الجامعة الإسلامية، 1430هـ-2009م.

"**الأدب المفرد**"، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة، 1409هـ – 1989م.

"**الأساس في التفسير**"، لسعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر– القاهرة ، الطبعة الثالثة 1991م .

"**الأساليب النبوية والعصرية في فك الحصار عن الدعوة الإسلامية**" رمضان إسحق الزيان، بحث مقدم إلى مؤتمر"الإسلام والتحديات المعاصرة"، المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-2007/4/3م.

"**الإسلام دين كامل**"، للعلامة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، (ت: 1393هـ)، من إصدارات الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، السعودية.

"**الأعلام**"، للزركلي، خير الدِّين بن محمود (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطَّبعة الخامسة عشر – أيار / مايو 2002م.

"**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء كتاب الله**"، سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، الطبعة الرابعة، 1417هـ – 1996م.

"**البحر المحيط في التفسير**"، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر–بيروت، الطبعة: 1420 هـ.

"**البحر المحيط في التفسير**"، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420 هـ.

"**التبشير والاستعمار في البلاد العربية**"، (عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى اخضاع الشرق للاستعمار الغربي)، للدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الخامسة، 1973م.

"**التَّحرير والتَّنوير**" "**تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**"، لابن عاشور، محمد الطَّاهر بن محمد (ت : 1393هـ)، الدار التُّونسية للنشر – تونس، 1984هـ.

"**التفسير البسيط**"، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ.

"**التَّفسير القرآني للقرآن**"، للخطيب، عبد الكريم بن يونس (ت: بعد1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الأولى 1390هـ / 1970م .

"**التفسير المنهجي، سلسلة تفسير القرآن الكريم**"، جمال أبو حسان وآخرون، دار المنهل – عمان، الأردن، الطبعة الأولى 2006م.

"**التَّفسير المنير في العقيدة والشَّريعة والمنهج**"، د: وهبة بن مصطفى الزُّحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطَّبعة الثَّانية ، 1418هـ.

"**التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**"، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، 1433هـ، 2012م.

"**التفسير الواضح**"، الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة، 1413 هـ.

"**التفسير الوسيط للزحيلي**"، د: وهبة بن مصطفى الزُّحيلي، دار الفكر – دمشق، الطَّبعة الأولى، 1422هـ.

"**التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم**"، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، الفجالة – القاهرة، الطَّبعة الأولى، تاريخ النَّشر للأجزاء ما بين 1997– 1998م.

"**الجامع الصحيح للسيرة النبوية**"، الأستاذ الدكتور سعد المرصفي، مكتبة ابن كثير، الكويت، الطبعة الأولى، 1430 هـ – 2009 م.

"**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**"، **المسمى بـ: "صحيح البخاري**"، للبخاري، محمد بن إسماعيل، دار طوق النَّجاة، الطَّبعة الأولى، 1422هـ.

"**الجامع لأحكام القرآن**"، تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ – 1964م.

"**الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود صافي**"، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت:1376هـ)، دار الرشيد، دمشق– مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الرابعة1418 هـ.

"**الحرب النفسية ضد الإسلام**"، عبد الوهاب كحيل، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.

"**الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة في ضوء أحكام القانون الدولي العام**"، خولة محي الدين يوسف، إشراف الدكتورة أمل يازجي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية (المجلد 27–العدد الرابع2011).

"**الحصار على غزة بحسب قواعد القانون الدولي الإنساني جريمة إبادة جماعية**" الدكتور حنا عيسى،

"**الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية**"، للدكتور محسن محمد صالح، من إصدارات دائرة القدس في وزارة الأوقاف بفلسطين، ط1437 هـ – 2016 م.

"**الخلاصة في أحكام الأسرى**"، علي بن نايف الشحود، الطبعة الثانية معدلة ومزيدة، 1433 هـ – 2012 م.

"**الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**"، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: 756هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

"**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: 911هـ)، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية – القاهرة، الطبعة الأولى 1424هـ–2003م.

"**الرحيق المختوم**"، صفي الرحمن المباركفوري (ت: 1427هـ)، دار الهلال، بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة الأولى.

"**السياسة المالية والاقتصادية لعمر**"، تأليف: بشير كمال عابدين،ط2006 ، دار المأمون للنشر والتوزيع

"**السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية**"، محمد بن مصطفى بن عبد السلام الدبيسي، رسالة دكتوراة، كلية الآداب – جامعة عين شمس، القاهرة، إشراف الأستاذ الدكتور عفت الشرقاوي، عام1431 هـ – 2010 م.

"**السيرة النبوية دروس وعبر**"، الدكتور مصطفى السباعي، (ت: 1384هـ) دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر،1988م.

"**السِّيرةُ النّبوية عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث**"، الدكتور علي محمد محمد الصلاّبي، دار النشر للجامعات، مصر، 1428هـ، 2007م.

"**السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**"، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: 1403هـ)، دار القلم – دمشق، الطبعة الثامنة – 1427 هـ.

"**السيرة النبوية لابن هشام**"، طه عبد الرؤوف سعد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: 213هـ)، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

"**السيرة النبوية لابن هشام**"، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، 1375هـ – 1955م.

"**السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها**"، عبد الرحمن علي الحجي، دار ابن كثير– دمشق، الطبعة الأولى–1420 هـ .

"**الصبر والثبات في مواجهة الحصار**"، نعيم الصفدي، بحث مقدم إلى مؤتمر"الإسلام والتحديات المعاصرة"، المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2–2007/4/3م.

"**الطريق إلى القدس**"، الدكتور محسن محمد صالح، من إصدارات دائرة القدس في وزارة الأوقاف بفلسطين، ط1437هـ، 2016 م.

"**العلمانيون وفلسطين، ستون عاماً من الفشل**" **وماذا بعد؟**، د.عبد العزيز كامل، سلسلة تصدر عن مجلة البيان بالسعودية" ط 2008، مطابع الأهرام.

"**الفروق اللغوية**"، للعسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثَّقافة للنشر والتَّوزيع، القاهرة – مصر.

"**الفروق اللغوية**"، للعسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: نحو 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثَّقافة للنشر والتَّوزيع، القاهرة – مصر.

"**الفقه الإسلامي المقارن مع المذاهب**"، للدكتور محمد فتحي الدريني، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الثالثة، 1412هـ– 1992م.

"**الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ** "، الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها، أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر ، سوريَّة، دمشق، الطبعة الرَّابعة .

"**الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**"، محمد البهي، (ت: 1402هـ)، مكتبة وهبه، الطبعة العاشرة.

"**الفوائد**"، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1393 هـ، 1973م.

"**القرآن الكريم منهج متكامل**"، محمود بن يوسف فجال، مجهول مكان وزمان الطباعة ودار النشر.

"**الكامل في التاريخ**"، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: 630هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ ، 1997م.

"**الكشاف عن حقائق غوامض التَّنزيل**"، **المسمى بـ: "تفسير الزَّمخشري**"، للزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، 1407هـ.

"**الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**"، للكفوي، أيوب بن موسى أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرِّسالة – بيروت.

"**اللباب في علوم الكتاب**"، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: 775هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ – 1998م

"**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**"، لابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشَّافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطَّبعة الأولى، 1422هـ.

"**المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**"، عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد، ابن تيمية الحراني، أبو البركات، مجد الدين (ت: 652هـ)، مكتبة المعارف– الرياض، الطبعة الثانية 1404هـ –1984م.

"**المختصر في تفسير القرآن الكريم**"، لجماعة من علماء التفسير، إشراف مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة: الثالثة، 1436 هـ.

"**المسند الصَّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**"، **المسمى بـ: "صحيح مسلم**"، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النَّيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت.

"**المغــازي**"، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت: 207هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة 1409هـ-1989م.

"**المفردات في غريب القرآن**"، للراغب الأصفاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الدَّاودي، دار القلم، الدَّار الشَّامية ، دمشق -بيروت، الطَّبعة الأولى، 1412هـ.

"**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**"، "**شرح النَّووي على مسلم**" للنووي، يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، 1392هـ.

"**المنهج التربوي للسيرة النبوية، التربية الجماعية**"، منير الغضبان، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة الأولى 1422هـ-2002م.

"**المنهج الحركي للسيرة النبوية**"، منير محمد الغضبان (ت: 1435هـ)، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة: السادسة، 1411 هـ - 1990 م.

"**المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله**"، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد 119 - السنة 35 - 1423 هـ/2003م.

"**الموافقات**"، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)، دار ابن عفان، الطبعة الطبعة الأولى 1417هـ، 1997م.

"**الموسوعة التاريخية**"، موجز مرتب مؤرخ لأحداث التاريخ الإسلامي منذ مولد النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – حتى عصرنا الحالي، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

"**الوابل الصيّب من الكلم الطيب**"، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1999م.

"**الوجيز في عقيدة السلف الصالح – أهل السنة والجماعة**"، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـ.

"**أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل**"، للبيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرَّحمن المرعشلي، دار إحياء التُّراث العربي – بيروت، الطَّبعة الأولى – 1418هـ.

"**أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**"، لقاسم بن عبد الله الرومي الحنفي، (ت: 978هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة 2004م،1424هـ.

"**أهداف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**"، إبراهيم بن عثمان الفارس، دار العاصمة الرياض، الطبعة النشرة الأولى 1410 هـ.

"**إيجابيات الحصار**"، أ. كائنات محمود عدوان، ورقة عمل مقدمة ليوم دراسي بعنوان: دور المرأة في مواجهة الحصار، برعاية لجنة العمل النسائي بجمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية، 25 ذو القعدة 1427هـ، 16 كانون أول 2006م، غزة، فلسطين.

"**أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**" ، أبي بكر جابر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، السعودية ، الطبعة الثالثة 1418هـ – 1997م .

"**بحر العلوم**"، تفسير السمرقندي، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: 373هـ).

"**بلادنا فلسطين**"، لمصطفى مراد الدباغ، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1966م.

"**تاريخ ابن خلدون**"، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: 808هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1408 هـ، 1988م.

"**تاريخ الرسل والملوك وصلة تاريخ الطبري**"، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، (ت: 369هـ)، دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية – 1387 هـ.

"**تاريخ المدينة**"، لعمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (ت: 262هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، جدة، عام النشر 1399 هـ.

"**تأويلات أهل السنة**"، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ، 2005 م.

"**تحرير ألفاظ التنبيه**"، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت: 676هـ)، المحقق: عبد الغني الدقر، دار القلم ، دمشق.

"**تحفة المجد الصريح في شرح الكتاب الفصيح**"، لشهاب الدين أَحْمَد بن يُوسُف بن على بن يُوسُف اللَّبْلِيُّ أَبُو جَعْفَر الفهرى المقرى اللغوى المالكى (ت: 691هـ)، سنة النشر 1418هـ – 1997م.

"**تدبر القرآن**"، سلمان بن عمر السنيدي، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، 1423هـ، 2002م.

"**تفسير الشَّعراوي – الخواطر**"، محمد متولي الشَّعراوي (ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم.

"**تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة**"، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (ت: 1421هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1423 هـ.

"**تفسير القرآن الحكيم**" **المسمى بـ: "تفسير المنار**"، لمحمد رشيد بن علي رضا (ت: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.

"**تفسير القرآن العظيم**"، لابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتَّوزيع، الطَّبعة الثَّانية، 1420هـ – 1999م.

"**تفسير القرآن الكريم**"، لمحمد أحمد إسماعيل المقدم، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net .

"**تفسير القرآن الكريم**"، لمحمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (ت: 1419هـ)، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net.

"**تفسير الماوردي**" "**النُّكت والعيون**"، للماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد (ت: 450هـ)، تحقيق: السَّيد ابن عبد المقصود بن عبد الرَّحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

"**تفسير المراغي**"، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، النَّاشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطَّبعة الأولى، 1365هـ – 1946م.

"**تفسير النَّسفي**" "**مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل**"، للنسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدِّين ديب مستو، دار الكلم الطَّيب – بيروت، الطَّبعة الأولى، 1419هـ – 1998م.

"**تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل**"، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ – 1998م.

"**تفسير عبد الرزاق**"، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: 211هـ)، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1419هـ .

"**تفسير مجاهد**"، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: 104هـ)، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، 1410 هـ، 1989 م.

"**تفسير يحيى بن سلام**"، ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: 200هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

"**تكملة المعاجم العربية**"، لرينهارت بيتر آن دُوزِي، (المتوفى: 1300هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ 1 – 8: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ 9، 10: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من 1979، 2000 م.

"**تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي**"، لأبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: 373هـ)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1421 هـ ، 2000 م.

"**تهذيب سيرة ابن هشام**"، تهذيب شيخ المحقّقين عبد السلام محمد هارون، تنقيح وضبط الدكتور نبيل عبد السلام هارون، دار الطلائع، القاهرة، ط2009م.

"**تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان**"، للسعدي، عبد الرَّحمن بن ناصر (ت: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرَّحمن بن معلا اللويحق، النَّاشر: مؤسسة الرِّسالة، الطَّبعة الأولى 1420هـ –2000م.

"**جامع البيان في تأويل القرآن**"، للطبري، محمد بن جرير(ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرِّسالة، الطَّبعة الأولى، 1420هـ – 2000م.

"**جراحات المسلمين وواجب النصرة**"، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، مركز البيان للبحوث والدراسات، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1435هـ.

"**جريمة الحصار في ميزان الشريعة**"، أبو عبد الرحمن سلمان بن نصر الداية، بحث منشور.

"**حاضر العالم الإسلامي والغزو الفكري**"، للدكتور صالح حسين الرقب، مكتبة الأمل التجارية، غزة، الطبعة الثالثة، 1421هـ، 2000م.

"**خاتم النبيين محمد ﷺ**"، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة، عام النشر: 1425 هـ.

"**خلق المسلم**"، محمد الغزالي، دار الدعوة للطبع والنشر–الاسكندرية، والتوزيع، الطبعة السابعة، 1429هـ–2008م.

"**دراسات في الثقافة الإسلامية**"، صالح دياب هندي دار الفكر للنشر والتوزيع، ط2002م.

"**دولة السلاجقة دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي**"، للدكتور عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ ، 2006 م.

"**رجال حول الرسول**"، خالد محمد خالد ثابت (ت: 1416هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1421 هـ – 2000 م.

"**رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه**"، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، المحقق: عبد الله بن محمد المديفر، مطابع الشرق الأوسط، الرياض، الطبعة الأولى، 1420هـ.

"**رسائل الشيخ الحمد في العقيدة**"، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد

"**روائع التفسير،الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي**"، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1422 – 2001 م.

"**روح البيان**"، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت: 1127هـ)، دار الفكر، بيروت.

"**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**"، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

"**زاد المعاد في هدي خير العباد**"، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ)، مؤسسة الرِّسالة – بيروت، مكتبة المنار الإسلامية – الكويت، الطَّبعة السَّابعة والعشرون ، 1415هـ – 1994م.

"**زهرة التَّفاسير**"، لأبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي.

"**سبل السلام للصنعاني**"، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: 1182هـ)، الناشر: دار الحديث.

"**سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**"، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: 942هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1414 هـ – 1993 م

"**سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**"، للألباني، أبو عبد الرَّحمن محمد ناصر الدِّين (ت: 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتَّوزيع – الرِّياض، الطَّبعة الأولى، **1422هـ – 2002م.**

"**سلسلة التفسير لمصطفى العدوي**"، لأبي عبد الله مصطفى بن العدوى شلباية المصري، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء هو رقم الدرس، http://www.islamweb.net

"**سورة الكهف منهجيات في الإصلاح والتَّغيير**"**دراسة تأصيلية تطبيقية**"، لصلاح سلطان، سلطان للنَّشر– الولايات المتحدة الأمريكية، الطَّبعة الأولى، 1429هـ – 2008م.

"**سير أعلام النبلاء**"، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ / 1985 م

"**شرح الطحاوية**"سفر بن عبد الرحمن الحوالي

"**شرح العقيدة الطحاوية**"، للإمام ابن أبي العز الحنفي وآخرون، تحقيق محمد فرج، مكتبة عباد الرحمن – مصر، الطبعة الأولى 1429هـ–2008م.

"**شرح تفسير بن كثير**"، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

"**شرح رسالة العبودية لابن تيمية**"، عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي، مصدر الكتاب، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

"**شرح صحيح البخاري**" لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرُّشد، السُّعودية، الرِّياض، الطَّبعة الثَّانية، 1423هـ - 2003م.

"**صحيح الجامع الصغير وزيادته**"، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: 1420هـ)، المكتب الإسلامي.

"**صفوة التَّفاسير**"، للصابوني، محمد علي، دار الصَّابوني للطباعة والنَّشر والتَّوزيع – القاهرة، الطَّبعة الأولى، 1417هـ - 1997م.

"**صلاح الدين الأيوبي**"، للدكتور علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر، الطبعة الأولى 1429هـ – 2008م.

"**ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب**"، محمد بن عبد الله السلومي، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب، د.محمد بن عبد الله السلومي، ط2005م، السعودية.

"**عاطر الأنسام من حياة شيوخ الإسلام**"، للدكتور سيد بن حسين العفاني، دار العفاني – القاهرة، الطبعة العاشرة 1433هـ-2012م.

"**عمر بن الخطاب شخصيته وعصره**"، علي محمد محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر-القاهرة، الطبعة الأولى 1423هـ-2002م.

"**عمر بن عبد العزيز**"، للدكتور عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار التوزيع والنشر-القاهرة، الطبعة الأولى 1427هـ-2006م.

"**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**"، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى – 1416 هـ.

"**فتح الباري شرح صحيح البخاري**"، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت: 852هـ)، ، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ.

"**فتح القدير**"، للشوكاني، محمد بن علي (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطَّيب – دمشق، بيروت، الَّطبعة الأولى، 1414هـ.

"**فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري**"، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، 1421هـ.

"**فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**"، للدكتور محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار السلام، مصر، الطبعة السادسة 1419هـ-1999م.

"**فقه السيرة النبوية**"، منير محمد الغضبان، (ت: 1435هـ)، الناشر جامعة أم القرى، الطبعة الثانية، 1413هـ ، 1992 م.

"**فقه السيرة للغزالي**"، محمد الغزالي السقا (ت: 1416هـ)، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1427 هـ.

"**في ظلال القرآن**"، لسيد قطب إبراهيم حسين (ت: 1385هـ)، دار الشُّروق – بيروت، القاهرة، الطَّبعة السَّابعة عشر، 1412هـ.

"**قادة الغرب يقولون: دَمِّرُوا الإِسْلاَمَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ**"، جلال العالم، عبد الودود يوسف الدمشقي (ت: 1403هـ)، 1395هـ ، 1974 م.

"**قصة التتار من البداية إلى عين جالوت**"، للدكتور راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ ، 2006 م.

"**قصة مدينة غزة** "، هارون هاشم رشيد، سلسلة المدن الفلسطينية، تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

"**كتاب التعريفات**"، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ -1983م

"**كتاب العين**"، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

"**كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**"، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى – 1996م.

"**كلمات قرآنية بمعان مختلفة**"، علي فهمي النزهي، دار القمة، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 1435هـ، 2014م.

"**كنز الدرر وجامع الغرر**"، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، حقّق الجزء السابع: د سعيد عبد الفتاح عاشور،1391 هـ، 1972م، وحقّق الجزء التاسع: هانس رُوبرت رويمر،1960م، الناشر عيسى البابي الحلبي.

"**كيف يُحطّم المسلمون قيد التبعية والحصار**"، أنور الجندي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، 1405هـ– 1985م.

"**لسان العرب**"، لابن منظور، محمد بن مكرم بن على (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، 1414 هـ.

"**لطائف الإشارات، المسمى بـ: "تفسير القشيري**"، للقشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، النَّاشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطَّبعة الثَّالثة.

"**مباحث في علوم القرآن**"، مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الطبعة الثالثة 1421هـ– 2000م.

"**مجلة البحوث الإسلامية**"، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المؤلف: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

"**مجلة البشير: موقع الإسلام اليوم**"**2016/2/12م**،

"**مجلة البيان**"، تصدر عن المنتدى الإسلامي، أعداد مجلة البيان عبر 22 سنة من 1406هـ إلى 1428 هـ.

"**مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة**"، المؤلف: تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، وقد صدرت في13 عددا، وكل عدد يتكون من مجموعة من المجلدات.

"**مجموع الفتاوى**"، لابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت: 728هـ)، تحقيق: عبد الرَّحمن بن محمد بن قاسم، النَّاشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف ، المدينة النَّبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ - 1995م.

"**محاسن التَّأويل**"، لجمال الدِّين القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطَّبعة الأولى، 1418هـ.

"**مختار الصِّحاح**"، لأبي عبد الله الرَّازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، النَّاشر: المكتبة العصرية – الدَّار النموذجية، بيروت – صيدا، الطَّبعة الخامسة، 1420هـ - 1999م.

"**مختصر الفقه الإسلامي**"، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الحادية عشرة، 143 هـ ، 2010م.

"**مختصر زاد المعاد**"، لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: 1206هـ)، الناشر: دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1407هـ - 1987م.

"**مشكاة المصابيح**"، للتَّبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري (ت: 741هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدِّين الألباني، النَّاشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، 1985م.

"**معاني القرآن للأخفش**"، أبو الحسن المجاشعي بالولاء البلخي البصري الأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: 215هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1990م.

"**معاني القرآن**"، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: 207هـ)، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.

"**معجم البلدان**"، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م.

"**معجم اللغة العربية المعاصرة**"، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطَّبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

"**معجم مقاييس اللغة**"، لابن فارس، أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

"**مفاتيح التعامل مع القرآن**"، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1415هـ، 1994م.

"**مفاتيح الغيب**""**التفسير الكبير**"، لفخر الدين الرَّازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (ت: 606هـ)، دار إحياء التُّراث العربي – بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، 1420هـ.

"**منهج الاستنباط من القرآن الكريم**"، فهد بن مبارك بن عبد الله الوهبي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدة، الطبعة الأولى، 1428هـ، 2007م.

"**منهج القرآن في الاقتصاد**"، زيدان عبد الفتاح قعدان، ط1990 م، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية .

"**منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة**"، الطيب برغوث

"**مواقف إيمانية**"، الشيخ أحمد فريد، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الرابعة 1424هـ-2003م.

"**موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر1417 هـ/96 – 97 م** "، أحمد معمور العسيري، (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)، الطبعة الأولى، 1417 هـ – 1996 م.

"**موسوعة الألفيات اصطلاح وتعريف**"، الأستاذ سميح ناطور، مكتبة الطليعة دالية الكرمل القدس، سنة 1980م.

"**موسوعة الفقه الإسلامي**"، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، 1430 هـ، 2009 م.

"**موسوعة فقه عمر بن الخطاب**"، للدكتور محمد رواس قلعجي، دار النفائس، الطبعة الرابعة 1989 م.

"**موقع المختصر**"، الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين"يفتي بحرمة حصار غزة ويطالب مصر بفتح معبر رفح"، http://www.almokhtsar.com/node/184796

"**نصائح وتوجيهات على الطريق**"، علي بن نايف الشحود، بحوث ومقالات حول الثورة السورية 1من 15/ 3/2011 م حتى 14/ 1/2012م، الطبعة الأولى 2012م

"**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**"، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1997م.

"**نفحات من علوم القرآن**"، محمد أحمد محمد معبد (ت: 1430هـ)، دار السلام – القاهرة، الطبعة الثانية،1426 هـ - 2005 م.

"**نقاط على الحروف في الصراع العربي الصهيوني**"، إبراهيم يحيى الشهابي ، دار الأدهم للترجمة والنشر بدمشق، ط 1986م.

"**وفيات الأعيان**"، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، الناشر دار صادر، بيروت، الطبعة 1900-1994.

"**ولو شاء ربك ما فعلوه**"، عبد العزيز الجليل، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى 1435هـ، 2014م.

"**يا صاحب الرسالة**"، للدكتور خالد أبو شادي، دار الراية للنشر والتوزيع – مصر، 1431هـ-2010م.

http://www.islamtoday.net/albasheer/artshow-12-226474.htm2016

http://www.miftah.org/arabic/Display.cfm?DocId=14317&CategoryId=2

اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر"، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1407هـ- 1986م.

حسين شحاته، "**المقاطعة الاقتصادية وذلك أضعف الإيمان**"، بحث منشور – جامعة الأزهر، سلسلة بحوث ومقالات فى الفكر الاقتصادي الإسلامي

سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: 151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر- بيروت، الطبعة الأولى 1398هـ /1978م .

السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ"، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة السادسة، 1415هـ-1994م.

شرح الأصول الثلاثة (للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله)، عبد الرحمن بن ناصر البراك، أعد أصله: اللجنة العلمية بشبكة نور الإسلام، راجعه وقرأه على المؤلف: عبد الرحمن بن صالح السديس، الناشر: سلسلة منشورات مؤسسة شبكة نور الإسلام.

الفهارس العامَّــة

أولًا: فهرس الآيات القرآنية

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة			
.1	﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	1	132
.2	﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾	2	132
سورة البقرة			
.3	﴿ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ... ﴾	8	102
.4	﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... ﴾	9	103
.5	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ... ﴾	11	49
.6	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ... ﴾	11	102
.7	﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن ﴾	12	102
.8	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ﴾	13	103
.9	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ... ﴾	21- 22	5
.10	﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾	30	2
.11	﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ... ﴾	44	24
.12	﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾	45	29، 190
.13	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ﴾	82	136
.14	﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾	83	120، 189
.15	﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم... ﴾	109	55، 74
.16	﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ... ﴾	114	78
.17	﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا... ﴾	120	51
.18	﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ... ﴾	130	179
.19	﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ... ﴾	151	158

.20	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ... ﴾	155	26
.21	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ... ﴾	159	172
.22	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ... ﴾	165	16
.23	﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾	173	11
.24	﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ... ﴾	177	26، 30، 72
.25	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى... ﴾	186	194
.26	﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾	191	13
.27	وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ... ﴾	195	9، 151
.28	﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ ﴾	196	77
.29	﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ... ﴾	205	103
.30	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ... ﴾	206	102
.31	﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ... ﴾	214	28، 147
.32	﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا... ﴾	216	30، 72، 132
.33	﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ... ﴾	217	27، 55
.34	﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ... ﴾	219	164
.35	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم... ﴾	251	98
.36	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا... ﴾	254	64، 165
.37	﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى... ﴾	256	13
.38	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى... ﴾	258	180
.39	﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ... ﴾	261	184
.40	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن... ﴾	267	150
.41	﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	269	6
.42	﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ... ﴾	273	162
.43	﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن... ﴾	283	172
.44	﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ... ﴾	285	156

سورة ال عمران			
.45	﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ ... ﴾	18- 20	110
.46	﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟... ﴾	64	117
.47	﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ... ﴾	71	153
.48	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا... ﴾	96	116
.49	﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ... ﴾	153	99
.50	﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾	103	179، 186
.51	﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ ...﴾	104	20
.52	﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟... ﴾	105	168
.53	﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ... ﴾	110	20، 23
.54	﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ... ﴾	118	83
.55	﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ... ﴾	133	109
.56	﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ ... ﴾	134	65
.57	﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟... ﴾	141	28
.58	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى... ﴾	152	105
.59	﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟... ﴾	159	191
.60	﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ... ﴾	159	94
.61	﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ... ﴾	159	110
.62	﴿ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا ... ﴾	167	102
.63	﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾	167	103
.64	﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ... ﴾	173	104

.65	﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ...﴾	180	152
.66	﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ... ﴾	186	26
.67	﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ... ﴾	187	172
.68	﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ... ﴾	190	16
.69	﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ... ﴾	195	97
	سورة النساء		
.70	﴿ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ... ﴾	39	123
.71	﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا... ﴾	165	122
.72	﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ... ﴾	102	113
.73	﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى... ﴾	59	89
.74	﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ... ﴾	145	90
.75	﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ... ﴾	29	9
.76	﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا... ﴾	93	11
.77	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ... ﴾	59	21
.78	﴿ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾	142	31
.79	﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ... ﴾	27	53، 59
.80	﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ... ﴾	89	55
.81	﴿يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ... ﴾	44	59
.82	﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ... ﴾	75	68
.83	﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ... ﴾	95	68
.84	﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ... ﴾	95	81
.85	﴿ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ... ﴾	102	82
.86	﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى... ﴾	141	98

.87	﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ... ﴾	45	104
.88	﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ... ﴾	41	123
	سورة المائدة		
.89	﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا... ﴾	64	87
.90	﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾	42	83
.91	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ... ﴾	82	73
.92	﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ... ﴾	2	43
.93	﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا... ﴾	48	4
.94	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ... ﴾	42	16
.95	﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا... ﴾	64	47، 52
.96	﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ... ﴾	62	60
.97	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ... ﴾	67	17
.98	﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ... ﴾	78– 79	22
.99	﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ... ﴾	77	22، 53، 59
.100	﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ... ﴾	79	23
.101	﴿ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ... ﴾	106	37، 39
.102	﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ... ﴾	51	66
.103	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ... ﴾	57	88
.104	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ... ﴾	144	88
.105	﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ... ﴾	83	89
.106	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ... ﴾	82	91
.107	﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ... ﴾	64	91

108.	﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً... ﴾	48	129
سورة الانعام			
109.	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ... ﴾	162-163	4
110.	﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا... ﴾	19	5
111.	﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ... ﴾	153	5
112.	﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ... ﴾	151، 12	8
113.	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ... ﴾	162-163	14
114.	﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا... ﴾	122	18
115.	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ... ﴾	112	98
116.	﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن... ﴾	34	99
117.	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ... ﴾	112	101
سورة الاعراف			
118.	﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا... ﴾	56	4
119.	﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ... ﴾	59	18
120.	﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ... ﴾	62	19
121.	﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا... ﴾	65	19
122.	﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا... ﴾	73	19
123.	﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا... ﴾	109-110	54
124.	﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ... ﴾	127	61
125.	﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ... ﴾	90	61

126.	﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن... ﴾	88	61
127.	﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ	127	75
128.	﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ	56	85
129.	﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ	66	90
130.	﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ	56	110
سورة الأنفال			
131.	﴿ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾	60	118
132.	﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ... ﴾	30	87 ،56
133.	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ... ﴾	36	58
134.	﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ... ﴾	72	66
135.	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ... ﴾	74	82 ،73
136.	﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ... ﴾	30	81 ،80
137.	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ ... ﴾	36	84
138.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ... ﴾	27	107
139.	﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ... ﴾	61	117
140.	﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ... ﴾	46	123
سورة التوبة			
141.	﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ... ﴾	67	103
142.	﴿وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ... ﴾	50	103
143.	﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ... ﴾	32- 33	77
144.	﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ... ﴾	60	73
145.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ... ﴾	111	70

146.	﴿ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾	71	18
147.	﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖ... ﴾	67	23
148.	﴿ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾	5	33
149.	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ... ﴾	118	38
150.	﴿ وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ... ﴾	25	38
151.	﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ... ﴾	122	44
152.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ... ﴾	73	55
153.	﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ... ﴾	34– 35	65
154.	﴿ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ﴾	67	65
155.	﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ... ﴾	41	66
156.	﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ... ﴾	122	82
157.	﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا... ﴾	65	90
سورة يونس			
158.	﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي... ﴾	99	12
سورة هود			
159.	﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ... ﴾	88	4
160.	﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ... ﴾	116	22
161.	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ... ﴾	117	24
162.	﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن... ﴾	38	90
سورة يوسف			
163.	﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ... ﴾	53	8
164.	﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى... ﴾	108	20، 24

165.	﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ ﴾	66	36
166.	﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِ ﴾	36	39
167.	﴿ إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	25	39
168.	﴿ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا... ﴾	25	62
169.	﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ... ﴾	55	106
سورة الرعد			
170.	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ... ﴾	28	31
سورة ابراهيم			
171.	﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾	7	خ
172.	﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ... ﴾	46	94
سورة النحل			
173.	﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ... ﴾	125	119
174.	﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ... ﴾	106	10
175.	﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ... ﴾	125	12
176.	﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ... ﴾	97	16
177.	﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ... ﴾	125	24
178.	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ... ﴾	43	58
179.	﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ... ﴾	89	97
سورة الاسراء			
180.	﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ... ﴾	9	96
181.	﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ... ﴾	1	93
182.	﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي... ﴾	9	ز
183.	﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ... ﴾	70	6

184.	﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ... ﴾	33	8
185.	﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ... ﴾	31	9، 72
186.	﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ...﴾	8	33
187.	﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ... ﴾	60	36
188.	﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا... ﴾	20	38
189.	﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا... ﴾	1	45
190.	﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ...	5	45
191.	﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ... ﴾	82	97
192.	﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ... ﴾	73	101
193.	﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ... ﴾	76	101
194.	﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ... ﴾	4	124
سورة الكهف			
195.	﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ... ﴾	95	106
196.	﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا... ﴾	94	136
سورة طه			
197.	﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ... ﴾	2	53
198.	﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ... ﴾	63	75
199.	﴿لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٠٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ... ﴾	114	120
سورة الانبياء			
200.	﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ... ﴾	68	83
201.	﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا... ﴾	71	93
سورة الحج			
202.	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ... ﴾	40	98

203.	﴿ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾	40	9
204.	﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي... ﴾	41	24
205.	﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ... ﴾	39	29
206.	﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن... ﴾	46	47
207.	﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾	40	57
208.	﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾	25	72
سورة المؤمنون			
209.	﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا... ﴾	52	5
سورة النور			
210.	﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ... ﴾	22	85
211.	﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ... ﴾	62	114
212.	﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى... ﴾	51– 52	14
سورة الشعراء			
213.	﴿ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾	152	71
214.	﴿لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾	29	39
215.	﴿ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا... ﴾	152	46
216.	﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ... ﴾	49	61
سورة النمل			
217.	﴿ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ... ﴾	62	2
218.	﴿ قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن... ﴾	56	87
219.	﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ... ﴾	22	109
220.	﴿ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ... ﴾	28	121
سورة القصص			

221.	﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ ... ﴾	6–5	29
222.	﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ... ﴾	60	71
223.	﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ... ﴾	26	106، 107
224.	﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ... ﴾	27– 28	108
225.	﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ... ﴾	11	121
سورة العنكبوت			
226.	﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ... ﴾	36	19
227.	﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ... ﴾	2	28
228.	﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا... ﴾	43	109
سورة الروم			
229.	﴿ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ... ﴾	32	22
230.	﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ... ﴾	32	63
سورة السجدة			
231.	﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ... ﴾	18	16
سورة الاحزاب			
232.	﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا... ﴾	26	113
233.	﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا... ﴾	23	113
234.	﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ... ﴾	57 – 58	10
235.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا... ﴾	45	17
236.	﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ... ﴾	58	48، 62
237.	﴿ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم... ﴾	12	56، 89
238.	﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ... ﴾	10	81

239.	﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ... ﴾	13	90
240.	﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ... ﴾	10-11	98
241.	﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾	13	102
242.	﴿عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ... ﴾	15	102
243.	﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾	19	102
244.	﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ... ﴾	20	103
245.	﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا... ﴾	18	103
246.	﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ... ﴾	14	103
247.	﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَوَٰتِ ... ﴾	72	106
248.	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ... ﴾	9-11	110
249.	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ... ﴾	9	111
250.	﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ... ﴾	22	111
251.	﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ... ﴾	21	112
252.	﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ... ﴾	25-27	115
سورة سبأ			
253.	﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾	13	7
سورة فاطر			
254.	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ... ﴾	32	8
255.	﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن... ﴾	2	36
256.	﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ... ﴾	43	52
سورة يس			
257.	﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ	20-	21

		21	
سورة الصافات			
258.	﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ... ﴾	24	76
259.	﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ... ﴾	25	76
سورة ص			
260.	﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةَ... ﴾	2	4
261.	﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ ... ﴾	29	ز، 96
262.	﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةَ فِي ٱلۡأَرۡضِ... ﴾	26	2
سورة الزمر			
263.	﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ.. ﴾	22	ز
264.	﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا... ﴾	23	100
265.	﴿ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ... ﴾	9	131
سورة غافر			
266.	﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ ... ﴾	28	21
267.	﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ... ﴾	29	54
268.	﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ... ﴾	14	110
سورة فصلت			
269.	﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ... ﴾	53	16
270.	﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن... ﴾	33	18
271.	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا... ﴾	26	55، 61
سورة الشورى			
272.	﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ... ﴾	41– 42	11
سورة الزخرف			

273.	﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ... ﴾	51	51
سورة الاحقاف			
274.	﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ... ﴾	35	17، 24، 30، 99
سورة محمد			
275.	﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	19	18
276.	﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ... ﴾	31	26
277.	﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ... ﴾	38	64
278.	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ... ﴾	24	98
279.	﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ... ﴾	4	122، 124
سورة الفتح			
280.	﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ... ﴾	16	29
281.	﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ... ﴾	17	67
282.	﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ... ﴾	25	79
سورة الحجرات			
283.	﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾	13	15، 87
284.	﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾	10	170
سورة ق			
285.	﴿ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ﴾	25	50
سورة الذاريات			
286.	﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾	56	14، 15
287.	﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ... ﴾	22	53
288.	﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم... ﴾	52	61
سورة النجم			

289.	﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ... ﴾	4-3	117
سورة الواقعة			
290.	﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾	77	120
سورة الحديد			
291.	﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ... ﴾	22	74
سورة المجادلة			
292.	﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ... ﴾	11	111
سورة الحشر			
293.	﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ... ﴾	14	63
294.	﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ... ﴾	9	107
سورة الممتحنة			
295.	﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ... ﴾	2	86 ،46
سورة الصف			
296.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ ... ﴾	14	20
297.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ... ﴾	3-2	24
298.	﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ... ﴾	8	57
سورة المنافقون			
299.	﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ... ﴾	7	84 ،47
300.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ ... ﴾	9	48
301.	﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ... ﴾	7	65
302.	﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾	4	92
303.	﴿قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾	1	102
304.	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي... ﴾	2	102
305.	﴿لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم... ﴾	5	102

306.	﴿يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ... ﴾	7	102
307.	﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾	4	104
سورة التغابن			
308.	﴿وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن ... ﴾	16	64
سورة الطلاق			
309.	﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ... ﴾	3-2	168
310.	﴿ خُسۡرٗا ۝٩ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا... ﴾	7	168
311.	﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ... ﴾	3	168
سورة التحريم			
312.	﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾	6	8
سورة الملك			
313.	﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾	2	15
314.	﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ... ﴾	15	44
سورة القلم			
315.	﴿ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ... ﴾	12	103
سورة المدثر			
316.	﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾	2	119
سورة القيامة			
317.	﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ... ﴾	17	129
سورة الانسان			
318.	﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾	3	6
سورة النازعات			
319.	﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾	24	51
سورة الانفطار			

320.	﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ... ﴾	8-7	7
سورة الفجر			
321.	﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ... ﴾	11-12	57
سورة البلد			
322.	﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾	10	7
سورة الشرح			
323.	﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ... ﴾	8-1	133
سورة التين			
324.	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	4	7
سورة العلق			
325.	﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ... ﴾	7-6	182
سورة البينة			
326.	﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ... ﴾	5	15

ثانيًا: فهرس أطراف الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم عليه	الصفحة
1.	« احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ»	صحيح مسلم	صحيح	138
2.	« إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ »	صحيح مسلم	صحيح	56
3.	« الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ	مشكاة المصابيح	صحيح	123
4.	« إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ	صحيح مسلم	صحيح	105
5.	«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً...»	صحيح البخاري	صحيح	17
6.	« تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ... »	صحيح البخاري	صحيح	62
7.	« فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»	صحيح البخاري	صحيح	189
8.	« قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ »	صحيح مسلم	صحيح	150
9.	« قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ، وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ... »	صحيح البخاري	صحيح	12
10.	« كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ... »	صحيح مسلم	صحيح	105
11.	« كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... »	صحيح البخاري	صحيح	164
12.	« لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ... »	صحيح البخاري	صحيح	172
13.	« لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ... »	صحيح البخاري	صحيح	9
14.	« لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»	صحيح البخاري	صحيح	13

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم عليه	الصفحة
15.	« لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا... »	صحيح البخاري	صحيح	158
16.	« لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم »	صحيح الجامع	صحيح	8
17.	« لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا »	صحيح البخاري	صحيح	12
18.	« مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا... »	صحيح البخاري	صحيح	25
19.	« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ... »	صحيح مسلم	صحيح	184
20.	« مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ ... »	صحيح البخاري	صحيح	152
21.	« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ... »	صحيح مسلم	صحيح	20
22.	« وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»	صحيح البخاري	صحيح	18
23.	« وَلاَ وَاللَّهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ... »	صحيح البخاري	صحيح	175
24.	« وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»	صحيح البخاري	صحيح	67
25.	«إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»	صحيح البخاري	صحيح	107
26.	«أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل... »	السلسلة الصحيحة	صحيح	27
27.	«الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»	صحيح البخاري	صحيح	115
28.	«اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي... »	صحيح مسلم	صحيح	177
29.	«اللَّهُمَّ إِنَّهُ لاَ خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ... »	صحيح البخاري	صحيح	161
30.	«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ... »	صحيح البخاري	صحيح	31

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم عليه	الصفحة
31.	«اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا	صحيح البخاري	صحيح	160
32.	«اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ... »	صحيح البخاري	صحيح	110
33.	«اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ... »	صحيح مسلم	صحيح	164
34.	«المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ...»	صحيح البخاري	صحيح	174،170
35.	«إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ... »	صحيح مسلم	صحيح	183
36.	«إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»	صحيح البخاري	صحيح	48
37.	«إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ... »	صحيح البخاري	صحيح	64
38.	«إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ فِي الدُّنْيَا»	صحيح مسلم	صحيح	41
39.	«إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»	صحيح البخاري	صحيح	157
40.	«إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ... »	صحيح البخاري	صحيح	165
41.	«أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»	صحيح البخاري	صحيح	24
42.	«اهْجُهُمْ، أَوْ هَاجِهِمْ، وَجِبْرِيلُ مَعَكَ»	صحيح مسلم	صحيح	161
43.	«أَوَإِنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَفْعَلُوا ذَلِكُمْ... »	صحيح البخاري	صحيح	149
44.	«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»	صحيح مسلم	صحيح	24
45.	«خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»	صحيح البخاري	صحيح	165
46.	«رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ	صحيح مسلم	صحيح	177

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم عليه	الصفحة
47.	«ستكون بعدي هنَّات وهنَّات ... »	صحيح الجامع	صحيح	179
48.	«سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا »	صحيح مسلم	صحيح	183
49.	«عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا... »	صحيح البخاري	صحيح	40
50.	«كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»	صحيح مسلم	صحيح	191
51.	«كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ»	صحيح البخاري	صحيح	114
52.	«كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَسْقِي وَنُدَاوِي الجَرْحَى، وَنَرُدُّ القَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ»	صحيح البخاري	صحيح	68
53.	«لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ... »	صحيح مسلم	صحيح	92
54.	«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ... »	صحيح البخاري	صحيح	56
55.	«لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»	صحيح البخاري	صحيح	120
56.	«مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ... »	صحيح مسلم	صحيح	164
57.	«مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً... »	صحيح مسلم	صحيح	164
58.	«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا... »	صحيح البخاري	صحيح	148
59.	«مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ»	صحيح مسلم	صحيح	149
60.	«مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ...»	صحيح البخاري	صحيح	151
61.	«مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ، فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلاَءِ المُسْلِمِينَ»	صحيح البخاري	صحيح	184
62.	«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ »	صحيح الجامع	صحيح	22

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	الحكم عليه	الصفحة
63.	«يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»	صحيح البخاري	صحيح	132
64.	«يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ... »	صحيح مسلم	صحيح	107
65.	«يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ... »	صحيح البخاري	صحيح	125
66.	«يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ	صحيح البخاري	صحيح	101
67.	«يا معشر الفقراء! ألا أبشركم؟ إن فقراء المؤمنين	صحيح الجامع	صحيح	31

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم

م	العَلَـــــــــــم	الصفحة
1	أحمد بن محمد المقري	94
5	إسماعيل بن حقي الإسلامبولي	79
4	أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي	2
2	الحسين بن محمد الأصفهاني	3
3	الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي	121
6	زيد بن أسلم	6
7	علي بن محمد الجرجاني	15
8	علي بن محمد الماوردي	71
9	محمد بن عمر بن الحسن	59
10	محمد بن محمد بن محمود الماتريدي	48
11	محمد بن مكرم بن علي ابن منظور	37
12	محمد رشيد بن علي رضا	80
13	يحيى بن زياد بن الديلمي الفراء	34